الثقافة النفسية المتخصصة

العدد 83 . المجلد الحادي والعشرون . تموز/ يوليو 2010

ملف العدد

مراجعات التحليل النفسي

- قضية العدد: الدولة اليهودية.
- مقابلة العدد: حوار مع إدوارد ألكسندر.
- علم نفس الطفل: القدرة على حل المشكلات لدى ضعاف القراءة في المرحلة الابتدائية.
- سيكولوجية الحروب: الطفولة العراقية وألفية الحرب.
- نحو سيكولوجيا عربية: نحو بوابة عربية شاملة للعلوم النفسية على الإنترنت.
- مكتبة العدد: يهود يكرهون أنفسهم . المجتمع العراقي.. تحليل سيكوسويولوجي لما حدث ويحدث.

مركز الدراسات النفسية والنفسية ـ الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس ـ لبنان- شارع عزمي ـ بناية قاديشا ص.ب 3062 ـ التل
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925
E.mail: ceps50@hotmail.com

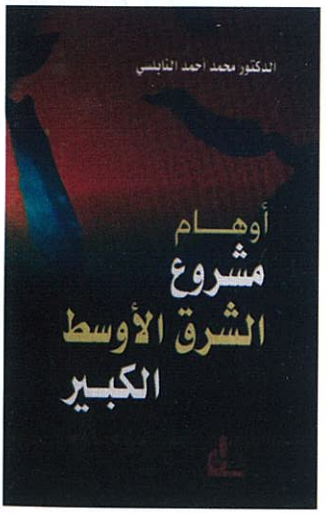

ما حدود الشرق الأوسط؟

أين يبدأ، وأين ينتهي؟

لماذا هذا السعي الغربي المستميت لنشر الإصلاح الاقتصادي والسياسي، والديمقراطية، والحكم الصالح، وحقوق الإنسان، وتمكين المرأة، ونشر حرية وسائل الإعلام، في هذه المنطقة؟

وهل حقاً مشروع الشرق الأوسط الكبير يحمل كل هذه القيم النبيلة ليقدمها للعالم العربي والشرق أوسطي هدية مجانية؟

هل استشيرت شعوب تلك المنطقة بهذه الخيارات ووافقت عليها؟

أم أنّ وراء الأكمة ما وراءها؛ فهناك أطماع سياسية وعسكرية واقتصادية مخبأة خلف هذا المشروع!

هذا الكتاب يوضح المخبوء خلف هذا المشروع من أهداف استراتيجية ومرحلية مباشرة.

والمؤلف مفكر استراتيجي معروف بدراساته السياسية والنفسية.

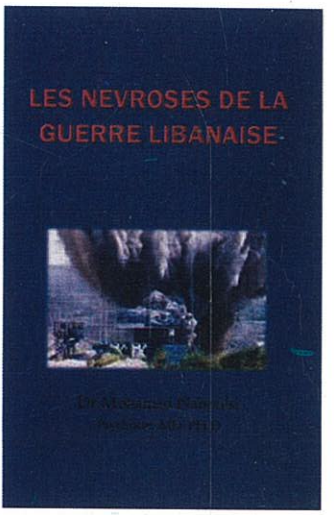

"Mais que vient-il donc faire dans cette galère ?"

Cette paraphase de Géronde, dans les "Fourberies de Scapin" pourrait bien illustrer mes propos. Loin de me perdre dans des données historiques, politiques ou théoriques, je consacre cette étude à l'élucidation de la catastrophe libanaise, du point de vue psychiatrique.

Cette catastrophe, aux effets traumatisants, est devenue quotidienne dans la vie du Libanais. L'histoire de cette guerre est jalonnée de situations catastrophales quand elle n'est est pas elle même une.

Dans cette cours folle, le rôle du psychiatre qui cherche à faire une distinction entre le domaine quantitatif et le domaine qualitatif des troubles, semble bien difficile. Ne pouvant accomplir ce rôle, le psychiatre doit alors étudier les nuances des aspects psycho-socio-somatiques, car je suis parti de la définition suivante de la psychiatrie :

"La psychiatrie ne se limite pas au seul rôle curatif mais elle le dépasse pour jouer un rôle dans l'organisation de la défense et promovation de la santé mentale".

مركز الدراسات النفسية والنفسجسمية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس. لبنان شارع عزمي. بناية قاديشا ص ب 3026. التل
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925
E.mail; ceo50@hotmail.com

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S

الثقافة النفسية المتخصصة

رئيس التحرير
محمد أحمد النابلسي

INTERDISCIPLINAR PSYCHOLOGY
Editor in chief: Naboulsi.M (M.D.PH.D)

PSYCHOLOGIE INTERDISCIPLINAIRE
Chef Editeur: Naboulsi M. (M.D. ph D.)

إن الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كتابها، وهي لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

يرجى مراجعة شروط النشر المنشورة في صفحة مستقلة.

تعطى أفضلية النشر وفق خطة التحرير وبحسب المحاور المحددة مسبقاً.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على عنوان المركز المبين أدناه.

طرابلس لبنان شارع عزمي بناية قاديشا
P.O .BOX: 3026 - Tal
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925

E-mail: ceps50@hotmail.com

سكرتاريا التحرير

حسن الصديق — عبد القادر الاسمر

هيئة التحرير

روز ماري شاهين — سلمى المصري دملج

سامر رضوان — جليل شكور

الهيئة الاستشارية

احمد عبد الخالق جامعة الكويت. كلية الاداب.
أحمد أبو العزايم رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية.
أنور الجرابة مستشفى الهادي شاكر للطب النفسي.
بشير الرشيدي رئيس مجلس أمناء مكتب الإنماء الاجتماعي.
جمال التركي استشاري الطب النفسي / بريطانيا.
جيمي بيشاي مشفى المحاربين القدماء / الولايات المتحدة.
على وطفة كلية التربية. جامعة دمشق.
صفاء الأعسر مركز دراسات الطفولة / عين
طلعت منصور جامعة عين شمس / كلية التربية.
عادل الأشول جامعة الكويت / كلية التربية.
قتيبة شلبي الولايات المتحدة.
زايد الحارثي جامعة ام القرى / السعودية.
عبد الستار ابراهيم جامعة الملك فهد / الظهران.
عبد الفتاح دويدار جامعة الإسكندرية.
عبد العزيز الشخص جامعة عين شمس / كلية التربية.
عبد الرزاق الحمد جامعة الملك سعود / كلية الطب.
عبد المجيد الخليدي جامعة عدن / كلية الطب.
عدنان التكريتي رئيس تحرير المجلة العربية للطب النفسي.
علي زيعور الجامعة اللبنانية / كلية الآداب.
فاروق السنديوني جامعة واغا واغا / استراليا.
فرج عبد القادر طه عضو المجمع العلمي المصري.
فيصل الزراد مستشفى الطب النفسي / أبو ظبي.
قدري حنفي قسم الدراسات الإنسانية / عين شمس.
محمد الطيب عميد كلية التربية / جامعة طنطا.

قيمة الاشتراك السنوي

الأفراد ٤٠ دولاراً أميركيا - للمؤسسات ١٠٠ دولار أميركي- ثمن النسخة عشرة دولارات أميركية، أو ما يعادلها - الاشتراك الشامل للمجلة وإصدارات المركز كافة ١٥٠ دولاراً أميركيا

شروط العضوية

منذ مطلع العام 1990، ومع صدور العدد الأول من الثقافة النفسية المتخصصة، والمركز يعمل على إرساء خطاب نفسي عربي جامع، يترجم أهداف خدمة الاختصاص في الدولة العربية. وعلى هذا الطريق عقد المركز ثلاثة مؤتمرات عربية جامعة مع انتظام صدور دوريته الثقافية النفسية المتخصصة، حتى توصل المركز إلى كسب ثقة زملاء من كافة أنحاء العالم العربي، فأصبح أعضاؤه موزعين على الدول العربية. هذا ويسعى المركز إلى توسيع دائرة التواصل بين الاختصاصيين عبر المجلة، والمشاريع التوثيقية التي يتبناها، ومنها مشروع الصفحة المعلوماتية العربية على شبكة الإنترنيت.

يتوجب على طالب العضوية استيفاء الشروط التالية:

1- أن يكون متخصصاً في أحد فروع العلوم النفسية. ويحدد نوع العضوية بناء على المؤهلات، إذ يعتبر عضواً متمرناً المنتسب الحائز على الليسانس. عضواً منتسباً الحائز على الماجستير، وعضواً مؤهلاً من كان حائزاً على الدكتوراه، أو على التخصص في الطب النفسي، أو الطبيب الباحث في ميدان السيكوسوماتيك. كما يعتبر عضواً عاملاً الاختصاصي المشارك في النشاطات الأساسية للمركز. وتمنح عضوية شرف المركز للمشتركين مدى الحياة في المجلة، كداعمين لاستمراريتها. وكذلك لأصحاب الإسهامات المميزة الداعمة للمركز.

2- أن يرسل سيرته العلمية المفصلة مع صور الوثائق، والسماح بإدراجها في الصفحة العربية للعلوم النفسية، وفي صفحة المركز التي ستضم أسماء أعضائه وسيرهم العلمية.

3- الالتزام بالدعوة لتكييف مبادئ الاختصاص، بما يلائم البيئة الثقافية العربية.

4- أن يشارك في نشاطات المركز ضمن إطارات اهتمامه.

5- أن يشترك في مجلة المركز الثقافية النفسية المتخصصة. حيث يعتبر هذا الاشتراك هو رسم الاشتراك في عضوية المركز. وتتوزع أنواع الاشتراك كمايلي:

- اشتراك عادي 40 دولار سنوياً (يحصل على أعداد المجلة).
- اشتراك شامل 100 دولار سنوياً (يحصل على كافة إصدارات المركز عن سنة الاشتراك من كتب ونشرات وغيرها).
- اشتراك مدى الحياة 500 دولار.

للاشتراك يرسل طلب الاشتراك مبيناً فيه بوضوح: الاسم والعنوان، والمستوى الأكاديمي، ومكان العمل، وفئة العضوية المطابقة. ويرسل الاشتراك بموجب حوالة باسم رئيس التحرير د. محمد أحمد النابلسي على الحساب التالي: المصرف: الشركة العامة اللبنانية، الأوروبية المصرفية ش.م.ل/ فرع طرابلس رقم الحساب:

(1- 01- 330384- 360 -001- 010).

صاحب الحساب: محمد أحمد النابلسي

قسيمة الاشتراك

الاسم:

التخصص:

التخصص الدقيق:

مكان العمل:

نوعية الاشتراك وقيمته:

العنوان (بما فيه أرقام الهاتف والفاكس والبريد العادي والالكتروني)

قواعد نشر البحوث

في مجلة الثقافة النفسية المتخصصة

تعمل مجلة الثقافة النفسية المتخصصة على تقديم أفضل مستوى ممكن من الإحاطة بمستجدات الاختصاص في كافة فروع العلوم النفسية، محاولة بذلك الاستجابة لحاجات المتخصصين والمهتمين، خصوصاً بعد تداخل تطبيقات الاختصاص مع مختلف فروع العلوم الإنسانية. وذلك من خلال إطلاع القارئ على اتجاهات البحوث العالمية، وتعريفه بأخبار ومستجدات هذه البحوث، وعبر بعض الترجمات المفيدة. أما بالنسبة للبحوث العربية، فإن المجلة تسعى لتقديم فرصة عرض الدراسات والبحوث الرصينة والمسايرة للمستجدات وللحاجات الفعلية لمجتمعنا العربي.

وصفحات هذه المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العرب، وهي ترحب بمساهماتهم الملتزمة بشروط النشر التي حددتها الهيئة الاستشارية وهيئة التحرير على الشكل التالي:

قواعد عامة

1- الالتزام بالقواعد العلمية في كتابة البحث.
2- أن يكون البحث مطبوعاً ومراجعاً من قبل كاتبه.
3- أن لا يكون البحث قد سبق نشره أو عرضه.
4- أن يقدم الباحث إقراراً بعدم إرساله إلى جهة أخرى.
5- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة.
6- كتابة العناوين الرئيسية وسط السطر، والعناوين الفرعية على الجانب الأيمن.
7- إرسال نسخة واحدة من البحث مع الديسك.
8- السيرة العلمية المختصرة بالنسبة للكتّاب الذين لم يسبق لهم النشر في المجلة.

قواعد خاصة

1- كتابة عنوان البحث، واسم الباحث ولقبه العلمي، والجهة التي يعمل لديها على صفحة الغلاف.
2- يراعي في إعداد قائمة المراجع ما يلي:
3- تسجيل أسماء المؤلفين والمترجمين متبوعة بسنة النشر بين قوسين، ثم بعنوان المصدر، ثم مكان النشر، ثم اسم الناشر.
4- تخضع الأعمال المعروضة للنشر للتحكيم العلمي السري، وفقاً للنظام المعتمد في المجلة، ويبلغ الباحث في حال وجود اقتراحات تعديل من قبل المحكمين.
5- توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس التحرير.
6- الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كتابها ووجهات نظرهم.
7- تلتزم المجلة بإبلاغ الباحث عن قرار النشر، وهي لا تعيد الأبحاث المرفوضة لأصحابها.
8- لا تدفع المجلة مكافآت مالية عن البحوث التي تنشرها. .

المحتويات

عزيزي القارئ 7

قضية العدد 9

الدولة اليهودية / أ.د. قدري حفني

علم النفس حول العالم 15

إعداد: نشأت صبوح، ورمزية نعمان، وسناء شطح

مقابلة العدد 31

حوار مع إدوارد ألكسندر

علم نفس الطفل 47

القدرة على حل المشكلات لدى ضعاف القراءة في المرحلة الابتدائية

أ. محمود قندوز - د.إسماعيل لعيس

سيكولوجية الحروب 57

الطفولة العراقية وألفية الحرب/ د. فراس عباس فاضل البياتي

نحو سيكولوجيا عربية 71

نحو بوابة عربية شاملة للعلوم النفسية على الإنترنت/ د. جمال التركي.

مكتبة العدد 93

ملف العدد 101

مراجعات التحليل النفسي

مجموعة من الباحثين

إصدارات مركز الدراسات النفسية

طرابلس – لبنان ص. ب: 3062 التل
فاكس: 438925 - 6 - 00961
هاتف: 441805 - 6 - 00961

1- المعجم النفيس
مصطلحات طبية ونفسية وعصبية
ذياب والجراية وعمار (40 دولاراً أميركياً)

2- سيكولوجية السياسية الإسرائيلية – النفس المغلولة
إصدار 2001 (10 دولارات أميركية)

3- الصدمة النفسية – علم نفس الحروب والكوارث (6 دولارات أميركية)

4- سيكولوجية السياسة العربية – العرب والمستقبليات
إصدار 1999 (10 دولارات أميركية)

5- معجم مصطلحات الطب النفسي (10 دولارات أميركية)

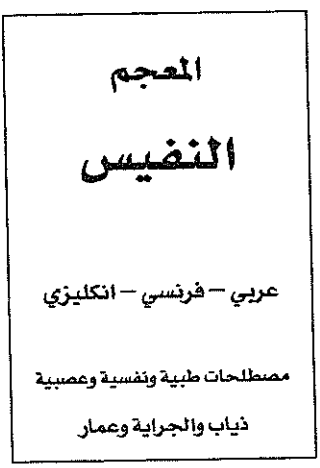

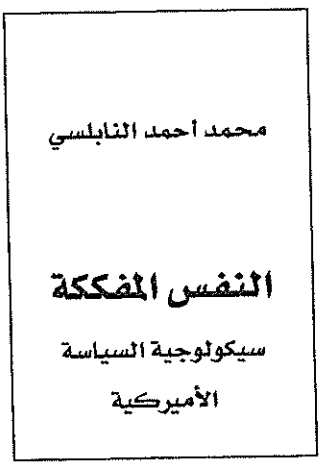

عزيزي القارئ

يتزايد الجدل حول التحليل النفسي في أوساط الاختصاص، كونه يتناول موضوعاته من مبدأ "الجواب المحاذي"، فالأطباء، من نفسيين وعضويين، يعتمدون مبدأ جالينوس "الفائدة في مواجهة المخاطرة"، ويقيمون التحليل النفسي وأية وسيلة علاجية وفق هذه الرؤية.

في المقابل، يعتقد المحللون النفسيون أنهم وحدهم مالكي مفتاح الحقيقة، وأن التحليل النفسي يتعدى غاياته العلاجية إلى رؤية شمولية للحياة الإنسانية. وهنا يختصم المحللون في ما بينهم، فيتوزعون على المدارس والتيارات التحليلية التي جاءت بعد موت المؤسس، لتطرح إشكاليات تتعدى الطبي إلى الفلسفي.

وكنا قد خضنا تجربة التعريف في التحليل النفسي المعاصر بمشاركة زميلنا البروفسور حسين عبد القادر في كتاب "التحليل النفسي: حاضره ومستقبله"، فكان خلافنا في الرؤى كبيراً، لكن علاقتنا الشخصية أكبر من أن نختلف على هذه الرؤى، وهو خلاف لا يزال مستمراً.

وفي عرضنا لمراجعات التحليل النفسي في ملف هذا العدد، تركنا للقارئ أن يتبين اختلاف وسائل مقاربة المواضيع وفق مبدأ "الجواب المحاذي"، حيث تضمن الملف مقالات وتعليقات تعرض لوجهات نظر مختلفة، تاركين للقارئ حرية التموقع بينها.

البداية في عرض لكتاب سيغموند فرويد "تفسير الأحلام"، المرجع الرئيسي للتحليل النفسي، وهو عرض لا يوافقنا عليه لا الزميل عبد القادر، ولا "المحللون الأصوليون"، كونه يتضمن قراءة نقدية للكتاب إلى جانب عرضه.

ثم مقالة نقدية لشخصية فرويد وعلاقته بتلامذته كما يراها معاصره المحلل النفساني إريك فروم، حيث يقدمه كأب متسلط لا يسمح لتلامذته بالاختلاف معه. فهل هي حساسية فروم صاحب كتاب "نمتلك أو نكون"، أم هو واقع شخصية فرويد الذي لم يتم تحليله التعليمي، والذي أقصى كارل غوستاف يونغ لرفضه تناول كأس من النبيذ متمسكاً بمبادئ مدرسة زوريخ التي ينتمي إليها يونغ؟

وماذا عن علاقة التحليل باللغة، تلك العلاقة التي ربطت التحليل النفسي بالفلسفة البنيوية

لتحول الأفكار المتداعية من متواليات حسابية وفق رؤى فرويد إلى متواليات هندسية وفق الرؤية البنيوية وطريقة جاك لاكان في مراجعاته للتحليل النفسي.

ولكن، ما هي مسؤولية فرويد في هذا الجدل؟ بعضهم يرى أن فرويد حاول إثبات قابلية التحليل لقراءة كافة وجوه النشاط الإنساني، فيما يرى آخرون أنه تجاوز العيادة وراء أوهام غير مستقرة تكاد تخلو من المعلومات الدقيقة، حيث قام بتحليل النبي موسى، وليوناردو دا فنشي، ودوستويفسكي، وغيرهم. وفي الملف، أيضاً، مقال "دوستويفسكي كما رآه فرويد".

وتنهي الملف بعرض للتحليل النفسي في مصر، حيث تزامن دخول التحليل إلى مصر مع قيام إسرائيل، فكان ليهودية فرويد الأثر في إعاقة دخول التحليل إلى مصر، وإلى الدول العربية عامة.

أما المقال الأخير، فهو تعصب يواجه تعصبَ ادعاء المحللين بأنهم يملكون الحقيقة، وهو بعنوان "أفول الأكذوبة الفرويدية".

ولقد تم عرض هذه الأفكار والرؤى دون تدخل منا، تعليقاً، أو ربطاً بين هذه الرؤى، بهدف ترك الحرية للقارئ، للفصل واتخاذ المواقف من مختلف هذه الرؤى.

كما يعرض هذا العدد لتجربة نفخر بها، ويفخر معنا الزملاء النفسانيون العرب، وتتمثل في الجهود غير العادية التي يبذلها بجد لافت الزميل البروفسور جمال التركي في مسيرته "نحو بوابة عربية شاملة للعلوم النفسية على الإنترنت".

أما مقابلة العدد فتأتي بالتناسق مع قضية العدد التي كتبها البروفسور قدري حفني بعنوان "الدولة اليهودية"، وفي المقابل يتحدث إدوارد ألكسندر عن "يهود يكرهون أنفسهم"، وهو عنوان لكتاب صادر عن مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية معروض على سبيل التذكير في باب المكتبة.

وفي المكتبة، أيضاً، عرض لمساهمة الزميل العراقي أ. د. قاسم حسين صالح عبر كتابه: "المجتمع العراقي: تحليل سيكوسوسيولوجي لما حدث ويحدث".

وفي السياق، بحث بعنوان "الطفولة العراقية والفية الحرب" للزميل د. فراس عباس فاضل البياتي. وبحث بعنوان: "القدرة على حل المشكلات لدى ضعاف القراءة في المرحلة الابتدائية"، للزميلين الجزائريين د.إسماعيل لعيس، وأ. محمود قندوز.

ومع اعتذارنا عن تأخر صدور هذا العدد، لظروف لبنان المعلومة، نأمل أن يتمكن هذا العدد من إثارة ما يتوخاه كتابه من أسئلة وحوارات.

وإلى اللقاء في العدد القادم

هيئة التحرير

قضية العدد

الدولة اليهودية

د. قدري حفني
kadrymh@yahoo.com

ظل تجميع البشر تحت قيادة مركزية تستند إلى مرجعية فكرية واحدة وهماً يداعب الفكر الإنساني منذ بداية التاريخ، ولم يكف البشر عن محاولة تجسيد هذا الوهم حتى يومنا هذا سعياً لخلق عالم مثالي نموذجي ينعم البشر في ظله، إذا ما تحقق، بأقصى قدر من الرفاهية والسعادة.

ويفيض التاريخ البشري بما لا حصر له من بحور الدماء التي سالت لتجسيد مثل ذلك الحلم على الأرض في صورة الدولة العقائدية، أي تلك الدولة التي تقوم على تصور نظري مسبق اكتملت صياغته من قبل، وتظل الدولة ملتزمة بها، أو محاولة ذلك خلال ممارستها العملية لدورها.

ورغم أن الحلم بعالم أفضل هو القوة المحركة لأي تقدم إنساني، أو تغيير اجتماعي، فإن الأمر يصبح مأساة حقيقية حين تتحول الدعوة إلى تحقيق ذلك العالم المثالي المنشود من الكلمة والإقناع إلى القهر والإجبار، ومحاولة دفع البشر قسراً وسوقهم بالسلاسل إلى تلك الجنة الموعودة.

يشهد عالمنا المعاصر تزايداً ملحوظاً لأفكار وممارسات ترفع رايات ذلك الحلم القديم بتوحيد العالم: الولايات المتحدة تسعى لتوحيد العالم، أو عولمته، ولو اقتضى الأمر خوض حروب دامية، كما نشهد تصاعداً لجماعات إسلامية هدفها البعيد المعلن منذ انهيار دولة الخلافة العثمانية يتمثل في السعي إلى إقامة "الدولة الإسلامية" التي قد تختلف الرؤى وتتباين حول تفاصيل ملامحها؛ ولكنها تتفق على كونها دولة عقائدية عالمية ذات قيادة مركزية.

ولعله من المناسب، والأمر كذلك، أن نعرض في عجالة لأهم نموذجين تاريخيين في هذا المجال، كان كلاهما تجسيد لمفهوم الدولة العقائدية، رغم أنهما يقفان على طرفي النقيض من حيث المنطلقات الفكرية: دولة الخلافة الإسلامية، ودولة الاتحاد السوفياتي الماركسية. وأوجه تناقضهما الفكري غنية عن البيان، أما أهم أوجه التشابه فتتمثل في ما يلي:

أولاً: العالمية

شهد تاريخنا الإسلامي منذ حقبة مبكرة جدلاً فكرياً شديداً حول تحديد معالم هوية المسلم الحق التي تميز بينه وبين غيره: ترى، هل يكفي الاقتناع والتسليم، أم انه لا بد من بيعة وجهاد ودولة وخليفة؟ هل يمكن الاكتفاء بإقامة دولة إسلامية في حدود قطر واحد فحسب؟ أم أنه ينبغي السعي لتشمل مظلة الخلافة البشر جميعاً؟ وهل الانتماء الإسلامي ينبغي أن يتخطى حدود الانتماء القومي؟ واستند المتجادلون جميعاً إلى فهمهم، أو تأويلهم لنصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وكان الأمر شبيهاً بذلك في ما يتعلق بالماركسية السوفياتية، التي انطلقت من أرضية مناقضة للديانات السماوية، إذ واجهت أسئلة شبيهة: ترى، هل يكفي الاقتناع بالفكر الماركسي، أم أنه لا بد من التنظيم الشيوعي والسعي إلى السلطة؟ هل يمكن إقامة هذه السلطة في حدود دولة واحدة، أم المطلوب استمرار الثورة إلى أن ينجح عمال العالم في إقامة دولتهم العالمية؟ هل الالتزام الماركسي ينبغي أن يتخطى حدود الالتزام القومي؟ واستند الجميع إلى فهمهم وتأويلهم لما قال به المؤسسون الكبار للنظرية.

ثانياً: وحدة مركز القيادة

أقام الماركسيون تنظيماً أممياً عالمياً اتخذ من موسكو مركزاً لقيادة عملية التوحيد، وكان منطقياً أن تكون للكريملين الكلمة العليا في ذلك التنظيم الأممي، وفي اختيار قادته وممثليه في العالم؛ ولم يكن ذلك بالأمر المستغرب، باعتبار أن الانتماء للماركسية يعلو غيره من الانتماءات القومية "الشوفينية".

وفي المقابل، فقد تمثل السعي الإسلامي في إقامة دولة الخلافة الإسلامية، التي تنقلت مراكز قيادتها بين مكة ودمشق وبغداد والقاهرة.. إلى آخره، ولم يكن حكام أقاليم الخلافة الإسلامية من مسلمي الأقاليم المفتوحة طوعاً أو غصباً، بل من أصحاب الفتح، عرباً

كانوا، أو أتراكاً، وكان ذلك أمراً ملفتاً، فلو سلمنا بأن الانتماء للعقيدة الإسلامية يعلو على غيره من الانتماءات القومية "الشعوبية"، لما كان هنالك ما يمنع شرعاً من أن يتولى ولاية مصر مثلاً مصري مسلم، أو على الأصح مسلم مصري.

ثالثاً: الاتهامات بالزندقة والمراجعة

في ظل الحرص على وحدة الدولة العالمية، فكراً وممارسة، لم يكن بد من التصدي بمنتهى الشدة التي تصل إلى حد القتل لمن يهدد تلك الوحدة، ومن ثم فقد انهالت الإدانات بالمراجعة والردة والخيانة، بل والعمالة على كل من يخرج على التأويل الرسمي السوفياتي المعتمد للنظرية الماركسية، محاولاً تفتيت وحدة الصف الشيوعي، كما انهالت إدانات مماثلة بالزندقة والردة والتحريف على كل من يخرج على التأويل المعتمد من مقر الخلافة للقرآن الكريم والسنة المطهرة. وطالت تلك الاتهامات من كانوا يحتلون مراكز الصدارة في المشهد الماركسي، من كاوتسكي وتروتسكي، إلى ماو تسي تونج، إلى تيتو وجارودي، ولم تختلف تلك الاتهامات في جوهرها كثيراً عن تلك التي وجهت إلى رموز في فكر وقادة العمل الإسلامي.

رابعاً: النص والتأويل

الكتب السماوية كتب خالدة لا يطرأ على نصوصها تعديل، مهما تغير الواقع الاجتماعي السياسي، ومن ثم فإن تفسيرات البشر لم تنقطع لتلك الكتب التي يؤمنون بها، فضلاً عن تلك التي يؤمن بها غيرهم، ونستطيع أن نقرر دون خوض في التفاصيل أنه لا توجد جماعة لم تلتمس في كتابها المقدس ما يبرر العنف والقتل والإبادة، وأيضاً ما يبرر المسالمة والموعظة الحسنة، دون أن ينتقص ذلك التباين بطبيعة الحال من قدسية الكتب السماوية. إنه اختلاف بين اجتهادات البشر، ويعلم الله بمن اجتهد فجانبه الصواب ومن اجتهد فأصاب، ومن أوّل فتعسّف في التأويل إفراطاً أو تفريطاً لغرض في نفسه: نفاقاً، أو خوفاً، أو طمعاً. والأمر المؤكد أن جميعهم قد وصف تأويلاته بأنها التأويلات الصحيحة المعتدلة المعبرة عن جوهر الدين.

ولعل أحداً لم يعد يجادل في ما أكدته دراسات علم النفس السياسي من تأثير الدين على السلوك، ولذلك لم يكن مستغرباً أن يلجأ البشر على اختلاف نوازعهم لالتماس السند الديني

لتصرفاتهم أياً كانت، فوجدنا يهوداً يلتمسون في آيات العهد القديم ما يبرر لهم القتل وسفك الدماء دون تمييز، ويغضون الطرف عن آيات تحرم القتل والسرقة والنهب، وتنهي عن مجرد التفكير في الشر، وتحذر من إيذاء الغرباء، ووجدنا مسيحيين يلتمسون في آيات العهد الجديد ما يبرر التعذيب والقتل، رغم كثرة الآيات التي تدعو إلى التسامح والحب، ولم يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لنا كمسلمين، فقد وجدنا من يعتبر أن كافة آيات التسامح والمسالمة قد نسخت، ولم يعد أمام المسلمين سوى قتل من يخالفونهم العقيدة.

إن جرائم المتطرفين من اليهود الذين يرفعون راية التوراة غنية عن البيان، ولعلنا لسنا في حاجة إلى إعادة التذكير بها، وفي المقابل نجد من اليهود من وقفوا بصلابة ضد كافة مظاهر التمييز العنصري، وضد إبادة الفلسطينيين وتدمير منازلهم. كذلك فقد أقدم المتطرفون من المسيحيون في العصور الوسطي على تعذيب المهرطقين، وقتال أتباع نفس الكتاب ممن يختلفون مع تأويلهم له، فضلاً عن شن حروب الفرنجة تحت راية الصليب، وهاهو بوش يستخدم دون مواربة تعبيرات مثل "الحروب الصليبية"، و"محور الشر"، وفي المقابل، نجد من المسيحيين من يناضلون بحق ضد ممارسات القتل والتمييز كافة. ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة للمسلمين.

والسؤال الآن: تُرى، هل على المرء أن يدافع عن كافة تصرفات من ينتمون لجماعته الدينية مهما كانت دموية تلك التصرفات؟ هل ثمة بشر لا يخطئون؟ تُرى، هل على المسلم، أو المسيحي، أو اليهودي، أن يحمل على عاتقه وقائع مخضبة بالدم، لأنها لصيقة بمن ينتسبون إلى دينه؟ هل تفرض الأخوة الدينية على المرء أن يضع في سلة واحدة أبناء جماعته الذين يدافعون عن التسامح والحرية مع من غامروا بحياتهم في سبيل القتل والترويع؟ هل من المقبول أن يدين المرء تعصب الآخرين وجرائمهم دون أن يدين، وبالقوة نفسها، تلك الجرائم المنسوبة إلى أتباع دينه؟

ومن الملفت للنظر أن ما يصدق على أتباع الكتب الدينية المقدسة، يصدق وبالدرجة نفسها، على أتباع أي كتاب عقائدي آخر، حتى ولو كان علمانياً، فرغم علمانية الماركسية، ورغم إقرارها بمبدأ النقد الذاتي، فقد عرفنا في النظام الماركسي "فيلسوف الحزب"، بل وعرفنا تقديس مؤسس النظرية، ثم تقديس خلفائه أيضاً، وإن لم يكن ذلك التقديس دينياً فإنه لا يقل عن التقديس الديني من حيث التنزيه عن الخطأ.

ومن ناحية أخرى، فرغم أنه لا كهنوت في الإسلام، بمعنى أن الإسلام لا يعرف "رجل الدين" الذي يلعب دور الواسطة بين النص المقدس والبشر؛ فقد عرفنا في الجماعات الإسلامية "مفتي الجماعة"، وكلاهما يعتبر بمثابة المفسر الرئيسي المعتمد للنص الأصلي.

خلاصة القول:

إن الدعوة لإحياء حلم الدولة الدينية ـ وهو التجسيد العملي لدمج الدين بالسياسة ـ تكاد تشمل العالم جميعاً، غير أن ثمة خيطاً رفيعاً ينبغي أن يفصل بين رسائل السماء الإلهية وممارسات البشر الدنيوية، أي بين الدين والسياسة، وإذا ما اختفى ذلك الخيط، أصبح في مقدور فرد، أو جماعة، أن يعلن أنه وحده صاحب القول الفصل في مقاصد السماء، وأنه ظل الله على الأرض، والناطق الأوحد باسمه تعالى. ألا يوقعنا ذلك في ما يشبه التأليه، والعياذ بالله؟

إن القراءة النفسية للحرب على العراق هي مهمة ملقاة على عاتق فروع اختصاصية متداخلة. وهي ستشغل العاملين في هذه الفروع على مدى سنوات قادمة. وعليه فإن ما نقدمه في هذه الدراسة ليس سوى مقدمة لقراءات نفسية لاحقة تنتظر ظهور معلومات جديدة عن خلفيات هذه الحرب وأسرارها وصفقاتها الخفية.

محمد أحمد النابلسي

الحرب النفسية في العراق

متابعة للجوانب النفسية في الحرب الأميركية على العراق

علم النفس حول العالم

إعداد: نشأت صبوح ورمزية نعمان وسناء شطح

دراسة بريطانية تربط بين الولادة المبكرة والتوحد

قالت دراسة بريطانية إن الأطفال الذين يولدون قبل أسبوع، أو أسبوعين، من الأسبوع الأربعين للحمل يكونون أكثر عرضة لإظهار صعوبات في التعلم، مثل التوحد، أو صعوبة في القراءة. وتظهر النتائج أنه حتى الأطفال الذين ولدوا بعد 39 أسبوعاً من الحمل، وهي المرحلة التي تختارها كثير من النساء لإجراء ولادة قيصرية - عرضة لخطر متزايد لإظهار إعاقة في التعلم مقارنة مع الأطفال الذين ولدوا بعد ذلك بأسبوع، أي عند 40 أسبوعاً. وكشف علماء في اسكتلندا قاموا بتحليل تاريخ ولادة أكثر من 400 ألف من تلاميذ المدارس أنه بينما يكون الأطفال الذين يولدون عند 40 أسبوعاً من الحمل لديهم مخاطر لصعوبات في التعلم بنسبة 4 في المئة فإن الذين ولدوا بين 37 و39 أسبوعاً من الحمل تكون لديهم مخاطر نسبتها 5.1 في المئة. وقالت جيل بيل خبيرة الصحة العامة وسياسات الصحة في جامعة جلاسكو، والتي أشرف على الدراسة "كانت هنالك مخاطر متزايدة لحاجات تعليمية، خاصة مع انخفاض فترة الحمل، ولذا كلما كانت عمليات الولادة مبكرة كلما زاد الخطر، حتى أن الولادة مبكراً أسبوعاً واحداً تزيد الخطر". ومن المعروف بالفعل أن الطفل المولود في مرحلة مبكرة من الحمل، على سبيل المثال عند 24 أسبوعاً من الحمل، يكون أكثر عرضة لصعوبات التعلم. لكن لم يسبق دراسة المخاطر التي يتعرض لها الأطفال الذين يولدون في نطاق بين 24 إلى 40 أسبوعاً. وتقول منظمة الصحة العالمية أن المزيد والمزيد من النساء في جميع أنحاء العالم تلدن بجراحة

قيصرية، وأن "نسبة كبيرة" من هذه العمليات الجراحية تجرى بدون أي حاجة طبية واضحة. ويولد حوالي ثلث الأطفال بين 37 و39 أسبوعاً من الحمل، إما عن طريق جراحة قيصرية، أو الولادة المهبلية الطبيعية.

الخرف يكلف العالم 600 مليار دولار

أفاد تقرير الزهايمر العالمي لعام 2010 بأن تكلفة الرعاية الطبية العالمية لمرض الخرف ستصل هذا العام إلى نحو 601 مليار دولار، في شكل رعاية اجتماعية، ورعاية غير مدفوعة من قبل الأقارب، وفواتير طبية.

وقالت المنظمة المعدة للتقرير أن مرض الخرف سيكون أبرز أزمة صحية واجتماعية للقرن الحادي والعشرين.

وتعادل التقديرات الواردة في التقرير المذكور أكثر من 1 ٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي. ولو كانت "رعاية الخرف" بلداً لكانت تمثل الترتيب الـ18 لأكبر اقتصاد عالمي، ولو كانت شركة لكانت تشكل أكبر عائد على مستوى العالم، متجاوزة بذلك عائدات وول مارت البالغة نحو 414 مليار دولار، وعائدات شركة إكسون موبيل البالغة نحو 310 مليارات دولار.

ويقول معدو التقرير، وهم أكاديميون من كلية كينغ في لندن، ومعهد كارولينسكا في ستكهولم، إن على حكومات العالم أن تحذو حذو دول، مثل إنجلترا وفرنسا وأستراليا، في تطوير خطط محلية للتغلب على المشكلة، كما يجب على ممولي البحث أن يعززوا الدعم لمضاهاة ذاك الذي يتم توفيره لأمراض القلب والسرطان.

ويشار إلى أن التقرير الذي أعد بتكليف من منظمة الزهايمر الدولية، وهي رابطة من 73 جمعية، يتبع تقريراً مشابهاً نُشر العام الماضي، أكد وجود 35.6 مليون شخص مصابين بالخرف في العالم، وأن هذا الرقم يمكن أن يرتفع إلى 65.7 مليوناً عام 2030 و115.4 مليوناً عام 2050.

وقالت رئيسة الرابطة ديزي أكوستا أن التقرير كان نداء استيقاظ، إذ أن حكومات العالم غير مستعدة للاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية التي سيسببها هذه المرض.

وعقب مارتن برينس، أحد المشاركين في التقرير، بأن رعاية الأشخاص المصابين بالخرف ليست مجرد قضية صحية، بل إنها قضية اجتماعية ضخمة، وخاصة في الدول ذات الدخول

المنخفضة والمتوسطة التي تفتقر إلى الأنظمة الكافية للرعاية الرسمية. ويجب على الحكومات أن تبدي قيادة أكبر بالعمل مع المساهمين على إيجاد حلول لقضية الرعاية الطويلة الأجل.

وأشارت الصحيفة إلى أنه يوجد في بريطانيا 820 ألف مصاب بالخرف يكلفون الاقتصاد نحو 36 مليار دولار سنوياً. وهذه التكلفة قاربت تقريباً ضعف رعاية السرطان، وثلاثة أضعاف أمراض القلب.

"هورمون الحب" يبعد الخجل

كشفت دراسة علمية حديثة عن أن استخدام هرمون أكسيتوسين، أو ما بات يعرف بـ"هرمون الحب"، على شكل رذاذ داخل الأنف من شأنه تخليص الشخص من الخجل الزائد في الحياة الاجتماعية.

ويرى الباحثون أن هرمون الحب الذي كان معروفاً بوصفه يزيد من دفء العلاقة والعاطفة، وخاصة بين الآباء والأطفال، له أيضاً تأثير آخر يتمثل في كونه يساعد الأفراد على التخلص من مظاهر الخجل الزائد، بالرغم من تأثيره الخفيف على الذين لديهم ثقة بالنفس بشكل طبيعي مسبق.

وتساءل الباحثون الذين أجروا دراستهم في مركز متخصص في أبحاث ومعالجة داء التوحد في إسرائيل، وجامعة كولومبيا في الولايات المتحدة، عن مدى تأثير الهرمون، الذي هو موجود في الجسم بشكل طبيعي، على جعل الناس يكونون متفاهمين بشكل أكبر؟

وأجرى العلماء بحثهم على 27 شخصاً بالغاً، حيث وضعوا الهرمون في أنوفهم على شكل رذاذ في الأنف، ثم طلبوا منهم محاولة التعرف على أفكار ومشاعر الآخرين، حيث تمكن الباحثون من قياس مدى تفاعل الأفراد قيد الدراسة عن طريق اختبار عادة ما يستخدم في حالة المصابين بداء التوحد.

واكتشف الباحثون الذين نشروا نتائج دراستهم في مجلة العلوم النفسية أن هرومون أكسيتوسين يترك أثراً واضحاً في تقوية العاطفة عند أولئك الذين يعانون من الخجل الزائد في الأصل.

وتقول البروفيسورة جينفر بارتز أن هرمون أكسيتوسين معروف على نطاق واسع بكونه يساعد الناس الذين يعانون من الخجل الزائد على التخلص من مظاهر الخجل والتردد، وبالتالي يعزز لديهم الإقبال على الآخرين.

الخدج أكثر عرضة لمخاطر الأمراض التنفسية

تقول دراسة بريطانية جديدة أن أكثر من نصف الأطفال الخدج الذين يولودون بعد 25 أسبوعاً من الحمل، أو أقل، عرضة للإصابة بمشاكل في الرئة، وأنهم قد يصابون بمرض الربو عند بلوغ سن 11 عاماً.

ونظر البحث الذي أعده "معهد صحة الطفل" في كوليج يونفيرسيتي البريطانية، في بيانات جميع الأطفال الذي ولدوا بعد 25 أسبوعاً من الحمل، عام 1995، في المملكة المتحدة وأيرلندا.

وتابع الباحثون تطور هؤلاء الأطفال، وحتى بلوغهم سن الحادية عشرة، وجرت مقارنتهم بأنداد لهم اختيروا عشوائياً.

وأظهرت الدراسة أن العديد من هؤلاء الأطفال يعانون من انسداد مجرى الهواء.

وفسرت جانيت ستوكس، بروفيسور علم وظائف الجهاز التنفسي بالمعهد قائلة: "هذه النتائج تشير إلى أنه بالرغم من التحسن في خدمات رعاية التوليد والمواليد التي أدت إلى زيادة فرص بقاء الأطفال المبتسرين للغاية على قيد الحياة، غير أن مشكلة انسداد مجرى الهواء تظل نتيجة مشتركة على المدى الطويل".

وأضافت ستوكس التي قادت البحث: "لأسباب مختلفة، معدلات الولادة المبكرة تتزايد في البلدان المتقدمة، و"دراسة الباحث الرئيسي مخزون جانيت، أستاذ علم وظائف الأعضاء من الجهاز التنفسي في معهد كلية جامعة لندن لصحة الطفل، وقال في بيان صحفي من جمعية أمراض الصدر الأميركية.

وخلص الباحثون إلى أنه على الرغم من التدخلات الطبية المتطورة، إلا أنه عادة ما تصاحب الولادة المبكرة مشاكل خطيرة في التنفس، حيث نظرت الدراسة في مترتبات تلك المضاعفات على المدى البعيد عند نمو الأطفال.

ونشرت نتائج الدراسة في الموقع الإلكترونية للدورية الأميركية للجهاز التنفسي والعناية المركزة.

في أول تقرير دولي شامل عن الولادات المبكرة، كشفت منظمة "مارش أوف دايمس" March of Dimes، أن أكثر من مليون طفل خديج يلقون حتفهم قبيل بلوغهم شهرهم الأول، سنوياً، معظمهم في أفريقيا.

وقالت المنظمة في تقرير لها نشر في أكتوبر / تشرين الأول أن 12.9 مليون طفل خديج، من يولدون قبل اكتمال أسابيع الحمل البالغة 37 أسبوعاً، يولودون سنوياً، أي ما يعادل نحو10 في المئة من معدل الولادات السنوية حول العالم.

وتحدث 85 في المئة من حالات الولادة المبكرة في الدول النامية في قارتي أفريقيا وآسيا".

وتقترن الظاهرة بالحمل بعد تجاوز النساء سن الـ35 عاماً، واستخدام وسائل زيادة الخصوبة التي عادة ما تؤدي للحمل بتوأم، أو أكثر.

ويواجه الأطفال الخدج مستقبلاً مليئاً بالمخاطر الصحية، منها احتمالات الإصابة بالشلل الدماغي، والعمى، وفقدان السمع، وصعوبة التعلم، بالإضافة إلى أمراض أخرى مزمنة، وفق المنظمة المعنية بأبحاث الحمل وصحة الطفل.

وكانت دراسات علمية سابقة قد أظهرت عواقب بعيدة الأمد للولادة المبكرة، منها أن الأطفال الخدج أكثر عرضة للوفاة في سن الطفولة، ورجحت أخرى إمكانية إصابتهم بالعقم عند البلوغ.

اليابان فصيلة الدم تحدد سمات الشخصية

عندما حدد عالم الأحياء الأميركي، من أصل نمساوي، كارك لاندشتاينر في عام 1909 أنواع فصائل الدم البشرية، لم يكن بالتأكيد يتخيل أن اليابانيين سيقومون بعدها بقرن من الزمان بأخذ قرارات تتعلق بالزواج، أو الانفصال، أو بتوظيف أشخاص، أو فصلهم من العمل، أو حتى بالصداقات، وفقاً لتصنيف فصيلة دمهم A، B، AB، وO.

حيث انتشرت مؤخراً في اليابان ظاهرة الربط بين الملامح الشخصية للفرد وفصيلة دمه.

إذ يعيش حالياً يابانيون عديدون، كما تقول صحيفة "لوموند" الفرنسية، بالفكرة القائلة بأن فصيلة دم الإنسان تتحكم في تحديد سلوكه وسمات شخصيته. ومن ثم فإن صاحب فصيلة A هو شخص جاد، حريص وحساس، في حين أن فصيلة الدم B تعطى شخصية ذات نزعة استقلالية وإبداعية، أما AB فيكون صاحبها عقلاني واجتماعي، ومن تجري في عروقه فصيلة الدم O فهو إنسان طموح بطبعه.

تشير الصحيفة إلى أن أصل هذه المعتقدات يرجع إلى دراسات أجريت في الفترة بين 1920 و1930، وبالأخص تلك التي قام بها العالم الياباني تاكيجي فوروكاوا في 1927 حول موضوع "دراسة السلوك وفقاً لفصائل الدم"، حيث كان هذا الباحث يسعى في الأساس إلى

تفسير أسباب سلوك الخضوع لدى شعب الآينو (في جزيرة هوكايدو في شمال اليابان) وروح التمرد لدى شعب فورموزا (تايوان حالياً)، حتى أن كتاباته قد أقنعت المسؤولين في وزارة الخارجية أن دبلوماسياً جيداً ينبغي أن تكون فصيلة دمه O.

وعلى الرغم من أن هذه الاعتقادات قد نسيت لفترة بعد الحرب، إلا أنها عادت وظهرت من جديد، بل وأصبحت أكثر شعبية في السبعينيات، بعد صدور كتاب لمحام اسمه ماساهيكو نومي، حول مدى تلاؤم الأزواج وفقاً لفصيلة الدم.

منذ ذلك الحين، وعلى الرغم من انتقادات الأوساط العلمية لفكرة وجود علاقة بين فصيلة الدم والسلوك، إلا أن هذا الأمر أصبح يتمتع بمكانة هامة في اليابان، مثله مثل علم الأبراج التقليدية، ويؤمن به كثير من الشعب الياباني.

حتى إنه أصبح من المألوف في اليابان، كما تذكر الصحيفة، أن يسأل الياباني عند التعارف بشخص ما عن فصيلة دمه، وقد انتشرت هذه الظاهرة إلى أن وصل الأمر إلى حد قيام دور الحضانة بتقسيم الأطفال وتوزيعهم في الفصول وفقاً لنوع الدم لديهم.

بل إن بعض الشركات اليابانية تستخدم هذا التصنيف في توظيف الأشخاص بها، وقد ظهرت كذلك كلمة جديدة "bura-hara"، لوصف عملية التحرش بالأشخاص على أساس فصائل دمهم.

وفي هذا السياق، فإنه أمر لا يثير الدهشة إذن عند رؤية وكالات تزويج يابانية تقوم فعلياً بتطبيق هذه المتعقدات في الترتيب لتعارف شخصين يرغبان في الزواج.

وحتى شخصيات ألعاب الفيديو الأكثر شعبية مثل Final Fantasy، يتمتعون الآن بسمات شخصية يحددها نوع فصيلة الدم التي ينتمون إليها!

الاكتئاب ما بعد الولادة يصيب الرجال أيضا

قلة ما ترصد كآبة ما بعد الولادة لدى الرجال حذر خبراء أميركيون من أن الآباء معرضون للاكتئاب الناجم عن الولادة، وكثيرة من الحالات لا يتم رصدها، أو علاجها. ووجدت دراسة أعدها فريق من المعهد الطبي في شرق فرجينيا، أن أباً من كل عشرة قد يعاني من اكتئاب ما بعد الولادة. وفيما يعتبر هذا التصنيف أقل منه لدى النساء، إلا أن غالبية الحالات لدى الآباء لا يتم تشخيصها، وفقاً لدورية الجمعية الطبية الأميركية. وبحسب الدراسة، فإن قلة النوم والمسؤوليات الجديدة، أو مساعدة الزوجة في مواجهة عوارض اكتئاب

ما بعد الولادة، يمكن أن تكون معدية. ويستند تقويم العلماء إلى 43 دراسة شارك فيها 28 أباً وأماً من 16 دولة، من بينها بريطانيا والولايات المتحدة. ووجد العلماء أن الآباء الجدد يبدون أكثر سعادة في الأسابيع الأولى لولادة أبنائهم، لتبدأ أعراض الاكتئاب بعد ثلاثة إلى ستة شهور. ويتبين مع الوقت أن 10 إلى 25 في المئة من الآباء يصيبهم اكتئاب ما بعد الولادة. إلى ذلك، يبدو أن الاكتئاب معد، ذلك أن الرجال يظهرون قابلية للإصابة به في حال عانت منه شريكاتهم. ودعا الدكتور جيمس بولسون والدكتور شارنيل بايزمور، معدا الدراسة، على ضرورة بذل مزيد من الجهود لتشخيص حالات الاكتئاب لدى الآباء في مراحلها المبكرة، مع الأخذ بعين الاعتبار انعكاساتها على نفسية الأطفال وتصرفاتهم ونموهم. وتقول بريجيت أوكونيل من مركز الصحة العقلية الخيري أن "التحول إلى مرحلة الأبوة أحد أهم التغييرات التي يمر بها أي رجل وامرأة، ومع ذلك، هناك قليل من الإدراك لتأثير ذلك على الصحة العقلية، وكيف يمكن للمرء أن يواجه مشكلاته النفسية ما بعد الولادة". لكن إيلي لي، المحاضرة في قسم التخطيط الاجتماعي في جامعة كنت البريطانية، دعت إلى وجوب الانتباه إلى المشاعر الطبيعية، وعدم الخلط بينها وبين المشاعر المرضية. ولفتت إلى أن الرجال في أيامنا هذه يتعرضون لضغوط أخرى "إذ عليهم أن يشاركوا ويلتزموا، ينتظر منهم الإقلاع عن الكحول، وحضور كل مراجعة طبية، والإحساس بألم الولادة، وهي تجربة قد تسبب توتراً كبيراً".

طفرة علمية في اكتشاف الأجنة المصابة بعارض داون

أعلن فريق علماء هولندي أن بحوثهم في إصابة الأجنّة بعارض داون (المواليد المنغول) وصلت بهم إلى إمكان اكتشافه بفضل فحص دم الأم خلال حملها، بدلاً عن الأساليب المعقدة السائدة اليوم.

لنسارع إلى تعريف هذا العارض الذي يعود السبب الرئيسي فيه إلى الولادة والأم في عمر متأخر نسبياً. فمن ضمن سماته الظاهرة صغر رأس الوليد، وميلان في عينيه مع طبقة جلدية زائدة في زاوية العين الداخلية، وطية واحدة فقط في راحة كفه التي تكون صغيرة وقصيرة، وأنف أفطس، وضعف عام في العضلات، وبروز شبه دائم للسان الضخم من فم يكون صغير التجويف، إضافة إلى وجود بقع بيضاء في قزحية العين.

وأهم سماته غير الظاهرة التخلف العقلي. وهو عارض لا وقاية كاملة منه، رغم أن سن

الأم الصغيرة نسبياً تساعد على تلافيه، ولا علاج منه للمصاب به، ويكون العلاج فقط للأمراض التي تتكاثر عليه بسبب ضعف بنيته الجسدية والعقلية عموماً.

والوسيلة السائدة حالياً لمعرفة ما إن كان الجنين مصاب بتشوهات خلقية هي استخدام الحقنة عبر بطن الأم لسحب جزء من السائل المحيط به داخل الرحم وتحليله مخبرياً. لكن هذا الأسلوب يحمل معه أخطاراً من ضمنها إلحاق الأذى بالجنين نفسه، و/أو إجهاضه. ويسمى هذا الأسلوب amniocentesis بالإنكليزية.

لكن العلماء الهولنديون يقولون الآن إنهم توصلوا إلى الحل متمثلاً في أخذ عينة صغيرة من دم الأم وتحليلها، بحيث تكشف ما إن كانت كروموزومات الجنين تعاني من أي خلل، أو أن بينها تلك المرتبطة بعارض داون، أو أن حمض الجنين النووي يحتوي على مركبات غير عادية.

ورغم أن المحصلة النهائية هي نفسها، فإن أخذ عينة من دم الأم يتيح تفادي المخاطر المرتبطة بأخذ عينة السائل الجنيني مباشرة. لكن العلماء يضيفون أن هذا الأسلوب الجديد لن يكون متوفراً في الوقت الحاضر، وسيحتاج لفترة قد تطول من أجل تحسين فرص نجاحه، بحيث يمكن ضمان صحة نتائجه.

وكانت دراسة طبية بريطانية في مطالع العام الحالي قد وجدت زيادة كبيرة في عدد المواليد الذين يعانون من عارض داون في السنوات العشرين الأخيرة. وقال التقرير، الذي أصدرته كلية كوين ميري في جامعة لندن، إن النساء اللواتي يؤجلن الولادة إلى أعمار متأخرة نسبياً يقفن وراء نسبة 70 في المئة في ارتفاع عدد المواليد الذين يعانون من هذا العارض.

وأشار التقرير إلى أن احتمال ولادة طفل بعارض داون تكون حالة واحدة بين كل 940 مولوداً عندما تكون الأم في الثلاثين من عمرها. ويتعاظم هذا الاحتمال إلى واحدة بين كل 85 في سن الأربعين. ويذكر أن 60 ألف شخص في بريطانيا يعانون من عارض داون حالياً، وأن 40 إلى 50 في المئة من أطفاله يولدون بخلل ما في القلب، وأن 30 في المئة من هؤلاء يستلزمون عمليات جراحية لإصلاحه فور ولادتهم.

وأوضح أن نسبة البريطانيات اللواتي يقررن الإجهاض بعد تشخيص حملهن في فئة عارض داون ظلت ثابتة في 92 في المئة. ولكن بالنظر إلى عدد حالات التشخيص بالعارض الإجمالية، يلاحظ أن عمليات الإجهاض التي تعقبه سجلت زيادة كبيرة بالمقارنة مع 20 عاماً مضت. وبسبب تقدم وسائل الفحص الطبي نفسه، واستطاعته الكشف عن الأجنة بعارض داون في فترات مبكرة من الحمل، لوحظ أيضاً ارتفاع في عدد حالات إسقاط هذه الأجنة طبيعياً، وليس بعملية إجهاض جراحية.

ويذكر أيضاً أن متوسط عمر الفرد بعارض داون كان 15 سنة فقط في بريطانيا في الخمسينيات، لكن التقدم الطبي أتاح وصول هذا المتوسط إلى 62.5 سنة حالياً.

اختراق كبير في معالجة الباركنسون مع إزالة الأعراض الجانبية

هنالك احتمال كبير في انطلاق بحث مهم لمعالجة مرض الباركنسون بعد تمكن عدد من العلماء التغلب على الأعراض الجانبية المدمرة في معالجته.

أظهر زرع الخلايا المأخوذة من الأجنة المجهضة تغيراً في التأثير على الجهاز العصبي للمصابين بمرض الباركنسون، حيث أدى ذلك إلى قلب المسار بدلاً من استمرار التدهور إلى تحسن تدريجي له. وكان ذلك قد جرى للمرة الأولى خلال التسعينيات من القرن الماضي، لكن تم التخلي عن التجارب، لأن النتائج لم تكن مثل ما هو متوقع.

ففي حين وجد بعض المرضى تحسناً في الارتعاش والبطء والتصلب بعد العملية، ظهرت عند بعضهم الآخر حركات غير إرادية تعرف باسم "دايسكينسيا". وكانت الأعراض الجانبية لتلك العمليات خطيرة جداً، إلى الحد الذي أدى إلى إيقافها في عام 2001.

لكن باحثين بريطانيين أصبحوا اليوم مقتنعين أن مرض الـ"دايسكينسيا" قابل للعلاج بواسطة العقاقير.

وقال الدكتور ماريوس بوليتيس"، من جامعة رويال كوليج البريطانية، والذي قاد البحث، لمراسل صحيفة الديلي تلغراف إنه "بعد الإثارة الهائلة التي تحققت خلال التسعينيات من إمكانية زرع الخلايا الجذعية نحن الآن نعيش حالة الإثارة نفسها لهذا الاكتشاف القادر على فتح الباب للبحث في هذا المجال المهم مرة أخرى".

وأضاف الدكتور بوليتيس أن مرض الدايسكينيسيا هو العرض الجانبي المشترك للأدوية المخصصة لعلاج الباركنسون، لكن المرضى ظلوا يعانون من حركات أجسامهم بشكل غير إرادي عند توقفهم عن أخذ العقاقير.

وأجرت الدراسة الجديدة التي نشرت في مجلة "ساينس ترانسلايشنال مدسين" الطبية مسحاً لدماغي شخصين يعانيان من مرض الباركنسون وهما مصابان بمرض الدايسكينيسيا إثر إجراء عملية جراحية لكل منهما.

ووجد الباحثون العاملون مع الدكتور بوليتيس أن سبب العرض الجانبي هذا كان وجود

كمية تزيد عما هو مألوف من خلايا السيروتونين في النسيج المزروع. وهذا يمكن منعه من خلال استخدام الأدوية.

واقترح أعضاء الفريق الباحث القيام بإزالة خلايا السيروتونين هذه عن النسيج خلال إعدادهم للزرع، وهم يأملون أن تبدأ التجارب قريباً في هذا المجال.

معالجة الخرف قبل حدوثه ممكنة

كشفت دراسة أميركية جديدة عن إمكانية فحص ومعالجة البالغين في سن 25 سنة من مرض الخرف (الزهايمر) قبل سنوات من ظهور أي من أعراضه.

وأشارت ديلي تلغراف إلى وجود اعتقاد بارتباط البروتينات المسماة اللويحات النشوانية التي تتراكم في المخ لدى الذين يعانون من الخرف ببدء أعراض، مثل فقدان الذاكرة، والضعف العقلي.

ويزعم العلماء الآن أنهم أثبتوا وجود ارتباط بين إنتاج اللويحات وعملية منفصلة يحول المخ من خلالها السكر إلى طاقة، معروفة باسم تحلل السكر الهوائي.

وقد بينت الأشعة المقطعية لمجموعة من الشباب في سن 25 أن تحلل السكر الهوائي كان عالياً، خاصة في مناطق المخ نفسها، حيث تتراكم اللويحات النشوانية في المرضى المسنين، بمن فيهم المرضى الذين يعانون من الخرف.

وأثبتت النتائج وجود علاقة محتملة بين عملية إنتاج الطاقة في مرحلة الشباب وتطور مرض الزهايمر في طور لاحق.

وقد قارن الباحثون نمط تحلل السكر الهوائي لدى 33 شاباً، مع توزيع اللويحات النشوانية لدى 11 مريضاً بالزهايمر في سن الثمانين، و14 شخصاً عادياً كان لديهم تركيز عال من اللويحات في سن 75.

يذكر أن دراسات سابقة حددت اللويحات النشوانية سمة مميزة لمرض الزهايمر، لكن العلماء لم يثبتوا أن حجم ومكان ترسبات اللويحات مرتبط بأي نشاط سابق في المخ.

ومن المعلوم أن تحلل السكر الهوائي ينتج 5٪ من طاقة المخ، وتتفاوت مستوياته في كل مناطق المخ لدى الأشخاص الأصحاء.

علماء يكتشفون جينات طول العمر

لطالما انبهر علماء دراسة الشيخوخة من أولئك الأشخاص النادرين الذين لا يعيشون لسن المئة فقط، ولكن أيضاً من بقائهم أصحاء ونشطاء حتى آخر سنوات عمرهم.

فقد أوردت صحيفة إندبندنت أن باحثين أميركيين طوروا فحصاً جينياً يستطيع التنبؤ بما أن كان من المحتمل أن يعيش شخص ما حياة معمرة، لكنهم نبهوا إلى أن المجتمع مازال غير مستعد لمثل هذه التنبؤات.

ويعتمد الفحص على إجراء مسح كامل لجينوم الشخص (مجموع الجينات داخل خلية توالدية)، وحتى الآن يستطيع الفحص التنبؤ بما إن كان من المحتمل أن يعيش الشخص مئة عام بنسبة دقة تصل إلى 77٪. لكن التنقيحات التي تجرى على الفحص ستحسن دقته، الأمر الذي يزيد احتمال أن يستخدم الفحص يوماً ما للتنبؤ بما إن كان الشخص مهيأ وراثيا لعمر مديد.

ومن المرجح أن تقوم المؤسسات التجارية بتسويق الفحص خلال سنوات قليلة. لكن الباحثين حذروا من نشوء جدال شعبي حول المقتضيات الأخلاقية من هذا الفحص.

ويشار إلى أن الباحثين طوروا الفحص بتحليل جينوم 1055 معمرا تجاوزوا المئة من أنحاء مختلفة في العالم، وقارنوا الاختلافات البسيطة في حمضهم النووي بالتركيبة الوراثية لمجموعة من الأشخاص دون سن المئة.

ووجد العلماء أنه بالتركيز على 150 تحولاً فردياً فقط في الجينوم البشري سيكون بإمكانهم التنبؤ بدقة تصل إلى 77٪، ما إن كان شخص ما ينتمي لمجموعة المئويين.

وقال توماس بيريس، الذي قاد البحث من كلية طب بوسطن، أن هدف البحث هو فهم العلل الوراثية التي تجعل بعض الناس يعيشون حياة أطول من غيرهم رغم تشابه أساليب الحياة.

ووجد العلماء أن 90٪ من المئويين في الدراسة لديهم توقيع وراثي محدد بعمر مديد، مشار إليه بمجموعة خاصة من التحولات الوراثية التي أجروها.

كما وجد الباحثون أن 45٪ من أطول المعمرين، أولئك الذين فوق 110 سنة، لديهم توقيع وراثي بأعلى نسبة من التحولات المتعلقة بطول العمر.

وقال الأستاذ بيريس أن هذه التوقيعات الوراثية تشكل تقدماً جديداً نحو علم الجينوم الشخصي والطب التنبؤي، حيث إن هذه الطريقة التحليلية قد تثبت أنها مفيدة عموماً في منع وحجب أمراض كثيرة، وكذلك في الاستخدامات العلاجية المفصلة.

ومن المعلوم أن العمر المديد له مكون وراثي قوي، لأنه يميل لأن يسري في الأسر، بالرغم من أن أسلوب الحياة الصحي لا يقل أهمية.

وانتهي فريق البحث إلى أن هذا التنبؤ غير كامل، ورغم أنه قد يتحسن بمعرفة أفضل للتغيرات في الجينوم البشري، فإن قيوده تؤكد أن العوامل البيئية، مثل أسلوب الحياة، تساهم أيضاً بطرق هامة في قدرة البشر على الحياة لآماد طويلة جداً.

وقالت باولا سبستياني، مساعدة الأستاذ بيريس، أن المنهجية التي طوروها يمكن أن تطبق على سمات وراثية معقدة أخرى، مثل داء ألزهايمر، وداء باركنسون، ومرض القلب الوعائي، وداء السكري.

أميركا تحذر من علاج للصرع يسبب التهاب في الدماغ

حذرت إدارة الأغذية والعقاقير الأميركية الأطباء والمرضى من أن عقاراً لعلاج نوبات الصرع من إنتاج شركة غلاكسو سميثكلاين قد يسبب التهاباً نادراً بالدماغ والنخاع الشوكي.

وطبقاً لوكالة أسوشيتدبرس، قالت إدارة الأغذية والعقاقير إنها تعمل مع شركة غلاكسو البريطانية من أجل إضافة تحذيرات جديدة إلى عقار الشركة "لاميكتال".

وأضافت الإدارة إنها تلقت تقارير عن أربعين حالة من حالات التهاب السحايا العقيم بين عام 1994، الذي تمت فيه الموافقة على عقار لاميكتال، ونوفمبر الماضي.

وكان خمسة وثلاثون مريضاً بحاجة إلى دخول المستشفى لتلقي العلاج. وكانت الأعراض تظهر عادة خلال الشهر الأول من تناول العقار.

والتهاب السحايا العقيم هو التهاب خطير يصيب الدماغ والعمود الفقري، ويمكن أن يتسبب في الإصابة بالصداع والحمى والقشعريرة والتقيؤ، وقد تحدث هذه المشكلة بسبب الفيروسات والسموم وبعض الأدوية. وبصفة عامة يشمل علاج هذا المرض الذي يعالج نفسه في غضون أسبوعين تناول أدوية مضادة للألم.

ولاميكتال هو جزء من عائلة العقاقير المعالجة للصرع، وقد حصل أيضاً هذا العقار الذي حقق مبيعات بقيمة 778 مليون دولار في العام الماضي على موافقة إدارة الأغذية والعقاقير لعلاج الاكتئاب الهوسي.

وقالت شركة غلاكسو في بيان إنها ستضيف معلومات حول هذه المخاطر إلى دليل

للأدوية سيتم توزيعه على المرضى. ووفقاً للشركة فإن التهاب السحايا العقيم هو حدث نادر جداً.

علماء بريطانيون: أشعة سريعة للمخ يمكن أن تكشف عن مرض التوحد

أكد علماء بريطانيون أن الأطباء سيتمكنون مستقبلاً من إجراء أشعة سريعة للمخ في 15 دقيقة للكشف عن الإصابة بمرض التوحد، ما يساعدهم في تشخيص تلك الحالة المرضية المعقدة بتكلفة أرخص، وبصورة أكثر دقة.

وأوضح هؤلاء العلماء أن "اختبارهم السريع أثبت دقة بنسبة تزيد على 90 في المئة في فحص البالغين، وأنه ليس هنالك سبب يجعله لا يعمل بالكفاءة نفسها في فحص الأطفال".

دراسة تفسر هوس الشراء

كشفت دراسة نفسية حديثة أن المخ مسؤول عن ظاهرة هوس التسوق، أو ما يُعرف بحمى الشراء، التي تصيب بعض الناس، وخاصة النساء.

وأظهرت الدراسة التي أجراها معهد الدراسات الطبية في العاصمة التشيكية براغ أن حمى الشراء تكثر لدى النساء عبر تفاعلات في ثلاثة مراكز بالدماغ ينتج عنها قرار بالشراء.

وبحسب الدراسة، فإن الخطوة الأولى عندما يقع البصر على السلعة المثيرة للاهتمام والمراد شراؤها، فيبدأ المركز الذي يحدد ذلك بإفراز مادة كيميائية تسمى "دوبامين" هي المسؤولة عن لفت الانتباه.

ثم يقوم مركز آخر يسمى "إينسولا" بمعرفة السعر وقيمته المرتفعة التي لا تتناسب مع الإمكانيات المالية، لتبدأ معركة صامتة في الدماغ بين القلق والرغبة بالشراء.

وعندها يتدخل مركز ثالث في المخ ليقدم الحلول الوسطى، عبر طرح معادلة متوازنة ومناسبة بين المركزين الأول والثاني لتتم بعدها عملية الشراء.

يقول الطبيب النفسي يرجي تيل، المعروف في العاصمة براغ، إن هذا الاكتشاف سيساعد في عمليات العلاج في هذا المجال، خاصة لدى شريحة كبيرة من النساء يعانين من مشاكل في تبذير الأموال لمجرد دخولهن المتاجر الشهيرة.

وأضاف تيل للجزيرة نت أن أكثر مرضاه يعانون نفسياً واجتماعياً من الحمى الشرائية،

خاصة قبل الأعياد، حيث يكتشفون بعد مدة من الشراء أنهم تسرعوا وأهدروا المال دون ترو ثمناً لأغراض لا يحتاجونها، مما فاقم المشاكل العائلية.

الفراغ والقلق

ويشير تيل إلى أنه يقدم لمرضاه حلولاً نفسية عديدة في هذا المجال، تكون نسبة نجاحها حوالي 32٪ فقط.

غير أنه عاد ليؤكد أنه مع هذا الاكتشاف فإن طرح أدوية في هذا المجال سيساعد في العلاج الكامل، وبنسبة كبيرة، خاصة مع قراءة التفسيرات، وعملية تحديد المراكز التي يتم عبرها طريقة الشراء، ونسبة تفاعلها مع كل شخص عبر ظروف خاصة، ليتم التعامل معها بطرق علمية ومخبرية تسهل طريقة العلاج.

ويقول تيل إن الطب النفسي يُعرِّف الحمى الشرائية على أنها حالة هوس نفسي تفقد صاحبها السيطرة والتحكم بالإرادة، حيث يشعر صاحبها بالسعادة في البداية فقط والندم والكآبة والضيق في النهاية. وهي بمعنى آخر حالة سعادة اصطناعية سريعة للهروب من الواقع الذي ترافقه بعض المشاكل عبر متعة الشراء لرفع الروح المعنوية بشكل موقت.

وتابع قائلاً إن أسباباً عدة وراء الإصابة بالحالة، مثل الفراغ والغيرة والقلق والكآبة والمشاكل المعقدة اجتماعياً.

علماء يتعرفون إلى الإرهابيين من موجات الدماغ

بدأ علماء في جامعة نورثوسترن في مدينة شيكاغو بتطوير جهاز قالوا إنه قادر على كشف العمليات «الإرهابية» و«الإرهابيين المحتملين» من خلال قراءة موجات أدمغتهم، وصولاً إلى التدقيق بمعلومات قد تكون على صلة بالهجمات التي يخططون لها، مثل مكان وموعد العمليات.

ووفق ملخص حول البحث نشر في مجلة علم النفس، قام الطبيب جون ميكسنر ومعاونه بيتر روزنفيلد، بالطلب من مجموعة تلاميذ في الجامعة الإعداد لخطة إرهابية وهمية، كما جرى الطلب من مجموعة أخرى إعداد خطة لرحلة صيفية ترفيهية، وأظهرت عمليات المسح الدماغي وجود فوارق كبيرة في طبيعة الموجات الدماغية بين المجموعتين.

وقالت الدارسة إن المجموعة التي خططت للعملية الوهمية قررت تنفيذها في مدينة هيوستن، وقد تمكن جهاز مسح الموجات الدماغية من رصد نشاط فائق لدى أفراد هذه

المجموعة، عندما قام الأطباء بعرض قائمة تحمل أسماء مدن أميركية عليهم، تضم مدينة هيوستن.

وذكرت الدراسة أن العلماء ركزوا على موجة دماغية تحمل اسم P300، لأنها تنطلق في الدماغ مرة كل 300 ميلي ثانية، وهي عادة ما ترتبط بتذكر المرء لأمور خطيرة، وقد تمكنوا بالفعل من رصدها في أدمغة المجموعة «المتآمرة».

وشرح ميكسنر أهمية الكشف قائلاً: «بفضل رصد الموجة P300 تمكنا من تحديد 10 من بين 12 إرهابياً محتملاً، كما تمكنا من الحصول على 20 من أصل 30 تفصيلاً، يتعلق بموعد وكيفية تنفيذ الهجوم».

وأشار ميكسنر إلى أن هذا الأسلوب في تحديد الإرهابيين المحتملين أفضل من أجهزة كشف الكذب، لأنه يوسع المجرمين المتمرسين أو الجواسيس التلاعب بمعطيات هذا الجهاز والحفاظ على هدوء أعصابهم، بينما قد يرتبك الأبرياء، وتظهر عليهم علامات تدفع المحققين للشك بتورطهم في الجرائم.

غير أن ميكسنر لفت إلى أن أسلوب قراءة موجات الدماغ يعاني من عيب أساسي، وهو ضرورة أن يكون لدى المحققين رأس خيط في التحقيقات، أو بعض الحقائق لعرضها على المشتبه بهم ورصد ردود أفعال أدمغتهم، أما إذا افتقدوا تلك الحقائق الأولية، فسيكون عملهم صعباً للغاية، لأنه سيكون عليهم الاعتماد على الحظ.

كما أن موجة P300 قد تكون خادعة في بعض الأحيان، إذ إنها تظهر انفعال المرء لدى ذكر أمر معين، ولكنها لا تشرح بالضرورة سبب ذلك، فقد تظهر لدى ذكر مكان ما أمام المشتبه به، ولكنها لا تعني بالضرورة تخطيطه لعملية تستهدف المنطقة، بل قد تؤشر إلى وجود ذكريات سيئة له من الماضي مرتبطة بها.

لكن ميكسنر قال إنه رغم النقص الذي يعاني منه النظام حالياً، إلا أنه يبقى أفضل من أجهزة كشف الكذب، كما أن الإمكانات المستقبلية لتطويره وجعله أكثر دقة متوافرة.

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW.Filnafs.com

WWW.Psyinterdisc.com

WWW.Psychiatre- naboulsi.com

حوار مع إدوارد ألكسندر
يهود يكرهون إسرائيل

صدر كتاب "الانقسام اليهوديّ حول إسرائيل: بين المعارضين والمؤيدين"(1)، وهو مجموعة من المقالات اشترك في جمعها وتحريرها بول بوغدانور، وإدوارد ألكسندر، أستاذ الإنجليزية في جامعة واشنطن، وصاحب عديد المؤلفات، منها:

The Resonance of Dust: Essays on Holocaust Literature and Jewish Fate
The Jewish Wars: Reflections By one of the Belligerents and Classical Liberalism and The Jewish Tradition.

حول الكتاب، أجرى جيمي غلازوف، من فرونت بيج ماغزين(2) الأميركية حواراً مع إدوارد ألكسندر.

❖ في رأيك، ما هو السبب الذي جعل عدداً كبيراً من اليهود يتحوّلون إلى أعداء للدولة اليهودية؟ متى بدأت هذه الظاهرة بالتحديد؟ وما هي دوافعهم الحقيقية؟

إفترضَ عدد كبير من المفكّرين اليهود منذ وقت طويل أن اليهودية والليبرالية وجهان لعملة واحدة، أو أنهم اعتقدوا بأنّ اليهودية تسير على منهج ثابت، من السياسات اليمينية إلى السياسات الليبرالية واليسارية في إسرائيل، وصولاً إلى الجناح اليساري من الحزب الديموقراطي في الولايات المتحدة الأميركية. لقد كان معظم الليبراليين اليهود يؤازرون (أو على الأقل يقبلون ضمناً) وجود دولة إسرائيل طالما كان وجودها يتناغم مع مثلهم الليبرالية، سيما في سنوات ما بعد المحرقة. لكنّ حرب حزيران/ يونيو غيّرت هذا كله. وبات لزاماً على المفكّرين اليهود أن يختاروا بين الإبقاء على "نقاء" مثلهم الليبرالية، أو الدفاع عن الدولة اليهودية المطوقة.

ما حدث أن العرب أثبتوا ذكاءً أكبر في حرب الأفكار منه في حرب البنادق. إذ أسقطوا شعارات شأن تدمير إسرائيل، أو تحويلها إلى مجرد أنقاض. كما أعادوا تعريفهم للصراع بين العرب وإسرائيل، بحيث بات مطلبهم هو البحث عن وطن للعرب الفلسطينيين المشرّدين. لقد مارس هذا التغيير الجذريّ في خطابهم سحره الكبير على الليبراليين عموماً، وعلى الليبراليين اليهود على نحو مخصوص. وكلّما كرّس الرأي العام "التقدّمي" صورة إسرائيل السلبية، التي سببتها الأخطاء المزعومة التي ارتكبتها إسرائيل، تاق المفكرون اليهود للهروب من العار الذي لحق بهم جراء اقترانهم بالدولة الإسرائيلية والصهيونية.

إن من يقرأ الهجوم الذي يطلقه المفكرون اليهود ضدّ إسرائيل سوف يلاحظ ترديدهم اللافت لعبارتي "العار"، أو "الإحراج"، اللتين تُسمعان على نحو متواصل في حفلات الكوكتيل، أو في ردهات الكليات التي يدرّسون فيها. وأما الجبن الشديد، ومن دون ريب، فهو دافعهم للشعور بالخجل والعار. ثمّة دافع آخر لعدد كبير منهم، وهذا ما يثير دهشتي، حلّله ألفن روزنفيلد على نحو واضح في مقالته "هزيمة المفكّر اليهودي الحديث"(3) التي قدّمنا بها كتابنا.

يعتمد التأثير الذي أحدثه اليهود المعارضون لإسرائيل بشكل كبير على أن معظمهم كيهود جعلوا إسرائيل على صورة شيطان. وبما أن الدين والإرث لا يعنيان لهم سوى القليل، فإنّ تحويل إسرائيل إلى صورة شيطان هي التي تجعل منهم يهوداً. فبالنسبة لهم لم يعد القول الذي جاء على لسان حاييم حزاز في عام 1942 "عندما لا يستطيع المرء أن يكون يهودياً، يصبح صهيونياً" صالحاً. إذ تحول عندهم ليصبح: "عندما لا يستطيع المرء أن يكون يهودياً، يصبح معادياً للصهيونية". كما أنهم جهروا معتمدين على خيلائهم الشخصية وإثنيتهم، بمثلهم و"يهوديتهم" النقية من خلال الإعلان عن أنفسهم بأنهم إلى جانب دولة يهودية مسالمة.

❖ كيف استطعت أن تحدّد اليهود المعارضين لإسرائيل وتجمعهم في كتابك هذا؟

لم تكن مهمّة سهلة على الإطلاق. فنطاق البحث كان كبيراً جداً. ولسوء الحظّ، هنالك عدد كبير من اليهود المعادين لإسرائيل، ممّن يخطبون ويكتبون في هذه الأيام، ما يقتضي موسوعة كاملة لتغطيتهم. حاولنا المضيّ خلف أصحاب الأتباع الأكثر والنفوذ الأكبر. فتشومسكي مثلاً يتحكّم بجماهير واسعة، ليس بالمئات، بل بالآلاف (سيما في أوروبا). وهنالك نورمان فينكلشتين، ذراعه اليمنى، والذي راجت كتاباته في ألمانيا، رغم أن دارسين عديدين، بمن فيهم دارسون ألمان، عدّوا كتاباته غير جديرة بالقراءة.

لقد قرّرنا بعد تردّد أن نفرد مقالة لإسرائيل شاحاك، رغم أنه اليهوديّ الذي حاز على أكبر إعجاب في تاريخ العداء للسامية. ولأنه كذلك، وكما يعلم الجميع، فالصحافة الإنجليزية تروّج لأعماله، حتى أن صحيفة مثل الغارديان، وهي المشهورة بعدم تعاطفها مع اليهود، تنشر أعماله على حلقات. لا يحتاج المرء إلى المضيّ بعيداً في قراءته لشاحاك ليعرف بأنّ الرجل معتلّ العقل، وهو الذي شقّ طريقه من خلال إعادة إنتاج الدعاية النازية عن اليهود واليهودية. وكان لزاماً علينا أن نورده في الكتاب بسبب تواتر ذكره على ألسنة معادين متحمّسين ضدّ إسرائيل، من أمثال ألكسندر كوكبرن، والراحل إدوارد سعيد. وحتى البي بي سي، والإن بي إر(4) عدّتا أنه من المناسب إبراز حملاته المعادية للصهيونية واليهودية والمحرقة. لكن، ورغم كل شيء، أليس هو إسرائيلي، ويهودي، وناجٍ من المحرقة؟

أودّ هنا أن أعبّر عن أسفي، أنا وبغدانور، لأننا أغفلنا ذكر عديد المعادين لإسرائيل في كتابنا هذا. أو تعلم؟ غالباً ما نتخيّل إحباطهم وهم يفتّشون في الكتاب عن أسمائهم ولا يجدونها. ولهم نقدّم اعتذارنا.

❖ ما هو الحيز الذي تشغله المحرقة في الموقف العالمي لليهود المعادين لإسرائيل؟

حيز هائل. فمعظمهم يعتقدون، وعلى نحو خاطئ بالطبع، أن الضمير الأوروبي المثقل بالذنب بسبب المحرقة هو الذي أوجد إسرائيل. بينما في الواقع وُلِدت إسرائيل، بالرغم من المحرقة التي قتلت قسماً كبيراً من اليهود ذوي النزعات الصهيونية، وليس بسببها.

ما انفك العديد ممّن يؤمنون بأنّ إسرائيل جاءت إلى الوجود بسبب المحرقة، شأن فينكلشتين، وبيتر نوفيتش، بالإضافة إلى عدد من الإسرائيليين اليساريين، يهاجمون ذاكرتها، ويزدرون أيّ يهوديّ يجرؤ على ذكرها. كما يضع بعضهم اللوم على ذاكرة المحرقة اليهودية، ويحمّلونها مسؤولية "التصلّب" الإسرائيلي المزعوم حيال العرب الفلسطينيين، ومسؤولية الفكرة الوهمية (بالنسبة لهم)، والتي تقول إن العرب يريدون أن يمحوا إسرائيل من الوجود. وأما آخرون فيضعون اللوم على تلك الذاكرة لكونها صرفت أنظار اليهود عن القضايا الليبرالية التي وُجدوا في العالم من أجل ترويجها. إذ لا يكتفي جورج شتاينر، وهو صاحب مقالة في الكتاب، في مسرحيته سيئة الصيت عن هتلر بتحميل اليهودية مسؤولية المحرقة، بل يحكم لصالح حلّ أخير للمسألة اليهودية، بوصف هذا الحلّ خطوة في الطريق إلى اليوتوبيا.

يرى فينكلشتين أن المحرقة في الأساس بناء أيديولوجيّ مكّنت اليهود من ابتزاز المصرفيين السويسريين، أو الصناعيين الألمان الذين لا حول لهم ولا قوة. وأما تشومسكي،

وكما يعرف الجميع، فقد اشترك فعلاً مع من أنكروا المحرقة من الفرنسيين.

❖ أو تعتقد بأنّ ثمّة عامل مسيحيّ، أو إسلامي، عند من يعارضون إسرائيل ويتّهمونها؟

على الصعيد الديني، ثمّة رابطة قويّة يمكن للمرء أن يراها عند أشخاص، شأن شتاينر، أو توني جودت، وهما موضوع لمقالة كتبها بنيامين بالينت، بين التسيّد المسيحي، أي الفكرة التي عبر عنها أوربغون راعي الكنيسة، والتي تقول "مع نهاية الزمن، ستنتهي اليهودية"، وبين ما اكتشفه اليهود الكارهون لإسرائيل بأنها فرد شاذّ في عائلة الأمم، ويجب أن تزال من الوجود. لكنني لست أرى رابطاً دينياً بين من يكرهون إسرائيل من اليهود وبين الإسلام. هنالك رابط سياسي قويّ (ولو أنه متناقض). فمن المعروف أن الليبراليين اليهود يعارضون وبشدّة "المبادرات التي تقوم على أساس الإيمان"، مع استثناء لافت، وهو الانتحاريون الإسلاميون. إن الحماسة التي يبديها كارهو إسرائيل اليهود للانتحاريين، والتي يجدها المرء عند الكندي مايكل نيومان، أو الإنكليزية جاكلين روز، تمهّد لآفاق جديدة لكراهية اليهوديّ لذاته.

❖ ما هو التأثير الذي مارسه هؤلاء في أميركا وأوروبا وإسرائيل؟

إنّه تأثير مهول. فأناس شأن الراحل يشاياهو ليبوفيتز، وهو فيلسوف إسرائيلي، لم يكونوا معروفين في أوروبا إلى أن بدأ يروّج لنسخته الخاصّة من الرواية الإسرائيلية التي تقول بالتطابق ما بين النازية وإسرائيل. في إنجلترا، بإمكان المرء أن يرى الهجوم الشديد على إسرائيل، ما جعل البريطانيين يتفوّقون في كراهيتهم على جميع البلدان الأوروبية الأخرى. نرى ذلك عند أشخاص يهود شأن المسرحيّ هارولد بنتر، وغيرهم كثر. إن من بدأ المقاطعة الأكاديمية لإسرائيل هم يهود بريطانيون. فمنذ سنوات مضت كان جويل بينين، وهو رئيس تجمّع الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأميركية، وأستاذ في جامعة ستانفورد، يعبّر عن خيبته النابعة من وجود دولة يهودية على هذا الكوكب. كما عنيت معظم الأقسام، أو المراكز التابعة لدراسات الشرق الأوسط، التي اعتبرت محو الدولة اليهودية من الوجود هدفاً مهنياً رئيساً على نحو خاص بملء مناصبها باليهود الرافضين لإسرائيل.

❖ في رأيك، ما الذي يكمن خلف الفكرة التي تقول بالتطابق بين اليهودية والنازية، والتي يستخدمها أعداء إسرائيل في إدانتهم لها؟ وهل يستخدمون هذا السلاح؟

إنها ترفع عن كاهل النازيين والأوروبيين وزر الجرائم التي ارتكبوها بحقّ اليهود. إذا كان اليهود سيّئين بقدر النازيين، أكانت جريمة ضدّ الإنسانية أن يباد اليهود؟ وإذا كان الإسرائيليون نازيين، فسيكون العرب الفلسطينيون هم "اليهود". أما إن لم يكن من تطابق بين النازيّ والإسرائيليّ، فيجدر بأشخاص شأن تشومسكي أن يلزموا الصمت.

❖ ما الذي يدفع اليهودي لأن ينكر مفهوم النزعة المعادية للسامية؟ ولمَ يشترك هذا اليهوديّ نفسه مع تلك النزعة؟

ببساطة، هو الجبن. فمن دافع عن أقليتنا المطوّقة لم يكونوا من الجبناء. لكنْ ثمّة تاريخ طويل لهذا الجبن. وهذا ما يدعو للأسف. انظر مثلاً كتاب ساندر جيلمان اللافت "كراهية الذات اليهودية" (5). إن المشكلة الأكبر التي نشأت عن إنكار نزعة العداء للسامية كائنة في القول القديم: "إنّ من يشفق على الظالم سوف ينتهي بغضّ طرفه عن البريء".

❖ ما كانت مشاعرك الشخصية عندما حرّرتَ هذا الكتاب؟

كانت مزيجاً خاصاً من الألم والغبطة في آن. تألّمت لأنّ قراءة ما يطلقه أشخاص شأن شتاينر، أو جوديث بتلر، أو مارك إليس، أو دانييل بويارين، من عبارات تقتضي منا أن نردّ عليهم بما يشبه حذاءً عصرياً. أمّا غبطتي فقد نبعت لأنّني وضعت في ذهنين وعلى الدوام، قولاً قديماً "في دمار الأشرار ثمّة سعادة".

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

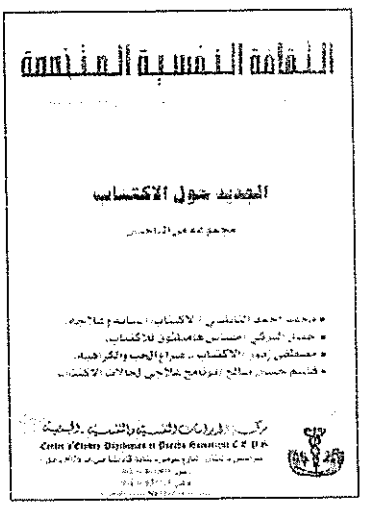

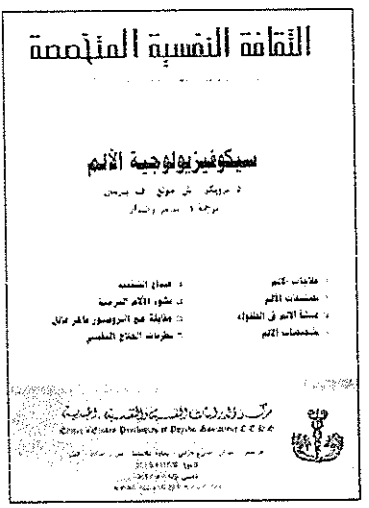

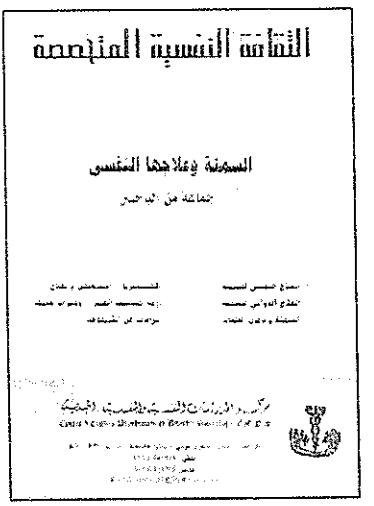

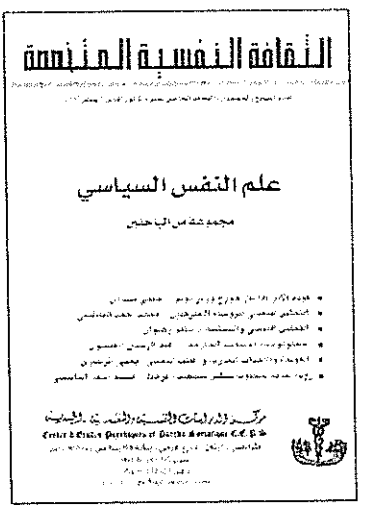

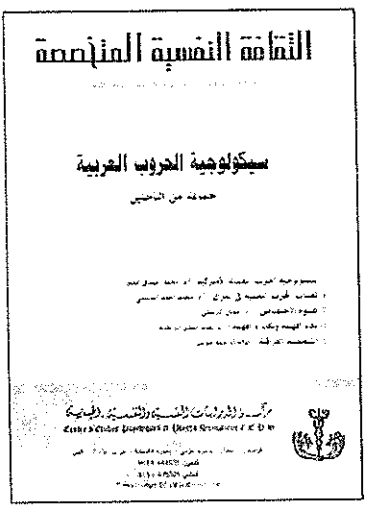

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية
يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW. FILNAFS. COM
WWW. PSYINTERDISC. COM
WWW. PSYCHIATRE- NABOULSI. COM

القدرة على حل المشكلات
لدى ضعاف القراءة في المرحلة الابتدائية

أ. محمود قندوز - أستاذ مشارك
د.إسماعيل لعيس - مساعد
قسم علم النفس. المركز الجامعي بالوادي الجزائر.

ملخص الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن علاقة القدرة القرائية بالقدرة على حل المشكلات لدى عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المقارن على عينة مكونة من 68 تلميذاً من الجنسين من الصف الرابع الابتدائي تتراوح أعمارهم بين 9 و11 سنة، وقسمت إلى مجموعتين متساويتين: مجموعة القراء العاديين (34)، ومجموعة من الأطفال ضعاف القراءة (34).

تم تصنيف أفراد العينة بصورة أولية بالاعتماد على آراء المعلمين ونتائج التلاميذ في مادة القراءة، ثم بإجراء اختبار قراءة للتعرف على مستوى القدرة القرائية. تم تطبيق اختبار مشكل برج هانوي على جميع أفراد العينة بهدف قياس القدرة على حل المشكلات لدى كل فرد، ومن ثم مقارنة نتائج المجموعتين من القراء. أظهرت نتائج اختبار "ت" وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القراء العاديين وضعاف القراءة في القدرة على حل المشكلات وفقاً لمعياري الزمن المستغرق في حل المشكلة وعدد خطواته. تم تفسير نتائج البحث في إطار وجود علاقة بين ضعف الأداء القرائي والقدرة على حل المشكلات، حيث تمثل صعوبة تعلم القراءة مظهراً لخلل معرفي يكمن في ضعف القدرة اختيار الإستراتيجيات الملائمة لعملية القراءة والبطء في معالجة المعلومات.

الكلمات المفتاحية: الضعف القرائي، حل المشكلات، القدرة القرائية، الاستراتيجيات المعرفية حول المعرفية.

Solving problems ability in poor readers student in the elementary grades

Dr. Smail LAYES Mahmoud GUENDOUZ
Assistant professor Assistant
Department of psychology – El-Oued university center- Algeria

Abstract:

This study aims to discover relationship between reading skill and solving problems ability among a sample of primary school students .The study relied on descriptive comparative approach on a sample of 68 students of both sexes from fourth elementary school level ،aged between 9 and 11 years ،divided into two equal groups: Group of normal readers (34) and poor reader group (34).

individuals were classified firstly on the base of the teachers opinions and the results of students in reading scholar exams and then a reading test was administered to identify the level of reading skill for each subject. the Tower of Hanoi test problem also applied to measure solving problems ability. t-test comparison results showed the existence of statistically significant differences between normal readers and poor readers in solving problems ability according to both criteria of time of solving problem and the number of steps. These findings were interpreted in the context of a relationship between poor performance in reading and solving problems ability ،that reading learning difficulty would be an manifest appearance of cognitive deficit lies in a low ability in both selecting appropriate strategies and processing information in reading tasks.

Key words: reading weakness ،solving problems ability ،reading skill ،cognitive and meta-cognitive strategies.

مقدمة البحث:

1 . دور استراتيجيات حل المشكلات في التعلم:

يعتمد التعلم الحقيقي أكثر من مجرد حفظ المعلومات واسترجاعها ، بل على طرح تساؤلات رئيسة من أجل بناء المعرفة. فالتعلم الحقيقي يبدأ بشعورنا بالحاجة إلى التعلم، وهذا الشعور غالباً ما يرتبط بمواقف صعبة تظهر فيها المشكلات. إن هذه المواقف التي تظهر فيها العقبات لا تتضمن المعلومات كافة التي تعين على الحل، وهي مواقف ديناميكية وغير ثابتة ، بل إن نظرتنا للمشكلة تتغير أثناء محاولتنا لفهمها ، وهنالك دائماً أكثر من طريقة واحدة للتعامل معها ، أو لحلّها.

ثبت أن فئات عدة للمشكلات تستخدم مهارات مشتركة ، هذا ما قاد علماء النفس إلى

محاولة فهم حل المشكلات بطريقة أخرى، أو بالأحرى البحث ومحاولة التحديد الفئات الكبرى للمهارات المعرفية من خلال الفئات الكبرى للمشكلات، أراد العلماء دراسة ماذا يفعل الأشخاص في وضعية حل المشكلات دراسة دقيقة.

وأصبح السؤال المطروح هو: ما نوع الإستراتجيات التي يستعملها الأشخاص في حل المشكلات؟

حل المشكلات، كأي نشاط معرفي، الهدف منه اكتشاف أي متتالية عمليات عقلية تكمل المهمة، فكلما وجد علماء النفس طرقاً أكثر تكون وضعيتهم أحسن لاكتشاف هذه العمليات، نقطة الالتقاء بين النتائج في حل المشكلات، كأي نشاط معرفي يسمح بكسب ثقة أكبر من خلال المعطيات المهيأة، ومن خلال الاستنتاجات التي يتوصلون إليها.

يرى Gineste.M (1977) أن مراحل حل المشكلة تمر بسبعة مراحل تسير بشكل دائري، حيث سماها دائرة حل المشكلة (Problem Solving cycle)، وتشمل المراحل التالية:

شكل (01): الحل الدائري للمشكلة (Gineste.M,1977)

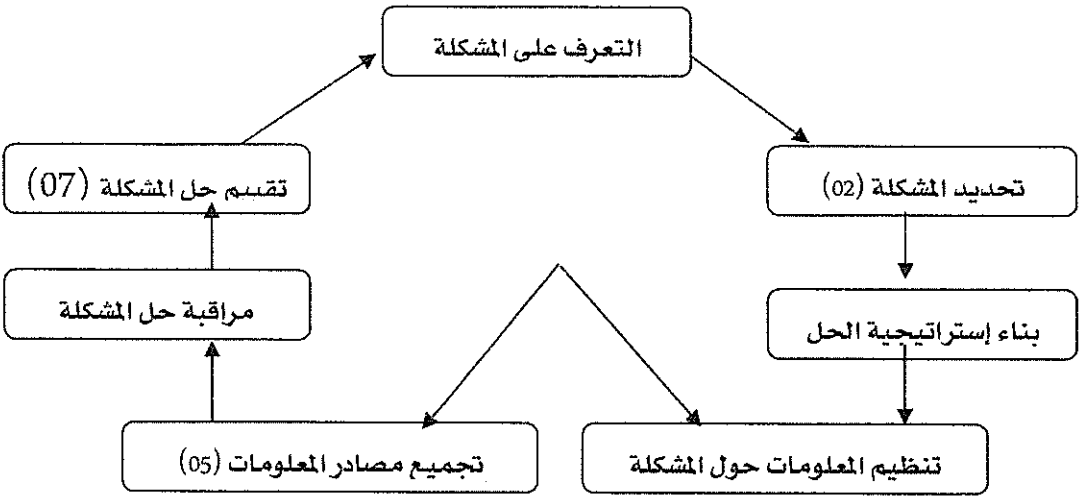

إن اهتمام العلماء باستراتيجيات حل المشكلات نابع من قناعتهم بأن حل المشكلة هي مهارة قابلة للتعلم، من خلال تعلم خطوات حل المشكلة، والقدرة على تعلم الاستراتيجيات التي تساعد على تحقيق الحل بأقل جهد وأسرع وقت ممكن.

2 . الخصائص الاستراتيجية المعرفية لدى ضعاف القراءة:

يتأسس تعلم القراءة والفعل القرائي على عدد من العمليات المعرفية المنسجمة في نمو وتفاعل دائمين، حيث تعمل القدرة على تعلم القراءة في إطار متكامل توجهه النية والقصد من التعلم والمعارف السابقة حول نظام القراءة، لذلك فإنه كلما زادت قدرة الفرد على استعمال هذه المعارف السابقة وأساليب معرفية متنوعة كلما زادت مهارة القراءة لديه (Martinez.J.P,1992).

لقد اقترن لدى الباحثين في هذا المجال نوعان من الاستراتيجيات ذات الطابع المعرفي، والتي يتأسس عليها الفعل القرائي:

- الاستراتيجيات المعرفية (cognitive strategies): تمثل مجموعة من السيرورات الذهنية لدى القارئ لإنجاز الهدف من القراءة (Saint-Laurent,1991,In:Van grunderbek,1994)، وبالتالي فهي التي تسهم في جمع ومعالجة المعلومات المتضمنة في النص المقروء، فمنها ما هو قابل للتمظهر، كتحديد الكلمات الأساسية في النص، ومنها ما هو كامن، مثل القصد من القراءة، أو الصور الذهنية المرافقة لفعل القراءة.

- الاستراتيجيات حول المعرفية (meta cognitive strategies): وهي نمط ثانٍ من استراتيجيات التعلم وحل المشكلات، وتعكس وعي الفرد وقدرته على التحكم في الاستراتيجيات المعرفية وفي العوامل الوجدانية (Goupil & Lusignan,1993 In:Van grunderbek,1994).

لقد بينت بعض الدراسات (Martinez.J.P,1992) أن ضعاف القراءة يتميزون بضعف في "التقييم الذاتي" والتعبير عن عملية التفكير التي ترافق القراءة، ويتصفون "بالتصلب" على المستوى المعرفي، من حيث الميل إلى استعمال الاستراتيجية نفسها في نشاط القراءة لأشكال مختلفة من النصوص، والتي تعكس اختلاف في نمط الخطاب المستعمل (سرد، حوار.. إلخ).

كما يتميز الأطفال ضعاف القراءة بصعوبات في تنشيط واسترجاع المعارف السابقة حول القراءة، لذلك يلاحظ عليهم صعوبات كبيرة على مستوى الفهم. على النقيض من ذلك، فإن القارئ العادي (أو الجيد) يظهر قدرات أكبر ليس فقط في استعمال متنوع لاستراتيجيات القراءة، حسب نمط الخطاب في النص المقروء، بل كذلك الوعي والتعبير الصريح عن هذه الاستراتيجيات، وتوظيف المعارف السابقة. وبالتالي فإن الفرق الأساسي بين القارئ العادي وعسير القراءة من جهة، وبين القارئ المبتدئ والقارئ الكفء من جهة ثانية، في مستوى القدرة على تنشيط وتوظيف المعارف السابقة حول القراءة، وتكييفها حسب الموقف، أو الوضعية التي يوجد فيها الفرد.

3 . دور حل المشكلات في اكتساب استراتيجيات القراءة:

يتضح مما سبق أن القارئ العادي يستخدم كل طاقته ومصادره المعرفية بهدف التوصل إلى التعرف على الكلمات وفهم معانيها بالنظر إلى طبيعة القراءة التي هو بصدد إنجازها. ففي كل وضعية جديدة للقراءة يعمل القارئ على تنشيط وتوظيف الاستراتيجيات المعرفية والمعارف المكتسبة؛ غير أن الطفل الذي يعاني صعوبة تعلم القراءة يكون مستوى قدراته المعرفية وحول المعرفية لا يؤهله للتحكم في هذه العناصر في كل موقف جديد، الذي يمثل "موقف مشكلة" (problem-situation) من حيث أنه موقف متكامل ذو أبعاد ثلاثة: قارئ، نص وسياق.

فأكبر قدر من الصعوبة التي يواجهها المعسور في تعلم القراءة تتمثل في "حل المشكلة" المتضمنة للعناصر والرموز الكتابية، أي أن الصعوبة مركز في النص المقروء، رغم ما يتلقاه الطفل على الدوام من تعليم لقواعد التحويل الحرفي الصوتي واستراتيجيات فك الرموز الكتابية.

تتضمن معالجة المعلومات الخاصة باللغة الكتابية في موقف القراءة، الاعتماد على العمليات المعرفية التي ترتبط "بنمط" و"نوعية المعارف" (type of knowledge) المراد معالجتها واكتسابها، وهي عمليات يمكن تحفيزها وتوظيفها باستعمال استراتيجيات مختلفة بوسائل ملاحظة، أو غير ملاحظة كما سبقت الإشارة إليه. هذه الأنماط من المعارف نجدها كذلك في نشاط القراءة (Lafontaine,D,2003):

- المعارف التصريحية: تسمح بالتعرف على الاستراتيجيات المستعملة وتتمحور حول "ماذا؟"، و"ماهو؟". مثل، ما هي القراءة.
- المعارف الإجرائية: تسمح بالتعرف على طريقة التنفيذ والإنجاز، وتتمحور حول استراتيجية "كيف؟".
- المعارف البراغماتية: تتمحور حول استراتيجية "لماذا؟" و"متى؟".

إن ما يبدو كميزة مشتركة لدى ضعاف القراءة، بمختلف مستوياتهم، هي "السلبية الذهنية"، حيث يجدون صعوبة في الربط بين المعارف حول القراءة، ولا يطرحون على أنفسهم إلا قدراً ضئيلاً من التساؤلات، مما يجعلهم أكثر اتكالية على المعلم وتوجيهه. من هنا تظهر أهمية وضع هؤلاء الأطفال في إطار وضعيات حل المشكلات، لأنها تمثل المواقف الحقيقية والواقعية التي يتم من خلالها تحفيز استعمال استراتيجيات مختلفة لحلها، بدءاً من الشعور بوجود مشكلة، ثم تصور واضح لها باستيعاب مكوناتها وعناصرها ووضع فرضيات لحلها، ومن ثم التحقق منها. لكن لا يعني أن يترك الطفل يواجه وضعيات قراءة معقدة لوحده دونما

مرافقة وتوجيه، بل يتطلب الموقف البيداغوجي تتبع حل المشكلة مع الطفل مرحلة بمرحلة.

شكل(2): مكونات وضعية المشكلة القرائية

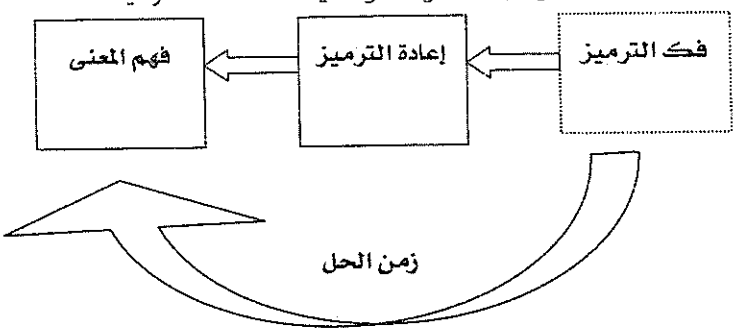

يمثل التعلم عن طريق حل المشكلات منهجاً للتعلم والاكتساب يندرج ضمن التيار البنائي في علم النفس المعرفي. فحسب Schmidt (1993) كان المنطلق نظرة Dewey إلى تكوين المعرفة، حيث أوضح بأن هذه الأخيرة لا تنتقل كما هي إلى الفرد المتعلم، بل إنه يقوم بدور نشط ليحصل على التعلم، ومن ثم إنشاء منهج تعليم مبني على مشكلات من الواقع كمنطلق أساسي للتعلم، مع التركيز على تنمية القدرة على التعلم المستقل لدى الطفل، وذلك تحت تأثير أفكار Bruner حول "الاكتشاف الذاتي" و"الدافعية الداخلية" كعوامل محفزة للطفل.

يتفق هذا التوجه مع المعطيات التجريبية للدراسات الحديثة في علم النفس المعرفي، التي بينت ما يكتسيه تعليم استراتيجيات التعلم بصورة عامة، واستراتيجيات القراءة بشكل خاص، من فعالية وأهمية بالنسبة للفرد المتعلم، بناء على مقارنة أقسام التعليم "الكلاسيكي"، وأقسام التعليم المنظم لاستراتيجيات تعلم القراءة، مما انعكس إيجابياً لدى أطفال الأقسام التجريبية على التعرف على الكلمات والفهم. ذلك أن ضعاف القراءة والفهم لم تكن لديهم القدرة الكافية على استعمال استراتيجيات القراءة الفعالة، كما يفتقرون إلى مهارة تكييف هذه الاستراتيجيات وفق نمط المعارف والمعطيات، أي حسب السياق.

إذن، تمثل دراسة الاستراتيجيات المعرفية في القراءة توجهاً حديثاً في مجال دراسة القدرة القرائية يختلف عن التوجهات الأخرى السائدة التي تعتبر "فعل القراءة" واكتسابه يمثل "متوالية من المهارات"، حيث تقيم كل منها بصفة منفردة عن بقية المهارات. ففعل القراءة وتطوره من المنظور "المعرفي البنائي" الحديث يتأسس على سيرورات معرفية في تطور وتفاعل مستمرين، فتتحقق القدرة القرائية وفقاً لتصور متكامل ومندمج يوجهها الهدف من القراءة، والمعارف السابقة حول القراءة (Martinez,1986,1994 ;Romainville,1993 ;Tardif,1994).

إشكالية البحث:

تمثل القراءة أهم مادة تعليمية بالنسبة للتلميذ، كونها مفتاح كل المكتسبات المدرسية، لهذا فقد لقيت اهتماماً كبيراً من الباحثين والتربويين انصب على الكشف عن مكونات القراءة وجوانبها المختلفة، وكذا دراسة العوامل التي تؤدي إلى النجاح، أو الفشل فيها، بالإضافة إلى وضع البرامج التي من شأنها زيادة كفاءة القارئ.

إن هذا الاهتمام البالغ الذي تعنى به عملية القراءة لا يرجع فقط لكونها أساس التعلم، بل يعود أيضاً إلى عدد الأطفال ذوي صعوبات تعلم القراءة الذين تصل نسبتهم إلى ما يقار20٪ من الأطفال المتمدرسين (Inizian ,1998).

وقد اختلفت الاتجاهات في تفسير هذه الظاهرة، إلا أن الاتجاه المعاصر، والقائم على مبادئ علم النفس المعرفي، يرى أن صعوبات تعلم القراءة ترجع أساساً إلى خلل معرفي، من حيث العجز في استخدام السيرورات المعرفية، وحول المعرفية الخاصة بالأداء القرائي السليم، هذه السيرورات هي التي تتيح للقارئ معالجة الوحدات الخطية، وتحويلها إلى وحدات منطوقة مع تحليل معانيها، مما يتطلب مقدرة فونولوجية عالية. فالطفل الذي يعاني صعوبة تعلم القراءة لا تؤهله قدراته المعرفية، وحول المعرفية، للتحكم بعناصر المادة المقروءة وتفسيرها، حيث أن وضعية القراءة، أو موقف القراءة، ما هو إلا "موقف - مشكلة"، وبالتالي فصعوبة تعلم القراءة يمكن النظر إليها على أنها عدم قدرة القارئ على استخدام الأدوات اللازمة لفك الرموز الخطية، ثم استيعاب معاني المادة المكتوبة. هذه الأدوات تتعلق في الغالب بالقدرة على حل المشكلات (La fontaine. D,2003).

إن القدرة على حل المشكلات تختلف بحسب درجة تعقيد المشكلة في حد ذاتها، كما تختلف من فرد إلى آخر، وأوجه الاختلاف والتفاوت في هذه القدرة تكمن في زمن وعدد خطوات حل المشكلة، فالانتقال من مرحلة ابتدائية، والتي هي موقف المشكلة، إلى مرحلة نهائية، والتي هي حل المشكلة، لا يكون في الفترة الزمنية نفسها، ولا بعدد الخطوات نفسها من فرد لآخر.

في هذا الإطار، نحاول من خلال هذه الدراسة الكشف عن علاقة صعوبات تعلم القراءة بالقدرة على حل المشكلات بالسعي إلى الإجابة على التساؤلات التالية:

* هل هنالك فروق ذات دلالة إحصائية بين ضعاف القراءة والقراء العاديين في القدرة على حل المشكلات؟

* هل هنالك اختلاف في زمن حل المشكلة بين القراء العاديين وضعاف القراءة؟

* هل هنالك اختلاف في عدد خطوات حل المشكلة بين القراء العاديين وضعاف القراءة؟

فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القراء العاديين وضعاف القراءة في القدرة على حل المشكلات.

الفرضيات الجزئية:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في زمن حل المشكلة بين القراء العاديين وضعاف القراءة.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في عدد خطوات حل المشكلة بين القراء العاديين وضعاف القراءة.

أهداف الدراسة:

نهدف من وراء هذه الدراسة إلى:

- التعرف على بعض خصائص استراتيجيات معالجة المعلومات لدى ضعاف القراءة من خلال تقييم مستوى القدرة على حل المشكلات.
- الكشف عن العلاقة بين القدرة على حل المشكلات ومستوى الأداء القرائي، حيث أن إبراز هذه العلاقة يفتح المجال لدراسات أخرى تبحث طرق تأثير استراتيجيات حل المشكلات في الأداء القرائي وكيفية التحكم فيها وتلقينها لضعاف القراءة.
- إبراز أهمية القدرة على حل المشكلات في اكتساب الطفل للقراءة، ومن ثم إبراز أهميتها في تأهيل صعوبة تعلم القراءة عند الطفل.

حدود الدراسة:

إن محددات نتائج هذه الدراسة ترتبط بالعينة الخاضعة لمهام تقييم القدرة على حل المشكلات من المجتمع الأصلي، حيث جاءت محصورة في عدد محدود من المدارس، مما يعد محدداً في تعميم النتائج. كما أن الدراسة الحالية تقتصر على معياري عدد خطوات حل المشكلة وزمن الحل، ولم يراعَ نمط الاستراتيجيات المستعملة لظروف منهجية تتعلق بالخصائص الذاتية لأفراد عينة الدراسة، لا سيما السن.

التعريف الإجرائي لمفاهيم الدراسة:

المشكلة: تعرف بأنها موقف يواجهه الفرد يحول بينه وبين الوصول إلى الهدف بسبب عدم وجود، أو نقص الأدوات، أو المعلومات، أو الاستراتيجيات، أو الخبرات المتوافرة لدى الفرد. وقد اعتمدت الدراسة على مشكل برج هانوي كنموذج لمشكلة أداتية.

حل المشكلة: هو عملية فكرية يسعى الفرد خلالها للوصول إلى هدف معين يصعب تحقيقه، بسبب عدم وضوح أسلوب الحل، وصعوبة تحديد الأدوات المستخدمة في حل المشكلة. فحل المشكلة في هذه الدراسة يتمثل في حل مشكل برج هانوي وفقاً لمعياري الزمن المستغرق، وعدد الخطوات المنجزة في حل المشكل.

القراءة: عملية تحويل رموز كتابية إلى رموز منطوقة، والتمييز بينها، واستخلاص معانيها، وتتطلب هذه العملية تنسيقاً بصرياً، سمعياً، حركياً، ذهنياً. في سياق هذا البحث، القراءة عبارة عن موقف مشكلة يتكون من حالة ابتدائية، وهي نص القراءة، وحالة هدفيه تتمثل في تحويل مكونات النص الخطية إلى أصوات مسموعة ذات معنى، بحيث يتم تقييم مستوى القراءة وتصنيف الأفراد إلى قسمين: قراء عاديون، بما في ذلك القراء الجيدون، وضعاف القراءة باستعمال اختبار قراءة معد لهذا الغرض.

ضعف القراءة: عجز جزئي في القدرة على قراءة وفهم المقروء، سواء كانت هذه القراءة صامتة، أو مسموعة.

الدراسة الاستطلاعية:

أجريت هذه الدراسة بهدف معرفة مدى إمكانية تطبيق مشكل برج هانوي لدى أطفال ضعاف القراءة مقارنة بأقرانهم عاديي القراء. اعتمدت الدراسة على مجموعتين من الأطفال المتمدرسين في الصف الرابع ابتدائي، وتتكون المجموعة الأولى من 6 أطفال عاديين، أما المجموعة الثانية فتمثل أطفال ضعاف القراءة، وتتكون هي الأخرى من 6 أطفال. جاءت نتائج تطبيق مشكل برج هانوي كالآتي:

جدول (1) نتائج تطبيق مشكل برج هانوي لدي أطفال ضعاف القراءة

أفراد العينة	الزمن المستغرق (ثانية)	عدد الخطوات	نوع الإستراتيجية
1	332	15	/
2	401	21	العشوائية
3	600	19	/
4	578	23	/
5	688	33	/
6	300	17	/
المتوسط الحسابي	483.16	21.33	

يظهر من خلال نتائج تطبيق مشكل برج هانوي على أفراد عينة الأطفال ضعاف القراءة أنهم استغرقوا وقتاً طويلاً في حل المشكل، كما أننا لم نتوصل إلى تحديد نوع الإستراتيجية المستخدمة في حل مشكل برج هانوي ما عدا فرد واحد من العينة.

جدول (2) نتائج تطبيق مشكل برج هانوي لدى القراء العاديين

أفراد العينة	الزمن المستغرق (ثانية)	عدد الخطوات	نوع الإستراتيجية
1	250	9	تقليل الفروق
2	347	11	/
3	210	9	/
4	507	15	/
5	170	11	/
6	201	17	/
المتوسط الحسابي	280.83	12	

ما يلاحظ من نتائج القراء العاديين في حل مشكل برج هانوي أنها كانت أفضل مقارنة بضعاف القراءة، سواء في الزمن المستغرق، أو عدد الخطوات، لكن تبقى نوع الإستراتيجيات المستخدمة لدى الأطفال غير واضحة، وغير محددة، كما أن الوقت المستغرق يبقى طويلاً نسبياً.

خلصت الدراسة الاستطلاعية إلى عدم إمكانية تحديد نوع الإستراتيجية المستخدمة في حل مشكل برج هانوي، وهذا عند مجموعتي الدراسة، لكون طريقة البروتوكولات اللفظية تؤثر سلباً على زمن حل المشكلة، كما أن الأطفال لم يتمكنوا من ترجمة أفكارهم أثناء

حل المشكل، وهذا ما حال دون تحديد نوع الإستراتيجية المستخدمة عند كل طفل، وبالتالي تم إهمال هذه الخطوة، واقتصر الاهتمام على زمن وعدد خطوات حل مشكل برج هانوي.

الدراسة الأساسية:

منهج الدراسة:

بالنظر إلى طبيعة الموضوع، والهدف من الدراسة الذي يتمثل في كشف العلاقة بين القدرة على حل المشكلات ومستوى الأداء القرائي، يمكن تحقيق هذا الهدف من خلال القيام بمقارنة القدرة على حل المشكلات بين عينة من قراء عاديين، وقراء من ذوي صعوبات تعلم القراءة، وعلى هذا الأساس اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المقارن، فهو الأنسب الذي يوائم طبيعة الموضوع، ويمكن بواسطته اختبار الفرضيات والتحقق منها.

عينة الدراسة:

تم الاعتماد على عينة عشوائية من 68 فرداً من أصل تلاميذ أربع مدارس ابتدائية تابعة للمقاطعة التربوية الأولى لولاية الوادي. وقسمت إلى مجموعتين متساويتين عددياً:

المجموعة 1: تتكون من 34 فرداً تمثل مجموعة القراء العاديين من الصف الرابع ابتدائي، وتتراوح أعمارهم بين 9 و11 سنة من الجنسين.

المجموعة 2: وتتكون من 34 فرداً تمثل مجموعة من الأطفال ضعاف القراءة من الصف الرابع ابتدائي، وتتراوح أعمارهم بين 9 و11 سنة من الجنسين.

نشير إلى أن أفراد العينتين سالمين من مختلف العاهات الحسية، حيث تم استبعاد الحالات التي تعاني خللاً بصرياً، أو لغوياً.

تم تصنيف أفراد العينة حسب مستوى القدرة القرائية بصورة أولية بناء على آراء المعلمين ونتائج التلاميذ في امتحان مادة القراءة، ثم إجراء اختبار القراءة للفصل بين نوعين من القراء العاديين (بما في ذلك المستوى الجيد) وضعاف القراءة.

أدوات الدراسة

أ. اختبار القراءة: الهدف منه الفصل بين القراء العاديين وضعاف القراءة، وهذا الاختبار عبارة عن نص بسيط يتكون من 125 كلمة، روعي فيه ملاءمة مستوى تلاميذ الصف الرابع ابتدائي، وكذا كون النص جديداً، أي لم يسبق لأحد أفراد العينة أن قرأه في صورته

الحالية. كما يحتوي الاختبار على أسئلة حول النص تخص جانب الفهم (لعيس، 2008).

ب. مشكل برج هانوي:

تمثل وضعية حل المشكلات نموذج لوضعيات اصطناعية ظاهرياً، ورغم أننا لا نحل مشكل برج هانوي يومياً، إلاّ أن وضعية مشكل برج هانوي يبسط خصائص وضعيات المشكل التي نصادفها يومياً. ففي كل مشكل يجب تحقيق هدف من خلال وضعية انطلاق، وللوصول إلى هذا الهدف يمكن استخدام طرق عدة.

شكل (3): اختبار برج هانوي (ثلاثة أعمدة)

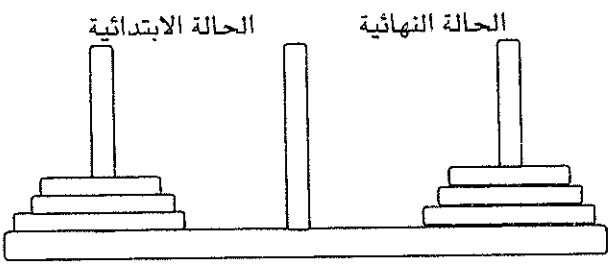

في هذا النموذج (المشكل) ثلاثة سيقان وثلاث حلقات، كما هو مبين في الشكل (3). فالحلقات الثلاث في الحالة الابتدائية موضوعة على أحد السيقان، وفي وضعية الوصول (الحالة النهائية) يجب أن توضع الحلقات على الساق المقابلة، وبالترتيب نفسه.

بصفة عامة، يمثل مجال المشكل مسالك عدة تسمح بالوصول من الحالة الابتدائية إلى الحالة النهائية، أو الحالة الهدف، وهذه المسالك غير متساوية في المسافة والتكلفة، ويوجد غالباً مسلك أقصر من كل المسالك الذي يمثل الحل الأجود والأحسن. وقد تم اختيار "برج هانوي" المكون من ثلاثة حلقات في بحثنا، وهي تمثل أبسط شكل (Eysenck &Keane ، 1995).

اختبار القراءة:

تم تطبيق اختبار القراءة المعد سلفاً لهذا الغرض (لعيس، 2009)، والهدف الأساسي في هذا البحث هو التمييز بين مجموعتين طرفيتين من القراء في عينة الدراسة، بتوضيح فارق ذو دلالة بين هاتين المجموعتين، فاختبار القراءة في هذا الإطار يندرج ضمن توجه الاختبارات التي تسعى لتحديد "مؤشرات" حول القدرة على القراءة، اعتماداً على معايير الأخطاء والسرعة (Dubosson,1975).

عرض النتائج:

في ما يلي عرض لحوصلة النتائج من المجموعتين، بعد تطبيق اختبار القراءة، واختبار برج هانوي، ومن ثم إجراء حساب الفروق بين المجموعتين وفق كل معيار.

جدول 3: درجات المجموعتين من القراء في اختبار القراءة واختبار برج هانوي

المجموعة	عدد الأخطاء		عدد الخطوات		الوقت المستغرق	
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف
القرّاء العاديين	,51	,940	2,201	4,04	46,61	20,8 5
ضعاف القراءة	9,73	,1 91	76,20	7,50	27,671	42,30

جدول 4: الفرق في نتائج اختبار القراءة بين ضعاف القراءة والعاديين: عدد الأخطاء في نص القراءة

المجموعة	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
ضعاف القراءة	34	9.73	.911	66	31.32	.010
القراء العاديين	34	.51	.940			

يظهر من خلال الجدول وجود فرق ذو دلالة بين متوسطي عدد الأخطاء القرائية بين مجموعتي القراء العاديين وضعاف القراءة في عينة الدراسة في مستوى دلالة 01. وهو ما يبين أن قدرة اختبار القراءة المستعمل على التمييز بين فئتين من القراء بالاعتماد على معيار عدد الأخطاء في عملية القراءة.

جدول 5: الفرق في نتائج اختبار القراءة بين ضعاف القراءة والعاديين : عدد الإجابات الخاطئة في فهم نص القراءة.

المجموعات	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة
ضعاف القراءة	34	4.02	.041	66	7.45 1	.010
القراء العاديين	34	.11 1	.86 0			

يظهر من خلال الجدول وجود فروق ذو دلالة بين متوسطي عدد الإجابات الخاطئة في فهم نص القراءة بين مجموعتي القراء العاديين وضعاف القراءة في عينة الدراسة في مستوى دلالة 1. وهو ما يبين أن قدرة اختبار القراءة المستعمل على التمييز بين فئتين من القراء بالاعتماد على معيار عدد الإجابات الخاطئة في فهم نص القراءة.

ب. مشكل برج هانوي:

لاختبار القدرة على حل المشكلات تم تطبيق مشكل برج هانوي على أفراد عينة الدراسة بصورة فردية، بالاعتماد على معياري احتساب الزمن المستغرق، وعدد خطوات حل المشكل.

جدول 6: الفرق بين ضعاف القراءة والعاديين في نتائج اختبار حل مشكل برج هانوي: الزمن المستغرق في الحل

المجموعة	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة "ت"	ستوى الدلالة
ضعاف القراءة	34	27.671	42.3	66	3.961	.010
القراء العاديين	34	46.61	20.85			

يتضح من خلال قيمة "ت" أن هناك فرق ذو دلالة إحصائية بين القراء العاديين وضعاف القراءة في الزمن المستغرق في حل مشكل برج هانوي، وبالتالي فإن ضعاف القراءة يقومون

بحل المشكل في وقت أطول من القراء العاديين.

جدول 7: الفرق بين ضعاف القراءة والعاديين في نتائج اختبار حل مشكل برج هانوي: عدد خطوات حل المشكل.

المجموعة	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
ضعاف القراءة	34	20.76	7.5	66	8.15	.010
القراء العاديين	34	2.21	4.04			

يتضح من خلال قيمة "ت" أن هنالك فروقاً ذو دلالة إحصائية بين القراء العاديين وضعاف القراءة في عدد خطوات حل مشكل برج هانوي، وبالتالي فإن ضعاف القراءة يقومون بحل المشكل بعدد أكبر من الحركات اللازمة والصحيحة مقارنة بالقراء العاديين. يرتبط، إذن، المؤشران السابقان مع بعضهما بعضاً في وضعية حل المشكلة، حيث تؤثر زيادة عدد الخطوات في زمن حل المشكلة.

2. تحليل ومناقشة النتائج:

بالنظر إلى النتائج المحصل عليها بعد تطبيق اختبار برج هانوي على عينة الدراسة، ضعاف القراءة والقراء العاديين، وعلى ضوء فرضيات البحث، يمكن أن نستخلص ما يلي:

- يلاحظ بصفة عامة أن معدل عدد خطوات حل المشكلة عند ضعاف القراءة أكبر منه لدى القراء العاديين، وبعد حساب قيمة "ت" ودلالتها الإحصائية بين القراء ضعاف القراءة والعاديين تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين العينتين. ومنه تحقق الفرضية الأولى التي نصت على وجود فرق في زمن حل المشكلة بين الأطفال العاديين وضعاف القراءة.

- يلاحظ أن متوسط الزمن المستغرق في حل المشكلة عند ضعاف القراءة أكبر منه لدى القراء العاديين. فبعد حساب قيمة "ت"، ودلالتها الإحصائية بين ضعاف القراءة والعاديين، تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين، ومنه تحقق الفرضية الثانية التي مفادها وجود فروق في عدد خطوات حل المشكلة بين الأطفال العاديين وضعاف القراءة.

مما سبق، نشهد تحقق الفرضية العامة للبحث التي نصت على وجود فروق ذات دلالة

إحصائية بين ذوي صعوبات تعلم القراءة والقراء العاديين في القدرة على حل المشكلات.

في ضوء ما سبق ذكره من نتائج، يمكن الإقرار بتحقق الفرضيات، حيث أن هنالك علاقة بين صعوبة تعلم القراءة والقدرة على حل المشكلات. فالصعوبة التي يواجهها الطفل الذي يعاني صعوبات في تعلم القراءة تتمثل في "حل مشكلة" العناصر والرموز الكتابية (la fontaine)، أي أن الصعوبة مركزة في النص المقروء، رغم ما يتلقاه الطفل على الدوام من تعليم لقواعد التحويل الحرفي ـ الصوتي واستراتيجيات فك الرموز الكتابية.

إن معالجة المعلومات الخاصة باللغة الكتابية في موقف القراءة تتضمن أساساً الاعتماد على العمليات المعرفية المراد معالجتها واكتسابها (Type of knowledge)، والتي ترتبط بـ"نمط ونوعية المعارف"، وهي عمليات يمكن حثها وتوظيفها باستعمال استراتيجيات مختلفة بوسائل ملاحظة، أو غير ملاحظة، هذه الأنماط من القراءة نجدها كذلك في نشاط القراءة (La fontaine، 2003).

لقد طبعت التصورات الراهنة حول صعوبات تعلم القراءة، في مجال علم النفس المعرفي وعلم النفس العصبي، مفهومها ووسائل تقييمها وطرق التعليم الموجهة للتغلب عليها، فأضحت هذه الصعوبات تتمثل بشكل جوهري في خلل في معالجة المعلومات. فأشكال التفكير والسيرورات والاستراتيجيات المعرفية هي بالتالي المسؤولة عن ضعف الأداء لدى ضعاف القراءة، حيث يجدون صعوبة في الربط بين المعارف حول القراءة.

إنَ ما يظهر كميزة مشتركة بين ضعاف القراءة بمختلف مستوياتهم هي "السلبية الذهنية"، حيث لا يطرحون على أنفسهم إلا قدراً ضئيلاً من التساؤلات، مما يجعلهم أكثر اتكالية على المعلم وتوجيهاته. ومن هنا تظهر أهمية ربط صعوبات تعلم القراءة بحل المشكلات، من خلال وضع هذه الفئة من الأطفال في مواقف حل المشكلات، لأنها تمثل المواقف الحقيقية التي تحفز الطفل على استخدام استراتيجيات مختلفة لحلها، بدءاً من الشعور بالمشكلة، وصولاً إلى تنفيذ الحل، والتحقق منه.

يرتكز تعلم القراءة على عدد من العمليات كما يرى أن (Martinez 1992) تتمحور في مجملها في القدرة على حل المشكلات، بحيث تساعد على تعلم القراءة في إطار متكامل توجهه المعارف السابقة المتراكمة حول نظام القراءة، لذلك كلما زادت قدرة الفرد على استعمال هذه العمليات كلما زادت مهارة القراءة لديه.

إن ما يؤكد إلى حد كبير الصلة الترابطية بين القدرة القرائية والقدرة على حل المشكلات، ما استخلصه Martinez من مقارنة بين ضعاف القراءة والقراء الجيدين تمحورت

حول طبيعة السيرورات المعرفية التي يستعملها كلا الصنفين أثناء عملية القراءة، حيث توصل إلى أن ضعاف القراءة يتميزون بضعف في عملية التقييم الذاتي والتعبير عن عملية التفكير التي ترافق القراءة. والتصلب على المستوى المعرفي من حيث استعمال الإستراتيجية نفسها في نشاط القراءة لأنماط مختلفة من النصوص تعكس اختلاف في نمط الخطاب المستعمل (سرد، حوار.. إلخ).

كما يتميز هؤلاء الأطفال بصعوبات في تنشيط واسترجاع المعارف السابقة، لذلك يلاحظ لديهم صعوبات كبيرة على مستوى الفهم الذي يتطلب سرعة ودقة في معالجة الرموز الخطية من حيث الانتقال من التعرف على صور الرموز المشكلة للكلمة، ثم حفظها بشكلها الصحيح، دون إبدال، أو قلب، أو تحريف، وبعدها نطقها الصحيح مع تحليل المعنى في الوقت ذاته، هذه العملية هي التي تمثل مظهر الصعوبة عند ضعاف القراءة ذلك أنهم يفشلون بدرجات مختلفة في القيام المنسق بين خطوات حل هذه المشكلة.

(تعرف على الصور الخطية ← حفظ سليم ← نطق ← + معنى).

في المقابل، نجد أن القراء الجيدين يقومون بتلك العملية بدقة وتنسيق كاملين وفي وقت مناسب، بالإضافة إلى استعمال متنوع لإستراتيجيات القراءة، وتوظيف سليم للمعارف السابقة.

خلاصة:

يتضح مما سبق أن القارئ العادي يستخدم كل طاقاته ومصادره المعرفية من أجل الوصول إلى التعرف على الكلمات، وفهم معانيها بالنظر إلى طبيعة القراءة التي هو بصددها، وبذلك فهو في كل وضعية جديدة للقراءة يعمل على تنشيط وتوظيف الاستراتيجيات المعرفية والمعارف المكتسبة، غير أن الطفل الذي يعاني من صعوبات تعلم القراءة لا تؤهله قدراته المعرفية (وحول المعرفية) للتحكم في كل وضعية، أو موقف، قراءة جديد، هذا الأخير لا يعدو أن يكون "موقف مشكلة"، من حيث أنه موقف كلي متكامل ذو أبعاد ثلاثة: قارئ، نص، نسق (أو سياق). كما أن الاختلاف الجوهري بين القارئ الكفء والقارئ المبتدئ من جهة، والقارئ العادي وضعيف القراءة من جهة ثانية، يكمن في مستوى القدرة على حل المشكلة، وتوظيف المعارف السابقة حول القراءة (الخبرة)، وتكييفها حسب الموقف، أو الوضعية.

القدرة على حل المشكلات نشاط معرفي تتدخل فيه مجموعة من السيرورات، كالتركيز، والإدراك، والذاكرة، والانتباه، التي لها دور كبير في تحديد مستوى الأداء القرائي لدى التلميذ، وفي حالات ضعف توظيف هذه العمليات يؤدي إلى ظهور خلل في القدرة

القرائية لتصل إلى حد عسر القراءة، وهي النتيجة نفسها التي تنتج عن قصور في القدرة على حل المشكلات، من مبدأ ما ينطبق على مجموعة الأجزاء ينطبق على الكل.

يمكن القول، إذاً، إن صعوبة تعلم القراءة تمثل عجزاً في أداء خطوات حل المشكلة القرائية: فك الترميز، وإعادة الترميز، وفهم المعنى. ويكمن هذا العجز في:

- أخطاء في عملية فك الترميز الخطي الصوتي.
- أخطاء في عملية إعادة الترميز.
- عجز عن التعرف على معاني ما تم تحويله من شكله الخطي إلى الشكل الصوتي.
- بطء عملية فك الترميز.

توصيات وآفاق البحث:

تعتبر مهارة حلّ المشكلات من المهارات الأساسيّة التي تشغل حيّزاً كبيراً من النشاط الفكري الإنساني، والتي ينبغي على التعليم العام تنميتها في إطار مهمّته في إكساب الفرد المهارات الضروريّة للعيش في المجتمع. وإذا كان اكتساب المعارف والمهارات يشكّل الهدف العام للتعليم المدرسي، فإن تعليم القراءة يمثل دائماً الهدف الأول الذي تنطلق منه الاكتسابات الأخرى، لذلك فهو أكثر ما يهتم به المشتغلون في مجال التعليم.

في ضوء نتائج البحث الحالي، يمكن القول إن انتهاج التعليم القائم على حل المشكلات يتيح للتلاميذ الذين يعانون صعوبة تعلم القراءة، بصفة خاصة، وذوو صعوبات التعلم بصفة عامة تعلم استراتيجيات قرائية متنوعة، بالإضافة إلى استراتيجيات حول معرفية تمكنهم من التحكم في الاستراتيجيات الأولى.

من جانب آخر، تمثل وضعيات حل المشكلات عاملاً مهماً في الرفع من مستوى الدافعية لدى الطفل، من حيث أنها تتيح له أداء نشاطات لها دلالة وقيمة، لأنها تتطلب حل مشكلة حقيقية، مما يجعله يشعر بقيمة النشاط الذي يؤديه، خاصة وأن هذه النشاطات تتم في إطار مجموعات صغيرة من الأطفال، وفقاً لما تقتضيه هذه الطريقة، فيصبح المتعلم هو المسؤول عن أدائه وتطوره، ومن ثم يكتسب نوعاً من المراقبة الذاتية.

ومع أن الدراسة توصلت إلى نتائج أولية حول علاقة صعوبة تعلم القراءة بالقدرة على حل المشكلات توافقت في معظمها ونتائج الدراسات الأجنبية، إلا أنها تحتاج إلى دراسات أخرى تتناول الموضوع مع الأخذ بعين الاعتبار مجموعة من الاعتبارات المنهجية:

- اعتماد الدراسة على عينات واسعة تمثل مستويات تعليمية مختلفة، بالنظر إلى دور

عامل السن في نمو القدرة القرائية، والقدرة على حل المشكلات.

- توسيع مجال موضوع الدراسة بالأخذ بعين الاعتبار أنواع الاستراتيجيات المعرفية المستخدمة في الفعل القرائي من جهة، واستراتيجيات حل المشكلات من جهة ثانية.

يرى الباحثان أن نتائج هذه الدراسة يمكن أن تثير نقاط عديدة محفزة على البحث والدراسة في هذا الموضوع، ومنها:

- بناء، أو تكييف، اختبار مقنن لقياس القدرة على حل المشكلات في وضعيات القراءة، وكشف الاستراتيجيات المعتمدة في ذلك.
- بناء برامج علاج صعوبات تعلم القراءة قائم على تنمية الاستراتيجيات المعرفية الخاصة بعملية بالقراءة.
- انتهاج تعليم يتمحور حول حل المشكلات في إطار تحسين القدرة القرائية لدى ضعاف القراءة.

قائمة المراجع:

- لعيس إسماعيل (2009)، علاقة الوعي الفونولوجي بمستوى القدرة القرائية لدى تلاميذ الطور الابتدائي.
- عسيري القراءة، مجلة الطفولة العربية، العدد 38، الكويت، ص28 ـ 46.
- Dubosson. J .(1975) Savoir lire ،élaboration d'une méthode de lecure ،Révue francaise de pédagogie,37,1976.13-24.
- Eysenck ،M. W. & Keane ،M. T. (1995) . Theories of perception ،movement ،and action. In Cognitive Psychology: A Student's Handbook ،Lawrence Erlbaum ، Hillsdale ،USA.
- Gineste.M.(1977) :Analogies et cognition ،presse universitaire de France
- Grono.J.G (1978).Natures of problem-solving-abilities. In W.K ،handbook of learning and cognitive process ،5 ،239-270.
- Inizian.A (1998) . Et si la dyslexie n'existait pas ? psychologie et éducation ،3، 33-49.
- La fontaine.D (2003) .comment faciliter ،développer et évaluer compréhension des textes aux différente étapes de la scolarité primaire ? Conférence de con-

sensus sur l enseignement de la lecture a l école primaire ‹4-5 décembre 2003 ‹ Liège .

- Lewin. L (1992). Integrating Reading and Writing Strategies using an alternating teacherled student selected instructional patter ». The reading teacher ‹45 ‹8
- Martinez . J. P. 1(986).Nouvelles perspectives d'évaluation en lecture . Nouvelles perspectives scolaires1 ‹98 ‹69-77.
- Martinez .J. P (1994). Le concept de prévention des difficultés d'apprentissage. Actes du Xve congrès ‹Association préscolaire du Québec.
- Niwell.A & Simon.H (1972).Human problem solving ‹Englewood chifs.Hall.
- Romainville. M (1993). Savoir parler de ses méthodes. Debroeck: Université.
- Schmitt ‹M.C. & Hopkins ‹C.J. 1(993). Metacognitive Theory Applied : Strategic Reading Instruction in the Current Generation of Basal Readers . Reading Research and Instruction,32 ‹3.
- Tardif. J (1994). L'évaluation du savoir-lire : une question de compétence plutôt que de performance ‹in Boyer J .Y & Dionne J.P. & Raymond P. (dir.) Évaluer le savoir lire. Montréal ‹Éditions Logiques ‹69-102.
- Van grunderbeeck. .N 1(994) .Les difficultés de lecture. ed Gaëtan Morin.
- Zimmerman ‹B. J ‹(1990).Self-regulated learning and academic achievement: An overview. Educational Psychologist ‹25 ‹3-17.

الطفولة العراقية وألفية الحرب

فراس عباس فاضل البياتي
جامعة الموصل

المقدمة

لم تشهد الطفولة العراقية منذ ما يقارب ثلاثة عقود، أو أكثر، حالة الرفاهية التي يتمتع بها أطفال العالم، بل إن الطفل العراقي يحيا حياة تشوبها التشنجات والعوز والخوف والقسوة والمستقبل المليء بالمؤشرات السلبية، وسط مجتمع فرض عليه أن يكون عسكرياً، وجائعاً، ولعل هذا يعود إلى أسباب عديدة، أهمها (سياسية، واقتصادية، واجتماعية)، لتلقي بالطفولة العراقية في مستنقعات الفقر والبؤس والعمل الإجباري على حساب التعليم والتثقيف والحياة الهانئة. وقد تبدو ظاهرة ضياع الطفل العراقي واضحة للعيان منذ عقد الثمانينيات من القرن المنصرم، وازداد ذلك في عقد التسعينيات، حيث الحرب والحصار الذي عصف بحياة حوالي نصف مليون طفل عراقي.

وقد سلكت الطفولة العراقية مسالك خطيرة جداً بعد احتلال العراق في 2003/4/9، وما صاحب المجتمع من انفلات أمني، لتأخذ الظاهرة بعداً آخر هو العنف، وما أفرزه من صور دامية ستحتفظ بها ذاكرة الأجيال لفترات لاحقة، والتي ستكون لها انعكاسات اجتماعية خطيرة دفعتنا كمتخصصين في قضايا السكان والطفولة إلى الكشف عن الواقع المهين للطفولة العراقية في أرض تملؤها الخيرات، لكن تعصف بها الحروب والمشاكل. أما الهدف من هذه الدراسة فهو التعرف على الظروف المهيمنة على العراق، وعلى سكانه بشكل عام، وعلى فئة الأطفال بشكل خاص. وأهميتها تكمن في محاولة علمية لطرح مشكلة اجتماعية ديموغرافية باتت تسكن بيوت الأسر العراقية.

تبدو المشكلة في أساسها كارثة اجتماعية خطيرة في ظل الأعداد غير المحصورة برقم معين، فكل يوم يتيتم طفل، وتترمل امرأة، ليترك الأب خلفه عشرات الضحايا تفترسهم الأيادي الخفية، بينما الوطن مفتوح على كل الاحتمالات. وقد أشارت مصادر بتقدير عددهم لغاية شباط 2002 بأكثر من 5 ملايين و200 ألف طفل يتيم، يعاني معظمهم من سوء التغذية، والأمراض المزمنة، والانتقالية، وقسم كبير منهم من ذوي الاحتياجات الخاصة. وتضم بعض دور الأيتام عدداً قليلاً منهم، وهي بدورها فقدت مصداقيتها بعد الصور المرعبة التي تسربت من إحدى الدور الحكومية لوسائل الإعلام، وكشفت حقيقة الانتهاكات لصور أطفال أبرياء بالإمكان تعداد فقرات ظهورهم النحيلة. والقسم الأكبر من الأطفال اليتامى يعيشون بلا مأوى، حفاة عراة، تحتضنهم شوارع غير آمنة، وسط عصابات الجريمة المنظمة في العراق. وأشارت بعض وسائل الإعلام إلى استخدام بعض من الأطفال اليتامى، أو أطفال الشوارع في عمليات التفخيخ التي تستهدف الأبرياء من العراقيين.

المبحث الأول/ الإطار النظري للبحث

• موضوع البحث

تلعب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في أي بلد كان دورها الفاعل في حياة سكانها بكافة فئاتها (الطفولة ـ الشباب ـ الشيخوخة)، والظروف التي مر به مجتمع العراق أثرت سلباً على حياة سكانه، وخاصة الطفولة، وهي موضوع بحثنا، فكانت الطفولة مستهدفة بشكل مباشر، وغير مباشر، وخاصة في العقدين المنصرمين، والتي تركت صوراً خطيرة على أطفال العراق، وكانت سبباً في موت كثير منهم، وحرمان الآخرين من الآباء، فضلاً عن حرمانهم من التعليم والترفيه.

• أهداف البحث

- التعرف على الخصائص الاجتماعية للمجتمع العراقي في العقود الثلاث السابقة، وأثرها على الطفولة العراقية.
- وضع المقترحات والتوصيات (وفقاً لنتائج البحث) التي يمكن أن تجعل تأثير التفكك الأسري أخف وطأة على الأطفال وصحتهم.

- **أهمية البحث**

تنعكس الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية السائدة في المجتمع على حياة سكانها سلباً وإيجاباً، وخاصة على فئتي الطفولة والشيخوخة بشكل أكبر من فئة الشباب، وأفاض الباحثون* في التطرق إلى العوامل الاجتماعية التي تؤثر في الصحة والمرض، وتقود إلى الوفاة، كالخلفية الاجتماعية والطبقة الاجتماعية والانحدار الطبقي وحجم الأسرة والوعي الصحي.. إلخ ، مما يبرز أهمية هذا البحث.

- **منهجية البحث**

لكون هذا البحث من البحوث التحليلية التي تعتمد جمع الحقائق وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها، فقد تمت الإفادة من المناهج الآتية: (المنهج التحليلي، والمنهج التاريخي للتعرف على التاريخ الأليم للمجتمع العراقي).

- **الطفل (child)**

1 . الطفل لغة

وردت كلمة الطفل في اللغة، بمعنى: الطفل الرخص الناعم في كل شيء، والجمع (أطفال وطفولة)، مؤنثها (طفلة) الصغير في كل شيء[1].

ويقصد به أيضاً المولود، وولد كل وحشية أيضاً طفل، وقد يكون (الطفل) واحداً، وجمعاً، مثل الجنب[2]، قال تعالى: (... أو الطفل الذين لم يظهروا...) النور/ (31).

---

* انظر : 1 ـ فراس عباس فاضل البياتي، وفيات الأطفال، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الاجتماع 2003.

2 ـ فنار سالم عطوان الطريفي، تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية في وفيات الرضع خلال فترة الحصار الاقتصادي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الاجتماع 2001.

(1) فؤاد أفرام البستاني، منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط23، 1956، ص443.

(2) محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العرب، بيروت 1981، ص394.

2 . الطفل شرعاً

أما في الشرع الإسلامي، فعُرِّف بأنه كل من لم يبلغ الحلم (أي لم يحتلم)[3]، جمعه الأطفال: الذين لم يظهروا ويطلعوا على عورات النساء للجماع[4].

1 . الوفاة في القانون

أما في القانون المدني العراقي، فإن شخصية الإنسان تبدأ بولادته حياً (المادة 34/ القانون). والولادة لابد أن تكون تامة بأن ينفصل المولود عن أمه انفصالاً تاماً، وأن يكون حياً فإذا كان كذلك تثبت له الشخصية القانونية، وهي تثبت له حتى لو مات بعد لحظة قصيرة من ولادته، فإذا ولد الجنين ميتاً فلا تبدأ الشخصية القانونية، إذن نص القانون المدني العراقي (المادة 34) بفقرته الثانية بثبوت حق الجنين في النسب، والميراث، والوصية كما يستفيد من الاشتراط الذي ينعقد لمصلحته[5].

ويتضح معنى الطفل في القانون المدني العراقي من خلال ثلاثة أدوار، وتبدأ بالصبي غير المميز، وهذه المرحلة من الولادة إلى ما قبل السابعة من العمر، والصغير في هذا السن ليس له الحق لإجراء أي نوع من أنواع الأعمال القانونية، أما الدور الثاني، وهو الصبي المميز، ويبدأ هذا الدور في تمام السابعة إلى بلوغ سن الرشد(*)، وهي ثماني عشرة سنة كاملة، ويتمتع الصغير في هذا الدور بتمييز ناقص، وبالتالي بأهلية ناقصة الأداء[5].

2 . الطفل اصطلاحاً

اختلفت الأدبيات العلمية في تعريف الطفل: فقد عرف حسب المادة الأولى من مشروع اتفاقية حقوق الطفل العالمية بأنه (كل إنسان حتى سن الثامنة عشر)[6]، إلا إذا بلغ سن الرشد

---

(3) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المحقق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، ط2، جزء (12) 1952، ص236.

(4) جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، دار الكتاب العربي بمصر، بدون سنة طبع، ص 462.

(4) القانون المدني العراقي، المادة 34، رقم 40 لسنة 1951.

(6) منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونسيف)، الأطفال أولاً، الإعلان العالم لبقاء الطفل وحمايته وإنمائه وخطة العمل، وقائع القمة العالمية من أجل الطفل اتفاقية حقوق الطفل، المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي) للطباعة، عمان الأردن، كانون الأول، 1990، ص60 ـ 62.

قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه، أي ما لم يكن القانون الوطني يحدد سناً آخر لبلوغ مرحلة الرشد، ولكل دولة أن تحدد سن الرشد لديها[7] وتأخذ الديموغرافية بعض المصطلحات الدارجة، على الرغم من افتقارها الدقة للدلالة على مراحل العمر المختلفة، تبدأ الحياة بالطفولة والطفل يدل على من لم يبلغ سن البلوغ، ويسمى الطفل في أيامه الأولى وليداً، والمولود الذي لم يتجاوز العام الأول، يطلق عليه لفظ الطفل الصغير (الرضيع)، والطفل ما قبل سن التعليم سمي الغلام، والطفل في سن التعليم يسمى بالولد اليافع[8].

والطفولة بوصفها مفهوماً أصبحت في أدبيات العلوم الاجتماعية (تلك الفئة العمرية التي تمتد من سن الولادة إلى الثانية عشرة تقريباً، وفي داخل هذه الفئة العمرية هنالك تقسيمات فرعية أخرى يمكن إجمالها في ثلاث مراحل عمرية (الطفولة المبكرة Early child hood.) وهي تمتد من الولادة حتى الثالثة من العمر، (والطفولة المتوسطة Medial child hood) وتمتد من الثالثة إلى السادسة، و(الطفولة المتأخرةLate child hood وتمتد من السادسة من العمر إلى الثانية عشرة)[9].

◆ الطفل اصطلاحاً

وعلى نهج ما تقدم، نستطيع تعريف الطفل على أنه كل إنسان لم يبلغ الخامسة عشر من العمر، لأن قطرنا من الأقطار النامية، وفيه عادات وتقاليد وأعراف تختلف عن الدول المتقدمة، مثل ظاهرة الزواج المبكر، وخصوصاً في المناطق الريفية التي تحدث فيها زيجات في هذا العمر تقريباً، فضلاً عن أن سن العمل يبدأ من 15 سنة حسب القانون التجاري العراقي. وحسب تقديرنا، هو بداية النضج والإدراك والحصول على الدخل المستقل في حالة دخوله سوق العمل.

المبحث الثاني/ أبعاد الظروف الراهنة على الطفولة العراقية

عانى سكان العراق ويلات عديدة، منها أزمات اجتماعية تمثلت بالأمراض والأوبئة والعوز والفقر، إضافة إلى الحروب، ولا يخفى على أحد أن أولى ضحايا الحرب هم السكان، وأن الحروب حصدت أرواح الملايين من السكان منذ بداية الحياة على المعمورة، والعراق من الدول

---

(7) منظمة العفو الدولية، دليل المحاكمات العادلة، تعريف الطفل، 2002، ص2.

(8) المعجم الديموغرافي، اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا، الأمم المتحدة، بيروت، بدون سنة طبع، ص68 .69.

(9) دولة الإمارات العربية، الطفولة في مجتمع متغير، مطبعة جامعة الإمارات العربية، 1988، ص 38.

التي عانى سكانها ويلات الحروب، وعبر التاريخ القديم والحديث لم تُقحم أمة ما بعينها أطفالها في الحروب والأزمات والكوارث السياسية كما حدث في العراق.

أولاً: طفولة الحرب الأولى وأخطبوط الحصار

إن ما حدث لمجتمعنا من أحداث ألمت بالعراق منذ عام 1990، وما أعقبها من حصار شامل وقصف أميركي أطلسي تركت آثاراً مدمرة في معظم نواحي الحياة، سيما الاجتماعية والاقتصادية، استهدفت الطفولة العراقية بشكل مباشر. وكان على رأس المعتدين الولايات المتحدة الأميركية وحلفاؤها، من خلال العدوان العسكري وما أعقبه من نظام مشدد سمى بـ (العقوبات الاقتصادية) التي لم يشهد لها التاريخ الحديث مثيلاً[10]. فالحرب لم تستهدف البنى العسكرية فقط، بل استهدفت البنى التحتية لمجتمعنا، فحرم شعبنا من توفير احتياجاته الحياتية، وشلت حركته التنموية، ومن المعلوم أن فئة الأطفال هي أكثر الفئات السكانية تأثراً بتلك الأوضاع الاقتصادية، ولاسيما في الدول التي تعاني من ظروف اقتصادية غير مواتية، مما يؤدي إلى قصور في توفير الخدمات الأساسية اللازمة[11]. إن تدهور الوضع الاقتصادي انعكس تأثيره السلبي في الجوانب الحياتية كافة، وهذا ما حصل في العراق، إذ سار مؤشر الحياة نحو الانخفاض بصورة عامة، نتيجة انخفاض مؤشر التنمية، فانعكس ذلك على المستوى الاقتصادي للأسرة العراقية، أي مستواها المعاشي الذي يعد الركيزة الأساسية لاستمرار الحياة والتصدي لصعوباتها ومخاطرها، وهذه الظروف التي أفرزتها العقوبات الاقتصادية حرمت الأسرة العراقية من تحقيق كثير من مشاريعها، ولعدم استطاعة أجهزة الدولة مساندتها بالقدر الكافي نحا المجتمع في أغلبه إلى خط الفقر وحدود الكفاف، وبالتالي شلت قدرة الأسرة على ممارسة واجباتها تجاه أفرادها بشكل يحقق لهم العيش بعيداً عن تهديدات المخاطر الحياتية، والتي يكمن في آخر مشوارها شبح الموت. إذ أدت آثار الحصار المتراكمة إلى تفاقم حاد في معدلات وفيات الأطفال، وخصوصاً الرضع، ابتداءً من عام (1990)، بعد أن كانت قد حققت انخفاضاً كبيراً من (91.7) إلى (61.7) حالة وفاة لكل ألف ولادة حية خلال المدة ما بين عامي (1974 ـ 1990)، وكان مخططاً لها أن تنخفض إلى

([10]) شبكة إعلام العراق، المنظمات والطفولة، 2002، ص2.

([11]) الاتحاد لنساء العراق، الواقع الديموغرافي، بغداد 2002، ص3.

(32) حالة وفاة لكل ألف ولادة حية عام 2000[12].

وحسب تقديرات اليونيسيف، فإن العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق بعد عام 1990 قد ساهمت وبشكل خطير في ارتفاع معدلات وفيات الأطفال، إذ أثبتت في مسحها لوفيات الأطفال والأمهات منذ حرب الخليج عام 1990 أن هنالك زيادة خطيرة في هذه المعدلات، لا سيما وفيات الأطفال في وسط وجنوب العراق، وقدرت المنظمة أنه كان يمكن تجنب موت ما لا يقل عن (500 ألف) طفل عراقي خلال عشر السنوات المنصرمة، أي ما بين عامي (1990 ـ 2000)[13](*).

كما كشفت إحصائية لوزارة الصحة العراقية أن معدلات وفيات الأطفال دون سن الخامسة من العمر بلغت (108) حالة وفاة لكل ألف ولادة حية، بسبب استمرار العقوبات المفروضة على العراق[14].

وهذا يعني أن انهيار البنى الاقتصادية أثر في جميع جوانب الحياة، إذ كان الارتباط وثيقاً بين الأوضاع السائدة في المجتمع واتجاهاته، وبين الأوضاع الاجتماعية والثقافية والصحية، والتي يوصف بها السكان بمختلف فئاتهم.

وبانت ظواهر الأثر المعيشي وتدهوره واضحة المعالم في الجانب الغذائي، الذي بدوره أثر سلباً في الجانب الصحي وبقية الجوانب الحياتية الأخرى للأسرة العراقية، فالمواطن العراقي قبل الحصار، وعلى سبيل المثال عام (1988)، كان ينفق نصف راتبه الشهري لشراء الغذاء، ولم تعد الأسرة تنفق لشراء الملابس والأثاث إلا النزر القليل، لارتفاع أسعارها بشكل عام، ولم يعد ما يتقاضاه الموظف العراقي من راتب شهري يغطي حاجاته، وإنما أخذ يستخدم مدخراته السابقة لسد هذا النقص في توفيرها[15]. فانقلبت كل الموازين، ولا سيما الوضع الاقتصادي والمعاشي، بعد أن بدأت معدلات التضخم تتسارع بشكل مفرط تمثل في انخفاض هائل في قيمة العملة المحلية (الدينار العراقي) مقابل العملات الأجنبية، وخاصة الدولار الأميركي[16].

([12])BBC News, Middle East Iraqi child death rates Soar, 2000,p;2.

([13]) جريدة البيان، ارتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال العراقيين، لندن 1999، ص3.

([14]) المجلس العربي للطفولة، التقرير السنوي لواقع الأطفال العربي لعام 1993، المركز المصري العربي للتصميمات والطباعة، القاهرة 1993، ص 166.

([15]) رواء زكي الطويل، الأبعاد الصحية للحصار على العراق، مجلة أم المعارك، العدد 22، بغداد 2000، ص 90.

([16]) جواد كاظم الحسناوي، التباين المكاني لخصائص سكان محافظة بابل، رسالة ماجستير في جغرافية السكان (غير منشورة) جامعة بغداد، كلية الآداب 1990، ص117.

وكان ذلك مؤشراً على انخفاض نوعية الغذاء الذي يستطيع الفرد الحصول عليه، وكذلك نوعية السكن ونمطه، وفرص التعليم، وقد كشفت الدراسات الصحية والاجتماعية والاقتصادية في حينه عن وجود ارتباط وثيق الصلة بين معدلات الوفيات ومتوسط الدخل الشهري للفرد. فأصحاب الدخل المنخفض والمحدود بدأ يصعب عليهم الحصول على الغذاء والدواء، لارتفاع أسعارهما ولشحتهما. ثم جاءت اتفاقية النفط مقابل الغذاء(***) والدواء عام (1997)، غير أن الوضع لم يتغير كثيراً، فقلة الكمية المتاحة للاستيراد، فضلاً عن تأخر الموافقات على عقود عديدة من قبل لجنة المقاطعة الدولية، وسوء النوعية المستوردة ورداءتها لم تغير من واقع معاناة الشعب والأسرة العراقية كثيراً، بل إنها بقيت على حالها السابق، أو قريبة منه، في حين كان من المفروض أن تقود الاتفاقية إلى تحسين الوضع التغذوي والصحي للفرد العراقي، ويعزز قولنا التقرير السنوي للأمم المتحدة (منظمة الصحة العالمية) لعام 2000، الذي يقول إن العراقيين يعانون من نقص في التغذية، بسبب ظروف الحصار، إذ يوجد ما لا يقل عن20٪ من أطفال العراق ممن هم دون السنة الخامسة يعانون من عوق في النمو الطبيعي نتيجة سوء التغذية[17]، وذلك ما أدى إلى انحدار مؤشر الحياة الصحية للأسرة العراقية، التي بقيت عاجزة عن الحصول على الرعاية الصحية والخدمية المناسبة للحفاظ على حياة أطفالها، والحد من معدلات وفياتهم المتزايدة نتيجة الحصار[18].

وأشار تقرير لجنة الصليب الأحمر عام 2007 إلى أن تدهور الوضع الاقتصادي للعراقيين قد أثر سلباً في إدارة المستشفيات والمراكز الصحية في العراق، وخلف معاناة واضحة في خزن الأدوية، بسبب الانقطاع الطويلة المتكررة للتيار الكهربائي، المؤدية إلى تلف الأدوية وفسادها، فضلاً عن أن أطفال العراق يعانون من مجموعة من الأمراض والتأثيرات، كأحد الإفرازات النفسية السلبية للحرب، والمتمثلة باضطرابات النوم، وإشكالات التركيز، مما سيكون له بالغ الأثر الخطير على الأنماط السلوكية للأطفال في المستقبل[19].

(***) اتفاقية عقدت بموجب قرار من مجلس الأمن الدولي يسمح للعراق بتصدير جزء من نفطه مقابل الحصول على بعض من احتياجاته الغذائية والدوائية والسلعية.

(17) فراس عباس فاضل، أطفال العراق ماض مرعب ومستقبل مجهول، مجلة المستقبل العربي، العدد362، بيروت 2009، ص129.

(18) **BBC News, Middle East Iraqi child death rates Soar, op cit,p2.**

(19) جمعية الاقتصاديين العراقيين، تقرير التنمية البشرية في العراق لعام 1995، منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) العراق 1995، ص84.

وتوصلت إحدى الدراسات العراقية في عام 2007 إلى أهمية الدخل الشهري وتأثيره على الصحة والمرض، وإسهامه في تقدم حياة الأسرة، إذ يمكنها من علاج مختلف مشاكل الحياة ومواجهة صعابها، لا سيما الصحية منها، وتوصلت هذه الدراسة أيضاً إلى أن (نصف) وفيات الأطفال الرضع تحصل بين العوائل ذات الدخول المنخفضة جداً، والتي كان يمكن عدها متوسطة في عام 1983[20].

وهكذا يتضح أن الحصار المستمر على العراق كان سلاحاً تدميرياً استهدف الإنسان العراقي، وبلا تمييز، ولم يكتف بتحطيم التنمية العراقية بجانب معين من الجوانب، سواءً (المعيشية والغذائية والصحية) فحسب، وإنما امتد إلى كل نواحي الحياة المختلفة، وكانت الحياة الاجتماعية مصب كل الدمار الذي أدت إليه الحرب، وأن كل المجالات الحيوية في الحياة الأسرية تغيرت، سيما الاجتماعية، فزاد التفاوت الطبقي، وانحدرت المستويات المعيشية لكثير من الأسر، وحدث تسلق طفيلي طبقي، كما حدث في المقابل تردٍ طبقي، فكثير من الأسر انتقلت من طبقة إلى طبقة أخرى، سواء من العليا إلى الدنيا، أو بالعكس، في ما يشبه القفزة السريعة[21]. وانعكس هذا على الوضع الصحي، كما على غيره من الأوضاع، فعادة تنقاد الأسرة الفقيرة التي تمثل الطبقة الدنيا إلى ممارسات تقليدية غير صحية في رعاية أطفالها، بسبب وضعها الاقتصادي السيئ، ما يجعلها تدفع بأطفالها في سنوات حياتهم المبكرة إلى العمل لكسب العيش اليومي، حتى في أعمال غير صحية، وبذلك تفرش الأسرة البساط أمام الأمراض عن طريق مزاولة أطفالها لبعض الأعمال، وما يمكن أن يصيب الطفل من أمراض مرتبطة بمزاولته لتلك الأعمال، وهذا ما نراه واضحاً في عمل الصبية في الشوارع والمقاهي والأماكن الخطرة على الصحة، على الرغم من أن قانون العمل العراقي لا يسمح بعمل الطفل دون سن الخامسة عشر.

ثانياً: طفولة الاحتلال

عبر التاريخ القديم والحديث، لم يدون لنا المؤرخون أن الأطفال كانوا أدوات في حقول الألغام، أو حقول للتجارب، عبر إخضاعهم للتجريب في معسكرات مخصصة لصقل شخصياتهم، وتحويلهم إلى جيش احتياطي مساند للقطعات المسلحة. وعبر التاريخ، لم يتساهل

([20]) شبكة إعلام العراق، المنظمات والطفولة، مصدر سابق، ص2.

([21]) محمد طه الغنام، تحليل أنماط واتجاهات وفيات الأطفال الحديثي الولادة والولادات الميتة في العراق، رسالة ماجستير في علم الإحصاء (غير منشورة) جامعة بغداد، كلية الإدارة والاقتصاد 1983، ص113.

المربون والمعلمون وعلماء نفس الطفل في مسألة خضوع هذا المخلوق "الطفل" لتجربة والديه، ونقلها صورة طبق الأصل في العادات والسلوك، حتى قيم الثأر واعتناق السياسة. وعبر التاريخ، لم يدون لنا دين بعينه، أو مذهب إصلاحي، أو سلفي، أن استخدم أبناءه وقوداً للحروب، إلا ما ندر. والصحيح صقل الأطفال على مبادئ معلميهم ومقلديهم، حتى وإن كانت متخلفة. فكان الأطفال في منأى من كل ذلك، وحرم على الأبوين استخدام القسوة في التربية، أوالخشونة في التوجيه، أو اللجوء إلى العنف في التلقين، لكي لا ينشأوا أصحاء في الأجساد، مرضى في العقول والنفوس. ولكن ماذا تقول الحضارة اليوم لما يجري على أرض العراق تجاه الأطفال. لقد ترك عديد أطفال العراق مدارسهم بحثاً عن لقمة العيش لمساعدة ذويهم في مواجهة شبح الفقر، فحل التشرد بهم، وضاع الآمل والمستقبل[22].

الواقع اليومي يدل بوضوح على أن أطفال العراق يعانون أشرس ما يمكن أن يمر به طفل في عالم اليوم، فتداعيات الغزو الأميركي للعراق، ومشاهد القتل اليومي التي طاولت الأطفال، والانفجارات والجثث المتناثرة، ودوي القنابل والرصاص، كلها عوامل تضاعف من مأزق أطفال هذا البلد. يقول مدير منظمة «أصوات الطفولة»، عماد هادي، إن «غياب الجهات الحكومية المعنية بشؤون الطفل، وفقر عمل المنظمات الإنسانية والعالمية، ومنظمات الأمم المتحدة، فاقمت أزمة الطفل في العراق، ويجرى السكوت يومياً على مئات الانتهاكات ضد الطفل العراقي». ويضيف «لا أحد يدري بأن هنالك 11000 طفل مدمن على المخدرات في بغداد، ولا يصدق أحد بأن أطفال العراق باتوا فريسة للاغتصاب، فقد تعرضت عشرات الفتيات في سن (12 سنة) إلى التحرش الجنسي، لا بل هنالك أماكن تستخدم لممارسة الجنس مع الأطفال في بغداد والمحافظات الأخرى عملت مجموعة من المنظمة على رصدها». وعلى الرغم من أن انعدام الأمن هو مشكلة العراقيين جميعاً، إلا أن تأثيره المباشر يكون في الأطفال أكثر من سواهم، إذ إن الانفجارات اليومية والسيارات المفخخة التي انفجرت بالقرب من المدارس أودت بحياة المئات منهم، وتشير بعض التقارير شبه الرسمية إلى أن نسبة 20 ٪ من ضحايا هذه التفجيرات هم من الأطفال. ويشدد الدكتور مظفر الطائي، رئيس قسم الاختبارات في مركز البحوث النفسية والتربوية في جامعة بغداد، على أن «المشكلة لا تتوقف عند انفجار قنبلة تودي بحياة أطفال، وأن الناجين ليست لديهم مشكلة، بل على العكس

([22]) فنار سالم عطوان، تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية في وفيات الرضع خلال فترة الحصار الاقتصادي، مصدر سابق، ص78.

تماماً، فإن تأثيرات انعدام الأمن في حياة الأطفال ليس لها حدود»، مضيفاً أن «التأثيرات النفسية لهذه الانفجارات وعمليات القتل، وتصوير مقتل العشرات، وقطع الرؤوس، وتمزيق الأجساد، تفوق جميع التأثيرات الأخرى»، ويلفت إلى أنه من المؤكد بقاء تلك التأثيرات السلبية في هؤلاء الأطفال مدة طويلة جداً، لا سيما أن هذه الحوادث تجرى أمام أطفال تتراوح أعمارهم بين السادسة والسابعة، وعلينا تخيل أي نفسية ستتكون عند هذا الطفل، وأي تأثير في سلوكه في المستقبل[23]، وأشارت التقارير الرسمية عن منظمة الطفولة العالمية إلى وجود 5 ملايين طفل عراقي يتيم، يعيش معظمهم ظروفاً اجتماعية صعبة، ومعقدة، وبلغ عدد الأطفال النازحين في سن الدراسة الابتدائية حوالي ربع مليون، لم يستطع ثلثهم مواصلة التعليم خلال 2007، فضلاً عن 760 ألف طفل لم يلتحقوا بالمدارس أصلاً، وبلغ المعدل الشهري للأطفال النازحين جراء عنف الميليشيات الحزبية والإرهابيين 25 ألف طفل بين التهجير الداخلي، والهجرة لدول الجوار، وتحديداً منذ تفجيرات سامراء. وبالطبع يضاف لهذا كله العدد المذهل والمخيف لاغتصاب الأطفال في مختلف المحافظات، إناثاً وذكوراً، دون أن نسمع عن إجراءات حكومية لمعالجة الظاهر[24].

وكشف تقرير المنسق الإنساني للمنظمة الدولية في العراق عن زيادة أعداد الأرامل اللواتي يُعِلن أسرهن، إذ لم تتمكن وزارة الشؤون الاجتماعية من إحصاء كامل للأعداد التي بلغت لحد الآن 565 ألف امرأة أرملة جراء أعمال العنف التي أعقبت الاحتلال الأميركي، فيما يزداد عدد الأطفال اليتامى كل يوم بمقدار 400 طفل يتيم في بغداد لوحدها. وأشار التقرير إلى أن مستوى الفقر قفز بنسبة 35٪ عن مستوى الفقر قبل عام 2003، وأن حوالي 5.6 مليون عراقي يعيشون تحت مستوى الفقر، بينهم 40٪ يواجهون تدهوراً حاداً في معيشتهم، مما زاد في إصابة الأطفال بالأمراض الخطيرة كـ(سوء التغذية والهزال)[25]. وبحسب الإحصاءات الحكومية الرسمية، وتقارير المنظمات الدولية، فإن في العراق اليوم نحو 5 ملايين يتيم يعيش معظمهم ظروفاً اجتماعية صعبة ومعقدة، كما أن 30 ٪ من الذين لم تتعد أعمارهم سن 17 سنة في العراق لم يتمكنوا من أداء امتحاناتهم المدرسية النهائية، ولم تتجاوز نسبة الناجحين في الامتحانات الرسمية 40 ٪ من مجموع الطلبة الممتحنين داخل البلاد. وبلغ عدد الأطفال

([23]) أطفال العراق، بين المدرسة والكفن، شبكة الإعلام العراقي 2006، ص2.

([24]) الطفولة العراقية تباع، وتحتضر، "وهم ينهبون"، عزيز الحاج، إيلاف، العدد 2478، مارس 2008، ص32.

([25]) فراس عباس فاضل ، أطفال العراق ماض مرعب ومستقبل مجهول ، مصدر سابق، ص131

النازحين في سن الدراسة الابتدائية 220 ألف طفل، لم يستطع ثلثاهم مواصلة تعليمهم خلال عام 2007، فضلاً عن أن 760 ألف طفل لم يلتحقوا أصلاً بالمدارس الابتدائية، وبلغ المعدل الشهري للأطفال النازحين جراء أعمال العنف والتهديدات من الميليشيات والجماعات الإرهابية 25 ألف طفل، تراوح أوضاعهم بين التهجير الداخلي والهجرة إلى دول الجوار (تحديداً في أعقاب تفجير مرقدي الإمامين في سامراء في شباط (فبراير) 2006، لذلك لم يأت قرار منظمة «يونيسيف» بجعل عام 2008 عاماً للطفل العراقي اعتباطاً، إذ لا يحتاج المرء إلى تأكيدات تقارير الأمم المتحدة والمنظمات الدولية بأن الطفولة في العراق تحتضر وهي في طريقها إلى الموت، وحسب ما ورد على لسان أحد ممثلي الأمم المتحدة، فإن أكثر من نصف مليون طفل عراقي من المرجح أنهم سيكونون بحاجة إلى علاج نفسي من جراء الصدمة النفسية التي تعرضوا لها خلال الحرب، حيث يقول (كاريل دي روي): "هنالك 5.7 مليون طفل عراقي في المدارس الابتدائية، ونتوقع أن يحتاج 10٪ على الأقل من هؤلاء الأطفال إلى علاج نفسي من صدمات تعرضوا لها خلال الحرب"[26]، لكن الخبر لا يجد وقع الصدمة في نفوس العراقيين، لكونهم أدرى بأمورهم من غيرهم، فأول اعتراف رسمي حكومي جاء من وزارة التخطيط والإنماء الدولي، ومن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، بأن الملايين من أطفال العراق يتامى ومشردين ومسجونين في السجون الأميركية والسجون الحكومية. ففي إحصائية لوزارة التخطيط في حكومة المالكي تبين أن عدد اليتامى من أطفال العراق بلغ من أربعة إلى خمسة ملايين طفل، وأن هنالك 500 ألف طفل مشرد في الشوارع، وتفيد إحصاءات وزارة التخطيط نفسها أن دور الأيتام التابعة للدولة تضم 459 يتيماً فقط من بين هذه الملايين من اليتامى والمشردين. وقد أكدت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بدورها هذه الحقائق، وأضافت حقيقة مبكية أخرى هي وجود 800 طفل في السجون الأميركية والحكومية، منهم 700 في السجون الحكومية، و100 في السجون الأميركية. وفي تقرير آخر أعدته منظمات المجتمع المدني في العراق تأكيد على أن خط الفقر قد يطال أكثر من ثلاثة أرباع السكان بسبب السياسات الفاشلة التي تسير عليها الحكومات التي تعاقبت منذ الغزو الأميركي للعراق في أوائل عام2003[27].

([26]) أطفال العراق: 5 مليون يتيم، 1300 سجين، 11 ألف مدمن، عدا المغتصبين، 2008، ص3.

([27]) مركز الدراسات النفسية، م.د.ن.الصدمة النفسية/علم نفس الحروب والكوارث:

الإنترنت www.flag.link4iraq.com

القضايا التي تواجه الأطفال في العراق

- تشرد حوالي 700 ألف نسمة من الشعب العراقي داخل البلاد خلال عام 2006 نتيجة تصاعد العنف الطائفي. وتسببت التحركات السكانية الكبيرة في وجود خلل وعدم توازن في الخدمات الاجتماعية، وتركت عدداً من المجتمعات المحلية تكافح في تعاملها مع تدفق أناس جدد.

- تدهورت الخدمات الصحية، مثل التحصين، بصورة خطيرة، حيث فقد أكثر من مليون طفل عراقي ما دون سن الخامسة (خمس تلك الفئة العمرية) التحصين الروتيني ضد أمراض الطفولة.
- بدأت تظهر علامات تأخر النمو واحد من كل خمسة أطفال عراقيين، وهذا يشير إلى مشاكل طويلة الأمد في التغذية. وأدى النقص في المياه الصالحة للشرب أيضاً إلى ارتفاع معدلات الإسهال.
- أخذت معدلات التعليم في الانخفاض، حيث يقدر عدد الأطفال المتسربين من المدارس إلى أكثر من 80 ألف طفل حتى قبل عام 2006. حدثت إغلاقات واسعة النطاق في مدارس بغداد، وحوصرت مدارس عديدة بين الهجمات العنيفة، وتأثر تعليم البنات بصورة خاصة.
- ازدادت نسبة النساء الحوامل اللواتي لم يحصلن على خدمات ما قبل الولادة، وإلى علاجات تمكن من إنقاذ الحياة خلال الولادة في حالات الطوارئ.
- يصبح كثير من الأطفال أيتام بصورة يومية جراء العنف الجاري تقريباً، حيث ارتفع عدد الأسر التي ترأسها نساء، والتي فقدت المعيل الأساسي جراء الصراع.
- يتعرض الأطفال الذين يشاهدون العنف، أو يعيشون في خوف، بصورة متزايدة إلى خطر المشاكل النفسية، وسوء المعاملة والاستغلال. ظاهرة أطفال الشوارع والإدمان بدأت تنتشر في وسط مدن العراق الكبرى[28].

الخلاصة

بعدما عرفنا وتعرفنا على هذه الظاهرة، ليس لنا سوى أن نقوم بنظرة شاملة على واقع الطفل العراقي، وهو يعيش هذه الأحداث العنيفة، إذا كانت من الداخل، أي تعامل الوالدين

([28]) المنظمة العالمية للطفولة العالمية (اليونيسيف)، 2008، التقرير السنوي.

مع الطفل، لنجده في حالة مزرية بسبب الوضع الاقتصادي، أو النفسي، أو الاجتماعي، أو السياسي، للعائلة، أو جهل الوالدين بأبسط أساليب التعامل اللطيفة والصحيحة والسليمة مع الطفل والحدث. ومن جهة أخرى نرى المجتمع بعامة يجهل أبسط مفاهيم، أو مضامين، لائحة حقوق الإنسان، كما نشاهد يومياً انفجارات تستهدف كل شيء، وانتشار المظاهر المسلحة، والحياة الصعبة، واستغلال بعض الأشخاص للأطفال في كثير من الأعمال اللا أخلاقية، وتردي الرعاية الاجتماعية، وسوء التغذية، والتشرد، هذه كلها مشاهد يعيشها أغلب أطفال العراق. وإذا كان السبب هو الاحتلال، أو لم يكن، فالمشكلة قائمة. وفي ضوء ما استعرضناه من آراء ودراسات الاختصاصيين، نجد أن مستقبل العراق يمضي إلى المجهول، أو بالأحرى إلى مجتمع أكثر عنفاً، والبقية تأتي. والسبيل الوحيد لمعالجة هذه الحالات هي أخذ مؤسسات المجتمع المدني دورها، وتفعيل دور الرعاية الاجتماعية والصحية، والاهتمام بالعلوم الإنسانية وتطبيقها على أرض الواقع، وبالتعاليم الدينية البعيدة عن التطرف.

نحو بوابة عربية شاملة
للعلوم النفسية على الإنترنت

الدكتور جمال التركي
E.mail : turky.jamel@gnet.tn

الملخص:

ونحن على عتبة الألفية الثالثة أصبح لزاماً على اختصاصيي العلوم النفسية في العالم العربي ولوج **عالم اللغة الرضحية والإنترنت** وتطويع أدواتها وبرمجياتها لخدمة هذا الاختصاص، ولا عذر لنا في تخلفنا عن اللحاق بثورة المعلوماتية، وفي هذا الإطار يدخل سعيي لتأسيس مشروع **شبكة العلوم النفسية على الويب**. أحاول من خلال هذا البحث أن أعرض **للطرق والوسائل** التي توخيناها للاتصال بالأطراف المعنية، سواء من أهل الاختصاص (الأطباء والاختصاصيون)، أو من المهتمين بالعلوم النفسية (**الجمعيات، المجلات، دور النشر، أقسام علم النفس والطب النفسي بالجامعات العربية**)، ثم أعرض بصفة مفصّلة **للطموحات والأهداف** المتمثلة أساساً في إعداد: دليل العناوين الإلكترونية، دليل الأطباء والاختصاصيين النفسانيين، دليل الجمعيات النفسية العربية، دليل المجلات والدوريات العربية النفسية، دليل المكتبة النفسية العربية، بنك الأبحاث النفسية الأكاديمية والجامعية، دليل المؤتمرات النفسية العربية العالمية، صفحة المعجم الشبكي للعلوم النفسية، دليل مراكز الاستشفاء الطبنفسية العربية، دليل الوظائف النفسية العربية، دليل النشر الإلكتروني النفسي العربي، إضافة إلى صفحة الروائز والاختبارات النفسية العربية.

Résumé :

ARABPSYNET : Projet de réalisation d'une PAGE WEB intéressant les SCIENCES PSYCHOLOGIQUES dans le MONDE ARABE

A l'aube du 3ème millénaire ‹la réalisation d'une page WEB intéressant les sciences psychologiques dans le monde arabe par les spécialistes de la santé mentale est plus qu'une nécessité : nécessité pour connaître et se faire connaître ‹néces-

sité pour évoluer et se faire évaluer ‹nécessité pour exposer nos travaux et la spécificité de notre pratique‹ bref une nécessité quasi indispensable dans l'ère de la révolution informatique afin de marquer notre présence devant le fléau de la mondialisation qui tend à nier le diffèrent (par rapport au modèle occidental) ‹nier sa spécificité ‹nier sa culture ‹nier sa civilisation et à l'extrême nier même sa présence.

Réalisé « ARABPSYNET » est une façon pour nous (spécialistes de la santé mentale dans le monde arabe) d'exprimer notre présence en tant que producteurs et non en tant que consommateurs ‹d'exprimer notre existence malgré notre différence (je suis diffèrent de l'autre ‹certes : mais j'existe) tout en montrant nos spécificités ‹nos caractéristiques ‹notre approche culturelle et civilisationnelle ... Oui je te reconnais en tant que diffèrent de moi ‹mais tant que je n'expose pas mon approche et mon modèle tu ne pourras jamais me reconnaître. « ARABPSYNET » n'est qu'une façon parmi d'autres pour s'exprimer ‹pour prouver l'existence et pour se faire connaître.

Dans cette étude nous exposons les matériels et méthodes de notre travail pour la réalisation de cette page web ; par la suite nous révélons avec précaution les résultats préliminaires. Enfin nous détaillons les différentes perspectives à réaliser a travers cette page web tout en citant en particulier : les listes de diffusion des E. mails ‹le guide des psychiatres et des psychologues ‹le guide des associations arabes des sciences psychologiques ‹le guide des revues et périodiques ‹le guide des départements de psychologie et de psychiatrie des universités arabes ‹le guide des centres de recherche ‹le guide de l'étudiant arabe en sciences psychologiques ‹le guide des congrès arabes et internationaux ‹le guide des centres de soins psychiatrique dans les pays arabes ‹le guide des emplois intéressant le domaine des sciences psychologiques ‹le guide des publications électroniques ‹de même « ARABPSYNET » présente des liens vers la page du dictionnaire des sciences psychologiques « PSYDICT-NET » et vers la page des tests psychométriques.

Summary :

ARABPSYNET : Project of realisation WEB PAGE concerning PSYCHOLOGICAL SCIENCES in the ARAB WORLD

At the beginning of the third millennium ‹the realization of a WEB PAGE concerning psychological sciences in the Arab world by specialists of the mental health is more than a necessity: a necessity to know and to be known ‹a necessity to evolve and to be evaluated ‹a necessity to expose our works and the specificity of our practice ‹briefly a quasi indispensable necessity in this century marked by the computer revolution so as to assert our presence in the world of the globalization that tends to deny our difference ‹to deny our specificity ‹to deny our culture ‹to deny our civilization and to deny even our presence.

Realized " ARABPSYNET " is a way for us (specialists of the mental health in the Arab world) to express our presence as producers and not as consumers ‹to express our existence despite our difference (I am different from the other ‹indeed : but I exist) while showing our specificities ‹our characteristics ‹our cultural approach and civilization ... Yes I recognize you as different from me ‹as long as I do

not expose my approach and my model you will never be able to recognize me." ARABPSYNET " is only one way among others to express ‹to prove the existence and to be known.

In this study we expose the material and methods of our work for the realization of this web page as well as the preliminary results. Finally ‹we detail the different perspectives to realize: Electronic mailing lists ‹the psychiatrists and psychologists guide ‹the guide of Arabic associations of psychological sciences ‹the reviews and periodicals guide ‹the guide of psychology and psychiatry departments of Arab universities ‹the guide of research centers ‹the guide of the Arab student in psychological sciences ‹the Arab and international congress guide ‹the guide of psychiatric care centers in the Arab countries ‹ ‹the guide concerning psychological jobs ‹the electronic publication guide ‹the page of psychological sciences dictionary « PSYDICT - NET » and the psychometric test page.

اقتحمت المعلوماتية مجتمعنا في الربع الأخير من القرن العشرين، مقدّمة خدمات في غاية الأهمّية، مجدّدة العلوم ومحدثة تغيراً في العقليّات. ولم يكن الميدان الطبّي بمعزل عن هذه الثّورة المعلوماتية، حيث وصلنا إلى نقطة اللاعودة يكون فيها موقع الطّبيب الرّافض لخدمات الإعلامية في وضعيّة متخلفة، شأنه شأن الأطبّاء الذين رفضوا استعمال السّمّاعة الطبّية في عهد ليناك. ذلك لما تحمله ثورة الاتّصالات من وعود التّغيير المرتكزة على سرعة نقل المعلومات، حيث تكتسب المعلومة قيمة مضاعفة بمضاعفة سرعة انتقالها.

1 . مراحل إعداد الشبكة الطرق والوسائل

يعود التفكير لإعداد هذه الشبكة إلى منتصف التسعينيات (بداية عهد انتشار الإنترنت)، حيث كانت هذه الفكرة مجرد حلم بعيد المنال إن لم نقل إنها من باب الترف الفكري، فأنّى للعاملين في ميادين العلوم النفسية المنهمكين بين العيادات والمشافي، لمعالجة المرضى، أو بين أروقة الجامعات للتدريس، أنّى لهم يفكروا في المعلوماتية وأدواتها، وما يمكن أن تقدمه لهم من خدمات يعود نفعها عليهم وعلى الاختصاص. وفي ظل انشغالنا بهموم الاختصاص، كانت المعلوماتية تكتسح جميع ميادين المعرفة، وكانت البرمجيات تتحكم في كافة الأجهزة المسيرة لحياتنا، وإذا بشبكة الإنترنت تمسك قبضتها على كافة مصادر المعلومات، مقدمة خدمات في غاية التنوع والثراء، حتى أصبح بالإمكان متابعة المؤتمرات العالمية انطلاقاً من كمبيوتر شخصي. وبدأت مجالات اهتمام شبكة الإنترنت تتسع وتتسع لتشمل أغلب ميادين الحياة إنْ لم نقل جلّها.

وبفضل تطور البرمجيات، أصبحت المعلوماتية في متناول غير الاختصاصي، وبدأ بعض من

أهل الاختصاص في العلوم النفسية يلجون هذا العالم المعلوماتي (**الذي كان إلى زمن قريب عالماً مجهولاً كله رموز لا يقدر على فكها غير اختصاصي هذا الفرع من العلوم**) طوراً باحتشام وطوراً آخر بحذر شديد، فإن امتلك أحدهم جهاز كمبيوتر تراه محجماً عن فهم أسراره، وإن اشترك في شبكة الإنترنت تجد تعامله لا يتعدى تبادل البريد الإلكتروني، أو التصفح لبعض المواقع دون دليل يوجهه.

وفي غمرة هذه الثورة المعلوماتية، أصبح لزاماً على الاختصاصي العربي في العلوم النفسية الاستفادة إلى أقصى حد من الخدمات التي يمكن أن تقدمها المعلوماتية وشبكة الإنترنت إلى ميادين العلوم النفسية في الوطن العربي.

وفي هذا الإطار، يدخل سعيي لتأسيس شبكة العلوم النفسية على الإنترنت، لتكون مرآة عاكسة لهذا الاختصاص في الوطن العربي، وأصبح هذا المشروع الذي كان مجرد فكرة بعيدة المنال قابلاً للإنجاز، وبدأت معالمه تتضح أكثر مع مرور الزمن إلى غاية بداية يناير/ كانون الثاني سنة 2000، حيث بدأ الإعداد العملي لتأسيس الشبكة، وتم الاتصال بالأطراف المعنية بهذا الفرع من العلوم، سواء عن طريق البريد الورقي، أو الإلكتروني، وكان دليلي في التعرف على عناوين هؤلاء مصادر متعددة، أهمها:

- كتاب "**الدليل لنفسي العربي** "للأستاذ محمد أحمد النابلسي، والذي أصدره مركز الدراسات النفسية والنفسية الالجسدية في طرابلس، لبنان 1992.
- "المجلة العربية للطب النفسي "الصادرة باسم اتحاد الأطباء النفسانيين العرب.
- "**الثقافة النفسية التخصصية**" الصادرة عن مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية - لبنان.
- مجلة "**علم النفس**" الصادرة عن الهيئة المصرية للكتاب.

2. دليل الأطباء النفسانيين وأساتذة علم النفس

شمل الاتصال الأطراف التالية:

2. 1. أطراف الاتصال:

وجهنا مجموع 426 رسالة إلى الأطباء والاختصاصيين النفسانيين، وكان جلها بالبريد الورقي:

- 259 **رسالة إلى الأطباء النفسانيين**، وكان التوزيع حسب البلد الذي يمارس العمل فيه كالآتي:

السعودية	مصر	الجزائر	لبنان	الأردن	الإمارات	سوريا	تونس	البحرين	العراق	اليمن	السودان	ليبيا	المغرب	دول أخرى	المجموع
42	41	23	22	13	15	11	38	6	4	4	3	2	43	4	259

مجموع الرسائل المرسلة للأطباء النفسيين	الردود	رجوع رسائل	بدون إجابة
259	44	18	161
%100	%17	%9	%72

- 167 رسالة **إلى الاختصاصيين النفسانيين** جلها بالبريد الورقي، وكان التوزيع حسب البلد الذي يمارس العمل فيه كالآتي:

المجموع	لبنان	مصر	السعودية	سوريا	الكويت	الأردن	الإمارات	قطر	تونس	دول أخرى
167	43	41	26	14	15	9	7	5	2	5

مجموع الرسائل المرسلة للاختصاصيين النفسيين	الردود	رجوع رسائل	بدون إجابة
167	17	5	144
%100	%10	%2	%86

وكنت طلبت من كل طبيب واختصاصي ما يلي:

- عنوان البريد الإلكتروني الشخصي لإدراجه ضمن "**قائمة البريد الإلكتروني للأطباء والاختصاصيين النفسانيين العرب**".
- السيرة العلمية، ولمحة عن النشاط العملي، ومحاور الاهتمامات لإدراجهم ضمن "**دليل السير العلمية للأطباء النفسانيين وأساتذة علم النفس العرب**".
- قائمة الإصدارات العلميّة (أبحاث، مقالات، كتب علميّة)، مع ملخّصات موجزة باللّغة العربية والإنكليزية أو العربية والفرنسية لإنجاز "**بنك المعلومات النّفسيّة العربيّة**".

2.2. ردود الفعل

كان الترحيب الكامل والإشادة لمشروع الشبكة، السمة المشتركة لجميع الردود التي وصلتني، مع طلب المساهمة الفعّالة في إعداد الشبكة بالنسبة لبعض منهم، هذا وقد أمدّنا بعض من الزملاء بسيرهم العلمية، وقائمة أبحاثهم ومنشوراتهم، في حين أحجم بعض آخر،

والأمر الملفت للنظر غزارة الإنتاج العلمي للعديد منهم، إلا أن سوء التواصل العلمي حال دون معرفتنا بهذه الأبحاث، ولعل من أهداف الشبكة تحقيق التواصل بين الاختصاصيين، والتعريف بإنتاج أبحاث الزملاء العرب.

2 . 3 . إنجاز دليل الأطباء النفسانيين وأساتذة علم النفس

أسعى من خلال هذه الصفحة للتعريف بالأطباء النفسانيين، وبأساتذة علم النفس العاملين في الوطن العربي، أو المهجر: اهتماماتهم العلمية، ميادين عملهم، تاريخهم العلمي والعملي، قائمة أبحاثهم وإصداراتهم الطبنفسية، نشاطهم الجمعياتي، مع جوانب من شخصياتهم الإنسانية واهتماماتهم الثقافية، توطيداً لأواصر تعارف يتجاوز حدود العلمي إلى الإنساني.

أما بالنسبة للأطباء النفسانيين، وأساتذة علم النفس الذين تعذّر الاتصال بهم، فبإمكانهم إرسال سيرتهم العلمية مصحوبة بملخصات أبحاثهم وكلماتها المفتاحية باستعمال النموذج المرفق في هذه الصفحة.

CV Form / نموذج السيرة العلمية / Formulaire du CV

وتتضمن هذه الصفحة السير العلمية للرواد من علم النفس والطب النفسي في الوطن العربي الذي قدموا خدمات جليلة للصحة النفسية، هذا إلى جانب سير أعضاء الهيئة العلمية الذين ساهموا بشكل فعال في تأسيس الشبكة وتطويرها.

كما أعرض نافذة للبحث في قواعد بيانات عن سير الأطباء والأساتذة الذين تكرموا إرسال سيرهم العلمية، ونافذة للبحث تتعلق بالأبحاث الطبنفسية والعلمنفسية العربية (يتم البحث باللغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنكليزية)، ونافذة أبحاث خاصة بملخصات أطروحات الطب النفسي، ورسائل الماجستير لعلم النفس.

هذا وتتضمن الصفحة استطلاعاً للرأي حول أفضل بحث طبنفسي ومقالة طبنفسية لسنة2003، وأفضل بحث علمنفسي، ومقالة علمنفسية، يرشحها المتصفح المشترك بالموقع لسنة 2003، مع الملاحظة أنه لا يمكن إجراء هذا الاستطلاع أكثر من مرة واحدة، وهو مخصص للمشتركين بالشبكة.

تأتي هذه الصفحة محمية بكلمة عبور، وهي خاصة بالأطباء المشتركين بالشبكة، والمسجلين بقائمة المراسلات الإلكترونية.

آمل أن يكون هذا الدليل متطوّراً ومتجدّداً بصفة تفاعليّة، مع تطوّر وضعية الطبيب، أو الاختصاصي، العلمية والعملية، وأن يتم إدراج الأطباء والاختصاصيين الشبان حديثي العهد

بالتخرّج. وحتى يكون شاملاً لكل الأطباء والاختصاصيين النفسانيين في الوطن العربي، ويعكس دائرة اهتماماتهم ومستوى أبحاثهم العلمية وهمومهم الإنسانية.

Arabpsynet Psychiatrist Guide : APN Psy-Ists English edition – APN Psy-Ists French edition – APN Psy-Ists Arabic edition

Arabpsynet Psychologist Guide: APN Psy-Gists English edition - APN Psy-Gists French edition - APN Psy-Gists Arabic edition

2 . 3 . إنجاز بنك الأبحاث الطبنفسية والعلمنفسية العربية

إن الأبحاث العربية الأصيلة في حقل العلوم النفسية رغم ندرتها تبقى مبعثرة وغير مجمّعة، ومن خلال تأسيس قاعدة بيانات الأبحاث أسعى لتكوين نواة "**بنك الأبحاث العربية الأكاديمية**"، شاملة لغالبية الدراسات النفسانية، وهي مكوّنة أساساً من عناوين الأبحاث، أسماء الباحثين، الملخصات والكلمات المفاتيح الخاصة بها، مع ذكر مصادرها. آملاً أن تكون قاعدة بيانات الأبحاث العلمنفسية والطبنفسية مصدراً رئيسياً من مصادر البحث بالنسبة لكل باحث أو طالب يسعى لإعداد دراسة أو أطروحة للإطلاع على أحدث الدراسات العربيّة المتعلّقة بموضوع بحثه.

يعتمد البحث في البنك الإلكتروني للأبحاث النفسية على الكلمات المفاتيح، وقد لفت نظري أن عديد الدراسات الأكاديمية العربية تفتقر إلى هذه الكلمات، وهذه عقبة رئيسيّة أعمل على تجاوزها بالاجتهاد وضع الكلمات المفتاحية لهذه الدراسات انطلاقاً من نص البحث، أو ملخّصه.

هذا، وبإمكان الأساتذة والأطباء المشتركين في الموقع إرسال ملخصات أبحاثهم من خلال نموذج الأبحاث المرفق في الموقع.

Formes Papers / نموذج الأبحاث العلمنفسية والطبنفسية / Formulaire des Articles

2 . 3 . 3 دليل الجمعيات العربية الطبنفسية والعلمنفسية:

1 . 3 . 3 أطراف الاتصال

بلغ عدد الجمعيات المهتمة بالعلوم النفسية التي وجهت لها رسائل للمساهمة بالتعريف بأنشطتها في الشبكة 33 جمعية موزعة كالآتي:

جمعيات عربية طبنفسية:

الاتّحاد المغاربي للطبّ النّفسي ـ الجمعيّة الأردنيّة للطبّ النفسي ـ الجمعيّة التونسيّة للطب النفسي ـ الجمعيّة العالميّة الإسلامية للصحّة النفسيّة ـ الجمعيّة المصريّة للصحّة النفسيّة ـ الجمعيّة المصريّة للطّب النفسي ـ المركز الوطني للصحة العقليّة ـ رابطة الأطبّاء النفسيّين بالخليج ـ جمعيّة الأطبّاء النفسيّين العراقيّين ـ الجمعية التونسية للأطباء النفسانيين بالممارسة الخاصة ـ لجنة مكافحة الوصمة والتفرقة تجاه الفصام ـ جمعية الطب النفسي التطور ـ مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية ـ رابطة الاختصاصيين النفسيين المصرية رانم ـ الجمعية المصرية لعلم المراهقة ـ برنامج غزة للصحة النفسية ـ الاتحاد العربي للوقاية من الإدمان ـ الاتحاد العالمي للصحة النفسية (م. إ.ش. م) ـ الجمعية التونسية للطب النفسي الجامعي ـ جمعية شرق المتوسط للصحة النفسية للأطفال والمراهقين.

جمعيات عربية علمنفسية، وهي:

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ـ مركز معوقات الطفولة ـ جمعية أحباء الطفولة ـ مركز الإرشاد النفسي ـ فريق الباحثين النفسانيين اليمنيين ـ الاتّحاد العربي لعلم النفس ـ الجمعيّة التونسيّة لعلم النفس ـ الجمعيّة اللبنانيّة للدّراسات النفسيّة ـ الجمعيّة المصريّة للدّراسات النفسيّة ـ الجمعيّة النفسيّة اليمنيّة ـ المركز العربي للدّراسات والتدريب الأمني بالرياض ـ رابطة الاختصّاصيّين النفسيّين في مصر ـ مركز دراسات الطّفولة/ مصر.

وكنت قد طلبت من كل جمعية ما يلي:

1 ـ عنوان البريد الإلكتروني للجمعيّة لإدراجه ضمن **"قائمة البريد الإلكتروني للجمعيّات النفسيّة العربيّة"**.

2 ـ عنوان موقع الجمعيّة على شبكة الإنترنت، للتّعريف به، ولإدراجه ضمن **قائمة "مواقع الجمعيّات النّفسيّة العربيّة على شبكة الإنترنت"**.

3 ـ لمحة موجزة عن تاريخ الجمعيّة، أنشطتها، برامجها، ملتقياتها، أعضائها لإدراجها ضمن **"دليل الجمعيّات النّفسيّة العربيّة"**.

4ـ قائمة إصدارات الجمعيّة (مجلاّت، كتب، أبحاث، مقالات) مع ملخّصات موجزة باللّغات: العربيّة، والفرنسية، أو العربية والإنكليزية، لإدراجهم في **"بنك المعلومات النّفسيّة العربيّة"**

2. 3. إنجاز دليل الجمعيات الطبنفسية والعلمنفسية العربية

حاولت في هذه الصفحة أن أعرّف بالجمعيّات العربيّة العاملة في حقل العلوم النفسية، سواء منها الطبنفسية، أو العلمنفسية، أو النفستماعية (النفسية الاجتماعية). محاولاً تسليط الأضواء على أهدافها، أنشطتها وأعضائها، ساعياً لخلق تواصل بين الجمعيّات العربية ذات التوجّهات الواحدة لتبادل التجارب والخبرات، ومتابعة آخر المستجدات والأحداث الجمعيّاتية.

هذا، وبإمكان الجمعيات الذين تعذر الاتصال بهم التعريف بأنشطتهم من خلال إرسال نموذج الخاص بالجمعيات العلمنفسية والطبنفسية، وذلك بعد إدراج البيانات الخاصة بهم، وإرساله إلى قاعدة بيانات الجمعيات بالشبكة:

Formulaire des Associations / نموذج جمعيات / Associations Form

يتضمن ارتباط الجمعيات نافذة عرض للإطلاع على الجمعيات العلمنفسية والطبنفسية العربية.

كما تضمنت استطلاعاً للرأي حول فعالية الجمعيات العلمنفسية والطبنفسية العربية وأهميتها:

1. 1. هل تؤمن بأهمية دور جمعيات العلوم النفسية في العالم العربي؟

1. 2. هل أنت عضو في إحدى الجمعيات الطبنفسية والعلمنفسية الوطنية والعربية؟

1. 3. هل تساهم الجمعيات الطبنفسية والعلمنفسية في رفع مستوى اللياقة النفسية العربية؟

إن هذا الاستطلاع مخصص للمشتركين بالشبكة، ولا يمكن إجراؤه أكثر من مرة واحدة بالنسبة لكل مشترك.

Arabpsynet Association Guide : APN Psy-Ass. English edition - APN Psy-Ass. Arabic edition - APN Psy-Ass. French edition

1. 4. دليل المجلات والدوريات النفسية العربية:

1. 4. أطراف الاتصال

سعياً للتعريف بالمجلات العربية النفسية، وجهت رسائل إلى 24 مجلة ودورية عربية، منها المختصة في الطب النفسي وعلم النفس، وأخرى علمية غير مختصة، وهي كالآتي:

5. مجلات مختصة في الطب النفسي:

الثّقافة النفسيّة التخصصية/ لبنان - الصحّة النفسيّة/ اليمن - المجلة المغاربيّة للطب النفسي/ المغرب - المجلّة العربيّة للطب النفسي/ الأردن - الإنسان والتطور/ مصر - المجلة المصرية

للطب النفسي مصر ـ الحوليات التونسية للطب النفسي/ تونس ـ المجلة التونسية للطب النفسي/ تونس ـ النشرة الإخبارية للإتحاد العربي للجمعيات غير الحكومية للوقاية من الإدمان/ مصر ـ نشرة الجمعية المصرية للطب النفسي/ مصر.

6. مجلات مختصة في العلوم النفسية:

الإرشاد النفسي/ مصر ـ النفس المطمئنّة/ مصر ـ دراسات نفسيّة/ مصر ـ علم النفس/ مصر ـ مجلّة الجمعيّة المصريّة للدّراسات النفسيّة/ مصر – الاختصاصي النفسي العربي/ مصر.

7 ـ مجلات علمية ـ ثقافية تعرض لمواضيع تهتم بالعلوم النفسية:

عالم الفكر/ الكويت ـ كتابات معاصرة/ لبنان ـ الفكر المعاصر/ لبنان ـ دراسات عربية/ لبنان (توقفت مؤخراً) ـ المستقبل العربي/ لبنان ـ العربي/ الكويت ـ المجلة العربية للطفولة/ الكويت ـ الإبداع والعلوم/ لبنان.

	مجلات الطب النفسي	مجلات علم النفس	مجلات ثقافية ـ علمية	المجموع
العدد	10	6	8	24
الردود	9	2	3	14
النسبة	%90	33%	37%	%58

طلبت من هذه المجلات والدوريات:

- عنوان البريد الإلكتروني للمجلّة لإدراجه ضمن **"قائمة البريد الإلكتروني للمجلاّت المختصّة، أو المهتمة بالعلوم النفسية"**، والتي نسعى لإنشائها.
- عنوان موقع المجلة على شبكة الإنترنت، لإدراجه ضمن قائمة **"مواقع المجلات النّفسيّة العربيّة"**.
- لمحة موجزة عن المجلّة، توجّهاتها، أهدافها، لغة إصدارها مع التعريف بأعضاء هيئة التّحرير.
- فهرس الأعداد الماضية لإنجاز **"بنك المعلومات النّفسيّة العربية"**، مع ملخصات الأبحاث المنشورة والكلمات المفاتيح الخاصة بها.

4.2. إنجاز دليل المجلات والدوريات النفسية:

عملت في صفحة **المجلاّت والدوريات العربية المختصّة بالعلوم النفسيّة** للتعريف بجل المجلاّت العربيّة، سواء المختصّة في الطب النفسي أو علم النفس، ساعياً إلى عرض **فهارس**

جميع أعدادها بداية من تاريخ صدورها، مع عرض ملخص موجز للأبحاث الواردة فيها، والكلمات المفاتيح الخاصة بكل بحث، كما كنت متابعاً لآخر إصدارات هذه الدوريات، معرّفة مع صدور كل عدد أهم الأبحاث التي يحتويها. وسعياً وراء انتشار الصحافة النفسية المختصة، عملت إلى جانب التعريف بهيئة تحرير هذه الدوريات وجهة إصدارها إلى تشجيع الاشتراك بها من خلال عرض قسيمة اشتراك الدوريات.

Arabpsynet Reviews Guide : APN Psy-Reviews English edition - APN Psy-Reviews Arabic edition - APN Psy-Reviews French edition

كما وضعت في وصلة المجلات ارتباط "نموذج مجلات" ليتم من خلاله إرسال البيانات المتعلقة بأية دورية إلى قاعدة بيانات الدوريات بالشبكة.

Reviews Form / نموذج مجلات / Formulaire des Revues

أشير إلى أن صفحة المجلات مفتوحة وغير محمية بكلمة عبور، وذلك للتعريف بهذه المجلات لدى الجمهور العريض من المتصفحين.

كما تم إدراج في الصفحة نافذة للاختيار المتعدد، محتوية لعديد من الدوريات الطبنفسية والعلمنفسية للإطلاع عليها، وذلك سواء من الصفحة الرئيسية للموقع، أو من ارتباط المجلات.

1.5. دليل المكتبة النفسية العربية:

أطراف الاتصال

إن الإصدارات العربيّة في حقل العلوم النفسية ضئيلة، مقارنة بالإصدارات الأجنبية في هذا الميدان، أو بالإصدارات العربية في الميادين الأخرى (أدب، سياسة، تاريخ، دين...)، ومن أجل التعرف على الإصدارات النفسية العربيّة عملت على الاتصال بالبريد الورقي بعديد دور النشر، وكان مجموعها 177، موزّعة كالآتي:

البلد	لبنان	سوريا	مصر	الأردن	السعودية	تونس	الكويت	المجموع	النسبة
دور النشر	72	45	43	9	4	2	2	177	%100
الردود	4	3	3	1	0	0	0	11	%6
عودة الرسائل	25	5	2	0	0	1	0	33	%18
بدون إجابة	43	37	38	8	4	1	2	331	%75

طلبت من دور النشر ما يلي:

- العنوان الإلكتروني للدّار لإدراجه ضمن "**دليل العناوين الإلكترونية لدور النشر العربية**".
- عنوان موقع الدار على شبكة الإنترنت لإدراجه ضمن قائمة "**مواقع دور النشر العربيّة المهتمة بالإصدارات النّفسيّة**".
- لمحة موجزة عن تاريخ الدار، نشأتها، توجّهاتها، أهدافها، منشوراتها، لتأسيس "**الدليل الإلكتروني لدور النشر العربيّة**".
- قائمة الإصدارات النفسيّة للدّار مصحوبة بفهرس كلّ إصدار، مع التعريف بالكاتب وبتاريخ الصّدور لإنجاز "**بنك الإصدارات النّفسيّة العربيّة**". مع التعريف بالإصدارات النّفسيّة الحديثة بصفة دوريّة حتّى يتمكّن المتصفّح من الإطّلاع على آخر الإصدارات في ميدان العلوم النّفسيّة.

2.5. إنجاز دليل المكتبة النفسية العربية:

أسعى هذا الدليل إلى سد فراغ كبير في المكتبة العربية، فالكتاب النفسي العربي رغم ندرته يبقى مهمشاً مقارنة بالإصدارات الأدبية والتراثية والدينية وغيرها، كما أنه يشكو سوء التعريف به، والإشهار المحدود الذي لا يكاد يتجاوز المدينة، أو البلد الصادر فيه. وسعياً وراء تجاوز هذه النقائص، عملت في إطار هذه الصفحة على التعريف بالإصدارات النفسية العربية القيّمة، سواء منها العربية، أو الفرنسية، أو الإنكليزية، حيث يتم عرض ملخصاتها مع الفهارس التابعة لها مصنفة حسب الاختصاصات النفسية الدقيقة (طبنفس، علمنفس، علاجنفسي، تحليلنفسي، علمنفس الطفل والمراهق.....) لتيسير بحث المتصفح على العناوين حسب اهتماماته.

وقد تم تأسيس بنك الإصدارات النفسية العربية، من خلال قاعدة بيانات محتوية لعديد الإصدارات يتم البحث فيها، سواء من خلال الكلمات المفتاحية، أو اسم الباحث، هذا ويتم إثراء بنك الإصدارات بصفة تفاعلية مستمرة من خلال إرسال نموذج الكتب بعد إدراج البيانات فيه إلى الشبكة. وهذه الصفحة غير محمية بكلمة عبور.

Formulaire des livres / نموذج كتب/ Books Form

كما تتضمن الصفحة استطلاعاً للرأي حول أفضل كتاب طبنفسي لسنة 2003، وأفضل كتاب علمنفس، مع الملاحظة أن هذا الاستطلاع مخصص حصرياً للمشتركين

بالشبكة، ولا يمكن إجراؤه أكثر من مرة واحدة بالنسبة لكل مشترك.

Arabpsynet Books Guide : APN Psy-Books English edition - APN Psy-Books Arabic edition - APN Psy-Books French edition

دليل الروائز والاختبارات العربية

أسعى للتعريف بأهم اختبارات القياس النفسي، سواء المقننة للبيئة العربية، أو التي لم تقنن، ساعياً إلى تشجيع تعريبها وتقنينها للبيئة العربية، وبرمجتها ومعالجتها إلكترونياً، كما تم عرض بعض الاختبارات النفسية على الصفحة، حيث بالإمكان إجراءها من خلال الموقع، والحصول على نتيجة الاختبار.

سلم تقييم درجة الإكتئاب لهاميلتون: النص الكامل ـ الاختبار.

سلم تقييم درجة القلق لهاميلتون: النص الكامل ـ الاختبار.

استبيان تحري الاضطرابات النفسية السابقة للدورة الشهرية: النص (فرنسي) ـ موجز.

كما تتضمن هذه الصفحة استطلاعاً للرأي حول أهمية الروائز، ومدى استعمالها في العيادة النفسية العربية، وجاءت الأسئلة كالآتي:

1 - **هل تستعين في ممارستك العيادية بالاختبارات النفسية؟**

2 - **هل تستعين باختصاصي القياس النفسي لتحليل نتائج الاختبارات؟**

3 - **هل حصلت على تكوين علمي وعملي في القياس النفسي؟**

4 - **ما هو الاختبار الأكثر استعمالاً في ممارستك العيادية؟**

كما أن هذا الاستطلاع مخصص للمشتركين بالشبكة، ويتعذر إجراؤه أكثر من مرة واحدة.

هذه الصفحة محمية بكلمة عبور، وهي مخصصة حصرياً للأطباء النفسانيين، وأساتذة علم النفس المشتركين في الموقع.

Arabpsynet Psychometry Guide : APN Psy-Metry English edition - APN Psy-Metry Arabic edition - APN Psy-Metry French edition

7 . دليل المؤتمرات النفسية العربية والعالمية:

أعرض في هذه الصفحة الجدول الزمني للمؤتمرات الطبنفسية والعلمنفسية العربية والعالمية، مع عناوين مواقعها على الشبكة للإطلاع، وتفاصيل برامجها، أو عناوين مراسلاتها الإلكترونية، إنْ تعذّر التعرّف على موقعها.

وإلى جانب التعريف بالمؤتمرات العربية، أسعى إلى تشجيع الأطباء والاختصاصيين المشاركة فيها دعماً وتوطيداً لأواصر التعارف العلمي والإنساني، وخلقاً لمناخ التنافس العلمي، وللإطلاع على خدمات الصحة النفسية في مختلف أقطار الوطن العربي.

تتضمن هذه الصفحة نافذة اختبار للإطلاع على المؤتمرات العالمية، مبوبة كالآتي:

- مؤتمرات عربية/ مؤتمرات أوروبية/ مؤتمرات آسيوية/ مؤتمرات إفريقية/ مؤتمرات عالمية/ مؤتمرات أسترالية.

كما أعرض استطلاعاً للرأي حول أهمية المؤتمرات الطبنفسية والعلمنفسية العربية، ومدى المشاركة فيها، وكانت أسئلة الاستطلاع كالآتي:

1 . 1 . هل تهتم بالمؤتمرات الطبنفسية والعلمنفسية العربية، وتسعى للمشاركة فيها؟

1 . 2 . هل تحقق لك المؤتمرات العربية إضافة علمية عند مشاركتك فيها؟

1 . 3 . هل تسعى عند مشاركتك المؤتمرات العربية في التعرف على الزملاء العرب، وربط علاقة للتعاون العلمي معهم؟

أشير إلى أن هذا الاستطلاع مخصص للمشتركين بالشبكة، ويتعذر إجراؤه أكثر من مرة واحدة.

أسعى في وقت لاحق إلى متابعة أهم المؤتمرات العربية، بإطلاق أبحاثها المعروضة على الشبكة خلال أيام المؤتمر، لمتابعة فعالياتها من خلال الشبكة في الزمن الحقيقي.

إثراء لهذه الصفحة، بإمكان الجمعيات، والمنظمات العلمية والطبنفسية، الراغبين في التعريف بمؤتمراتهم إرسال البيانات حسب النموذج المخصص للمؤتمرات.

Formulaire des Congres / نموذج مؤتمرات / Congress Form

Arabpsynet Congress Guide : APN Psy-Cong. English edition - APN Psy-Cong. Arabic edition - APN Psy-Cong. French edition

8 . دليل المواقع النفسية والمواقع النفسية العربية والعالمية والنشر الإلكتروني النفسي العربي.

إن النشر الإلكتروني يكاد يكون منعدماً في العالم العربي، ولا عذر في تخلفنا عن هذا الميدان، فالتعامل الرقمي مع المعلومة أصبح أكثر من ضرورة.

إن أهمية الكتاب الإلكتروني والبحث الإلكتروني لا تلغي بأي حال الكتاب الورقي والبحث المكتبي، ولكنها مكمّلة له، فهي تقدم خدمات تفاعلية يعجز عنها الكتاب

الورقي، فلكل شكل من المعرفة مكانته، ولكل عصر أدواته ولغته.

أسعى من خلال هذه الصفحة إلى تشجيع النشر الإلكتروني، سواء كانت أبحاثاً، أو اختبارات، أو برمجيات، أو ملخصات مؤتمرات، أو دوريات ومجلات إلكترونية، من خلال الأقراص المكثفة، أو شبكة الويب.

أعرض في هذه الصفحة لأهم ارتباطات العلوم النفسية على شبكة الإنترنت التي تم اختيارها لقيمتها العلمية من بين آلاف المواقع، وقد عرضتها مبوبة حسب محاور العلوم النفسية (اضطرابات الإدمان، اضطرابات وجدانية، اضطرابات ألزهايمر، اضطرابات القلق...)، لتسهيل عملية البحث، وذلك من خلال نافذة اختيار خاصة بالمواقع، وذلك إلى جانب التعريف بمحركات الأبحاث العالمية للبحث حسب المفردات، والتي لا غنى للباحث على الويب في اللجوء إليها وأهمها (MEDLine ، Google ، YahooMH).

كما أعرض في هذه الصفحة استطلاعاً للرأي لترشيح أفضل المواقع النفسية العربية والعالمية، وأفضل محركات الأبحاث:

1 ـ 1 ـ ما هي أفضل ثلاث مواقع ويب عربية طبنفسية وعلمنفسية ترشحها؟

1 ـ 2 ـ ما هي أفضل ثلاث مواقع ويب عالمية طبنفسية وعلمنفسية ترشحها؟

1 ـ 3 ـ ما هو أفضل محرك أبحاث ترشحه للعلوم النفسية؟

هذا الاستطلاع مخصص للمشتركين في الموقع، سواء من الأطباء النفسانيين، أو أساتذة علم النفس، ويتعذر إجراؤه أكثر من مرة واحدة.

وهذه الصفحة مفتوحة، وغير محمية بكلمة عبور.

Arabpsynet Links Guide : APN Psy-Links English edition - APN Psy-Links Arabic edition - APN Psy-Links French edition

9 . صفحة منتدى الحوار للأطباء والاختصاصيين

أسعى أن تكون هذه الصفحة التفاعلية منتدى إلكترونياً يعرض فيه الاختصاصيون وجهة نظرهم حول المواضيع التي تشغل بال بعض منهم، لتبادل الآراء العلمية. وهي محمية بكلمة عبور حتى لا يلج إليها غير أهل الاختصاص.

في هذا المنتدى يعرض المختصون فيه وجهات نظرهم حول مواضيع متفرقة حسب اهتماماتهم في المنتدى الحر، كما بإمكانهم المشاركة في محاور المنتدى الثلاثة المحددة كالتالي:

- **اللغة العربية في العلوم النفسية**، وكمدخل لهذا المنتدى، نعرض لأبحاث أهمها للأستاذ يحيى الرخاوي "اللغة العربية وتشكيل الوعي القومي"، لتكون منطلقاً للحوار لهذا المنتدى.
- اللغة وخصوصية الشخصية العربية - بسام بركة.
- **"نحو سيكولوجيا عربية"**، وكمدخل للحوار في هذا المحور، نعرض الأبحاث التالية:
- واقع الطب النفسي في العالم العربي: أ.د. محمد أحمد النابلسي - لبنان.
- مسيرة العلوم النفسية في الوطن العربي: أ. د. نزار عيون السود - سوريا.
- على طريق المدرسة العربية للعلوم النفسية: أ. د. محمد أحمد نابلسي - لبنان.
- الملامح المميزة للمدرسة العربية للعلوم النفسية: أ. د. على زيعور - لبنان.
- الخصائص المعرفية للمحاولات السيكولوجية العربية: د. الغالي أحروشاو.
- **الوظيفة الجنسية من السواء إلى الاضطراب:** مدخل للحوار نعرض فيه الأبحاث التالية:
- "عقدة ليليت" الجانب المظلم من الأنوثة: د. سامر جميل رضوان - سوريا.
- الاضطرابات النفسجنسية: مقاربة تصنيفية حديثة: أ. د. كلود كريبولت - ترجمة د. جمال التركي.
- الجنس والنفس في الحياة الإنسانية (مقدمة كتاب): أ.د. كمال علي - العراق.
- الجنس الفيض، الجنس الصفقة، الجنس اليأس في "بيع نفس بشرية": محمد قنديل - أ.د. يحيى الرخاوي.
- تطور الهوية الجنسية - رؤية من منظور الصحة والمرض: د. أسامة عرفة.
- الانحراف الجنسي: إعادة قراءة مصطلح: أ.د. يحيى الرخاوي - القاهرة/ مصر.
- تحرير المرأة بالحرمان...!!!: أ.د. يحيى الرخاوي - القاهرة/ مصر.

آمل إثراء المنتدى بالمشاركة التفاعلية للمساهمة في إرساء تقاليد حوار إلكتروني علمي راق على الشبكة.

كما أعرض في هذه الصفحة استطلاعاً للرأي يتعلق باللغة العربية وإمكانيات تطويرها إلى لغة علمية، وعن أهمية استعمالها في الأبحاث والدراسات المختصة، كما أستطلع الرأي حول المصطلح العلمنفسي والطبنفسي العربي.

استبيان المنتدى

وفي ما يلي أسئلة هذا الاستطلاع.

1) هل ترى ضرورة أهمية تدريس العلوم النفسية بالعربية؟
2) هل تعتبر أن تعريب العلوم دعوة ماضوية؟
3) هل تعتقد أن تدريس العلوم العربية أفضل لبناء الذات؟
4) هل تقبل تعريب المصطلح في غياب ترجمة عربية له؟
5) هل توافق على ضم الكلمات عند ترجمة المصطلحات المركبة؟
6) هل تسعى لكتابة أبحاثك بالعربية؟
7) هل أن تخلف نحت المصطلح العربي يعود إلى بنية اللغة وأهميتها؟
8) هل يتحمل اللغويون العرب مسؤولية تخلف اللغة؟
9) هل أن تدريس العلوم باللغات الأجنبية نتيجة قرار سياسي؟
10) هل بإمكان اللغة العربية تجاوز تخلفها ومواكبة العلوم؟
11) هل تهتم بتأسيس المصطلح النفسي العربي؟

أشير إلى هذا الاستطلاع مخصص للمشتركين في الشبكة، من الأطباء النفسانيين، وأساتذة علم النفس، ولا يمكن إجراؤه أكثر من مرة واحدة بالنسبة لكل مشترك.

Arabpsynet Forum Guide : APN Psy-Forum English edition - APN Psy-Forum Arabic edition - APN Psy-Forum French edition

10. صفحة المعجم الشبكي للعلوم النفسية

أعرض في صفحة المعاجم الإصدار الكامل **للمعجم الإلكتروني للعلوم النفسية** الذي تجاوز إعداده فترة العشر سنوات محتوياً على أكثر من 113 ألف مصطلح. حيث بإمكان المتصفح من خلال **المعجم الشبكي للعلوم النفسية** "NetPsydict" الاطلاع على ترجمة المصطلح النفسي من وإلى العربية، الفرنسية والإنكليزية.

ويمتاز المعجم الشبكي على خلاف المعجم الورقي بالتفاعلية، حيث يتطور مع استعمال المتصفحين له. فقد تضاف له مصطلحات جديدة، وتختفي أخرى، وقد تتغير ترجمة كلمة ما، وتضاف ترجمات جديدة إلى أخرى قديمة، وبإمكان كل مشترك في الشبكة، سواء من الأطباء النفسانيين، أو أساتذة علم النفس، إبداء الرأي في ترجمة مصطلح ما، وعرض ترجمة أخرى يراها مناسبة لمصطلح آخر، وإرسالها من خلال النماذج المرفقة لتعديل ترجمة المصطلح،

أو لإضافته بعد المشاورة والدراسة.

نموذج إضافة مصطلح إنجليزي/ نموذج إضافة مصطلح عربي/ نموذج إضافة مصطلح فرنسي

Arabpsynet Dictionary Guide : APN Psy-Dict. English edition - APN Psy-Dict. Arabic edition - APN Psy-Dict. French edition

1. دليل الوظائف النفسية العربية

إن العقبة التي تجابه حديثي العهد بالتخرج في ميدان العلوم النفسية تتمثل أساساً في الحصول على وظيفة تناسب اختصاصهم ومؤهلاتهم، وهذه المسألة تعدّ أكثر حدّة بالنسبة لاختصاصيي العلوم النفسية، مقارنة بالأطباء النفسانيين: فحاجة العالم العربي، سواء إلى الأطباء، أو الاختصاصيين مازالت كبيرة جداً، لكن ندرة المطالبة بهؤلاء الاختصاصيين تعود لعدم الوعي بأهمية هذا الاختصاص، وإن حدث أن طلبت بعض المؤسسات هؤلاء الاختصاصيين، فسوء التواصل بينها وبين اختصاصيي العلوم النفسية يكون عائقاً رئيساً في توظيف الكفاءة المناسبة في المكان المناسب، الأمر الذي أدى إلى ارتباك في توظيف هؤلاء. حتى أصبحنا نجد اختصاصيي علم النفس يقومون بوظائف أبعد ما تكون عن اختصاصهم، كأن يوظفوا أساتذة للغة العربية، أو الأجنبية، أو يهجرون اختصاصهم إلى وظائف لا علاقة لها بعلم النفس، والعكس يشاهد أيضاً، حيث أن بعض المؤسسات توظّف اختصاصيين غير مؤهلين لوظائف نفسية.

وسعياً لرأب الهوة بين الاختصاصيين والمؤسسات، ومن أجل تحسيس المؤسسات بأهمية الاختصاص، أسعى للتعريف بالمجالات التي يمكن للأطباء والاختصاصيين أن يقدموا فيها خدماتهم، إضافة إلى المؤسسات الاستشفائية شأن المؤسسات التعليمية، المؤسسات الصناعية، المؤسسات المالية، المؤسسات الإدارية... كما أسعى إلى تعريف المؤسسات بالاختصاصيين، والاختصاصيين بالمؤسسات، من خلال عرض **طلبات المؤسسات** للوظائف الشاغرة لديها في مجال علم النفس والطب النفسي، وأيضاً من خلال عرض **طلبات التّوظيف** لحديثي العهد بالتخرج في العلوم النفسية، لإيجاد مساهمة في فرص توظيف الاختصاصيين في ميدان اختصاصهم، ولوقف نزيف هجرة الاختصاصيين من ميادين العلوم النفسية، بعد أن أعياهم البحث، وعجزوا عن إيجاد وظائف تناسب مؤهلاتهم، فكل طبيب أو اختصاصي يعمل خارج نطاق اختصاصه هو خسارة لهذا الاختصاص في العالم العربي الذي نحن أحوج ما نكون فيه

إلى أمثال هؤلاء لرفع مستوى اللياقة النفسية للمواطن العربي، التي هي في أدنى درجاتها.

Job Offer Form / نموذج عرض وظائف / Formulaire Offre d'emploi

Demand Job Form / نموذج طلب وظائف / Formulaire Demande d'emploi

Arabpsynet Jobs Guide : APN Psy-Jobs English edition - APN Psy-Jobs Arabic edition - APN Psy-Jobs French edition

2. دليل مراكز الاستشفاء الطبنفسية العربية:

أسعى في هذه الصفحة إلى التعريف بأهم المؤسسات الإستشفائية الطبنفسية في العالم العربي، سواء منها الخاصة، أو الحكومية، طرق العلاج المتبعة فيها، الطاقم الطبي، طاقة استيعابها من المرضى، تاريخ المؤسسة، نشاطها العلمي بعيدا عن الإشهار التجاري.

تتضمن الصفحة استطلاعاً للرأي مخصص للمشتركين حول المشافي النفسية العربية.

1 . كيف تقيم أداء المشافي النفسية العربية؟

2 . هل توجد مشافي خاصة للصحة النفسية في بلدكم؟

3 . هل تدعم فكرة إنشاء مشافي صحية نهارية؟

4 . كيف تقيم العلاقة بين الأطباء النفسانيين العاملين في المجال الاستشفائي وزملائهم في الممارسة الحرة؟

هذه الصفحة مفتوحة لعموم المتصفحين، وغير محمية بكلمة عبور.

Arabpsynet Hospital Guide : APN Psy-Hospital English edition - APN Psy-Hospital Arabic edition - APN Psy-Hospital French edition

3. دليل الجامعات العربية (لم يحدث بعد)

رغبة في التعريف بأقسام علم النفس والطب النفسي بالجامعات العربية، تتضمن:

- عنوان البريد الإلكتروني لأقسام علم النّفس/ الطب النّفسي بالجامعة لإدراجه ضمن "قائمة البريد الإلكتروني لأقسام علم النفس والطب النفسي بالجامعات العربيّة " التي نسعى لإنشائها.
- عنوان موقع الجامعة على شبكة الإنترنت لإدراجه ضمن قائمة **"مواقع الجامعات العربيّة"**.
- قائمة أعضاء هيئة التّدريس، مع عناوينهم الإلكترونية، ولمحة موجزة عن دائرة اهتمامهم وتخصّصاتهم الدقيقة لإعداد **"قائمة الأساتذة الجامعيين المختصين في العلوم النفسية"**.

- لمحة موجزة عن البرامج المعتمدة في أقسام علم النفس والطب النفسي في هذه الجامعات، مدّة الدّراسة، شهادات ختم الدروس الجامعيّة.
- قائمة الأبحاث والأطروحات الجامعيّة مع ملخّصاتها باللّغة العربية والإنكليزية أو العربية والفرنسية لإنجاز "**بنك المعلومات النّفسيّة العربيّة**".

4. دليل المريض النفسي العربي: (لم يؤسس بعد)

هذه الصفحة موجهة إلى المريض النفسي العربي، حيث تعرّف في صورة مبسطة أهم الأمراض النفسانية (الفصام، الاكتئاب، الرهاب، الوسواس القهري.....)، وذلك لتخليص المريض النفسي من الخرافات والشعوذات التي صحبت الاضطرابات النفسية ردحاً طويلاً من الزمن، كما تهدف الصفحة إرشاد المريض إلى الطرق السليمة التي ينبغي أن يتوخاها للعلاج حتى يوفر أكثر الضمانات لتحقيق الشفاء.

إن هدف هذه الصفحة أساساً توعوي، ولا تسعى بأي حال إلى تقديم وصفات علاجية، أو إرشادات دوائية، فكل ما تسعى إليه هو إنارة طريق المريض النفسي حتى يدرك طبيعة مرضه والطريق السوي الذي ينبغي اتباعه للعلاج كي لا يتيه بين سراديب الدجالين والمشعوذين.

5. صفحة الثقافة المعلوماتية: (لم تؤسس بعد)

إن امتلاك قدر أدنى من "**الثقافة المعلوماتية**" بالنسبة للطبيب والاختصاصي أصبح أكثر من ضرورة، ونحن على أعتاب الألفية الثالثة، فالتعامل مع جهاز الكمبيوتر والأدوات التابعة له وفهم البرامج وكيفية الاستفادة منها لتطوير أسلوب العمل ولتطور الأبحاث النفسية يعد أمراً أساسياً، فلا عذر للاختصاصيين بـ"**الأمية المعلوماتية**".

سنعمل من خلال هذه الصفحة على تبسيط مصطلحات المعلوماتية، وتشجيع الاخصاصيين على امتلاك كمبيوتر شخصي والاشتراك بالإنترنت لامتلاك عنوان إلكتروني، وكيفية إعداد صفحة ويب شخصية يعرض فيها سيرته العلمية ويعرف بشخصه واهتماماته. إن معرفة حد أدنى من البرامج شأن برامج معالجة النصوص، برامج قواعد البيانات، برامج التصفح على شبكة الإنترنت، برامج إعداد صفحات الويب.... يعدّ من **أبجديات الثقافة المعلوماتية**؛ إن هذه الثقافة التي لم يتلقاها جل الاختصاصيين في الجامعة زمن دراستهم، يمكن استيعابها بصفة تدريجية وامتلاك ناصيتها، ولا خيار لنا في ذلك إنْ أردنا دخول هذه الألفية من الباب الكبير، وإلا سنبقى في دائرة الظل في عصر العولمة، عصر محو الآخر إنْ لم يعلن عن وجوده ويعبّر عن ذاته وكيانه وخصائصه.

خاتمة:

إن نجاح هذا الإنجاز المعلوماتي يتطلب تضافر جهود جميع العاملين في ميادين العلوم النفسية، حتى يكون مرآة عاكسة لحالة هذا الاختصاص في الوطن العربي، وحتى يعرّف بالمستوى العلمي الذي وصل إليه، ويساهم في ربط صلة التعارف العلمي والإنساني بين الاختصاصيين.

إنّي أوجّه دعوة إلى جميع الأطباء والاختصاصيين العرب المهتمين بالعلوم النفسيّة، سواء العاملين منهم في الوطن العربي، أو المغتربين، والذي تعذّر الاتصال المباشر بهم، سواء عن طريق البريد الورقي، أو الإلكتروني، مشاركتنا إعداد الصفحة، بإرسال سيرتهم العلمية، وقائمة أبحاثهم مع ملخصاتها والكلمات المفاتيح الخاصة بها، كما أوجّه دعوة إلى الجمعيات والمجلاّت والجامعات المختصة بالعلوم النفسية (طب نفس - علم نفس) في الوطن العربي للمساهمة معنا في إعداد الصفحة من خلال التعريف بأنشطتهم وبرامجهم وأبحاثهم. إن الأمل كبير في تضافر جهود جميع العاملين في ميادين العلوم النفسية في العالم العربي لإنجاز هذا المشروع المعلوماتي، ونرحب بكل من يرغب في التعاون الدائم معنا، ومتابعة مراحل إعداد الصفحة إلى حين إطلاقها على الشبكة. أما في ما يخص موعد عرض الصفحة على شبكة الإنترنت، فليس في وسعنا في الوقت الحاضر الإعلان عن زمن محدد، لأن إنجاز هذا العمل رهين مشاركة وتعاون أطراف متعددة، ولكن سنعمل قدر الإمكان على ألاّ تطول فترة الإنجاز، بفضل تضافر مجهودات الجميع.

ملاحظات

أتقدم بالشكر والاعتراف بالفضل إلى كل من ساهم معي في إنجاز هذا المشروع المعلوماتي، الذي لولا دعمهم لما جاءت هذه البوابة بالثراء والتنوع التي هي عليه، وأخص بالذكر كل من الأساتذة محمد أحمد النابلسي (لبنان)، يحيى الرخاوي (مصر)، حسيب الدفراوي (مصر)، طارق عكاشة (مصر)، نبيل سفيان (اليمن)، معن عبد الباري (اليمن)، سامر رضوان (سوريا)، حسان المالح (السعودية)، الزين عمارة (الإمارات)، مساعد النجار (الكويت)، وليد سرحان (الأردن)، عدنان الفرح (الأردن)، سفيان الزريبي (تونس)، إضافة إلى اختصاصيي البرمجة والمعلوماتية السيد ماهر اليانقي، السيد عبد السلام الحكيم، والسيد عبد العزيز التركي، لدعمهم المتواصل، ولاجتهادهم في التغلب على صعوبات تقنية البرمجة العربية.

- الدكاترة جليل بناني، ومحمد الجماعي (المؤتمر الثاني للأطباء النفسانيين الخواص الناطقين بالفرنسية/ المغرب 2002).
- الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوي (الندوة العلمية لجمعية الطب النفسي التطوري/ القاهرة - فيفري 2002).
- الدكتور سفيان الزريبي (المؤتمر الثالث للأطباء النفسانيين الخواص الناطقين بالفرنسية/ سوسة - ماي 2003).
- الأستاذ الدكتور عدنان العيدان الذي تكرم بدعوتي للمؤتمر الأول للصحة النفسية بالخليج (الكويت أفريل 2003)، والتي حالت وضعية المنطقة دون انعقاده.

كما أود التعرض لسؤال طرح في عديد المؤتمرات حول مصادر تمويل المشروع وكلفته والجمعيات التي يمثلها، أما الإجابة فإن التمويل شخصي، وقد اعتذرت عن قبول دعم عديد المؤسسات ومخابر الأدوية، حفاظاً على استقلالية الموقع، أما عن كلفة المشروع فإني أترفع عن ذكر الأرقام، وأكتفي بالإشارة إلى أن إعداد الموقع كلفني زيارة عديد الدول العربية، إضافة إلى العمل بمعدل أربع ساعات يومياً على مدى ثلاث سنوات كاملة، مع طاقم مكون من ثلاث سكرتيرات (واحدة كامل الوقت، واثنتين نصف وقت)، واختصاصيي البرمجة والتصميم (8 ساعات أسبوعياً على مدى ثلاث سنوات). أما في ما يخص الجمعيات الداعمة لهذا المشروع، فهو لا يعبر عن وجهة نظر أية جمعية علمنفسية وطبنفسية عربية، ولكنني أشيد بالدعم المعنوي والعلمي لعديد الجمعيات، وأخص بالذكر اتحاد الأطباء النفسانيين العرب، المركز العربي للدراسات النفسية، جمعية الطب النفسي التطوري، والجمعية التونسية للطب النفسي.

وبعد كل هذا، وقبل كل شيء، فالفضل كل الفضل لله سبحانه وتعالى أن وفقني ورزقني الصبر والاحتمال حتى جاء الموقع على ما هو عليه.

تكريم الدكتور جمال التركي

بسم الله الرحمن الرحيم

الزملاء الأفاضل الأطباء وأساتذة علم النفس

الأخوة الزملاء في شبكة العلوم النفسية العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

على هامش مشاركته فعاليات "المؤتمر الدولي السادس للطب النفسي" في جدة، حضي رئيس شبكة العلوم النفسية العربية:

الدكتور جمال التركي

بتكريم هيئة مشروع تعظيم البلد الحرام بمكة المكرمة

تقديراً لخدماته وإنجازاته على مستوى العلوم النفسية العربية.

مكتبة العدد

عنوان الكتاب: يهود يكرهون أنفسهم.

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: دار الفكر، بيروت – دمشق. 288 صفحة.

عرض: أنس الأموي.

في كتابه الصادر عن دار الفكر بدمشق تحت عنوان «يهود يكرهون أنفسهم، يرى الدكتور محمد أحمد النابلسي أن شعور اليهود بالاضطهاد يلازم تاريخهم المروي، ويطبع أساطيرهم، فهذا الشعور يسهل على اليهودي الشعور بكراهية الآخر، لأن الآخر يضطهده ويضطهد شعبه، وهو ليس بحاجة إلى صدقية المرويات والروايات اليهودية، لأنه يؤمن بـ"اللاسامية، أو معاداة السامية، أو كره اليهود"، وهي مصطلحات مختلفة لشعور لازمت اليهود عبر تاريخهم. إلا أن هذا المصطلح لم يعرض للتداول السياسي إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وتحديداً في العام 1881، وفي شهر أبريل/ نيسان من ذلك العام، ففي ذلك التاريخ أصدر وزير الداخلية الروسي أخانتيف مجموعة من القوانين هدفت إلى إبعاد اليهود والألمان عن وسط روسيا، وتجميعهم في 25 ولاية تقع في غرب روسيا، وقد أدى هذا التهجير القسري إلى اضطرار اليهود إلى العيش في ظروف قاسية في أماكن سكنهم الجديدة، وعندها ظهر مصطلح "اللاسامية" كان "رد فعل" على هذه القرارات التي ألحقت الظلم باليهود الروس. ويشير الباحث اللبناني المعروف إلى أن المتابع لا بد له من الربط بين بدايات النشاط الصهيوني وبين ظهور هذا المصطلح مدعوماً بدلالات سياسية ـ اجتماعية محددة، حتى يمكن اعتبار "اللاسامية" منطلقاً للمصطلحات الدعائية الصهيونية الهادفة إلى اختراع أساطير حديثة يتلاءم نسيجها مع الأساطير اليهودية القديمة. والهدف من الإصرار على هذا التشابه هو تحويل أي عقاب يتلقاه اليهود لدى انحسار القناع عن تجمع من تجمعاتهم إلى وقفة نكوصية، حيث يرى المحللون أن التعرض لرضة جديدة يؤدي إلى إعادة إحياء ذكريات الرضات القديمة. كما أن

حاجة الصهيونية للأساطير الجديدة لم تكن تقتصر على استخدامها كوصية، بل كان لهذه الأساطير دور وظيفي فائق الأهمية بالنسبة إلى الصهيونية، التي عرضت نفسها كحركة علمانية، ومن ثم ملحدة، فالديانة اليهودية هي ديانة تشريعية تتدخل في أدق التفاصيل للمؤمن بها، وهذا ما يجعل العلمانية خروجاً بيناً على تعاليم الدين، ومن ثم إلحاداً ناجزاً. وعليه فإن الأساطير الحديثة هي الوسيلة لإعادة وصل ما ينقطع بين الصهيوية وبين اليهود الأرثوذكس. ولهذا السبب مهدت الصهيونية لأساطيرها الجديدة بإرساء نواة أول مستعمرة صهيونية في فلسطين، حيث أقنعت الملياردير اليهودي «موسى دي مونتي فيوري» بشراء ضيعة قرب يافا في العام 1855، وتخصيص أرضها لليهود المتدينين، أو المضطهدين، وهذا ما أتاح لليهود الروس المهجرين عام 1881 إمكانية الهجرة إلى فلسطين، حيث هاجر قسم منهم ليؤسس مستعمرة رأس صهيون «رشون لوزيون». وفي هذا الإطار يؤكد الدكتور النابلسي، وبجرأة، أن استثمار الصهيونية لمصطلح "اللاسامية" لم يصل إلى ذروته إلا في الحرب العالمية الثانية، حين قدم الزعيم النازي هتلر فرصة الاستثمار الذهبية لهذا المصطلح، إذ بدأت الصهيونية بدعوة يهود العالم للهجرة إلى فلسطين على أنها الملاذ الوحيد لهم في العالم، وقد استجاب اليهود الأوروبيون لهذه الدعوة تحت ضغط شائعات تحول "اللاسامية" من النبذ الاجتماعي والاحتقار إلى المذابح الجماعية، وهي شائعات روجتها الصهيونية وضخمتها، بل إن هنالك وثائق تتراكم وتكتشف تباعاً لتؤكد وجود تواطؤ بين هتلر وبين الصهيونية باتجاه إجبار اليهود الألمان خصوصاً، والأوروبيين عموماً، على الهجرة إلى فلسطين. كما أن الصهيونية نجحت في إدخال مصطلح معاداة السامية، أو "اللاسامية"، وأحسنت استغلاله وتوظيفه لخدمة مشروعها، كما نجحت الصهيونية في إقامة حائط مبكى جديد معاصر ومساير للعصر مجسداً بمصطلح "اللاسامية"، حيث المبكى الوحيد هو "الهولوكوست"، الذي أحسنت الصهيونية صناعته والاتجار به، إلا أن المبالغات الصهيونية، والتوحد الكلي بالولايات المتحدة، استجلبت انتقادات ومعارضات متفاوتة الدرجات من قبل بعض القطاعات والشخصيات اليهودية، فما كان من الصهيونية إلا أن اشتقت من مصطلح "اللاسامية" مصطلحاً فرعياً توليدياً هو مصطلح "لاسامية الأنا"، بمعنى «اليهودي الذي يكره نفسه»، وهو مصطلح راحت الصهيونية تطلقه في وجه أي يهودي يجرؤ على معارضتها، أو حتى انتقادها، مع توظيف قدرتها على التحكم في الأوساط اليهودية - الشتاتية لمحاربة معارضيها الذين يكرهون أنفسهم، حيث يمكن اعتبار تهمة "لاسامية الأنا" نوعاً من التكفير على الطريقة العلمانية. بالإضافة إلى أن التعمق في التراث اليهودي المعروف يبين لنا أن كره اليهود أنفسهم، كما لليهود الآخرين، إنما هو جزء من هذا

التراث، فهذه الكراهية تتبدى في «النكتة اليهودية»، وهي غالباً منتحلة ومنقولة، لكن انتقاءها يؤيد اتجاه كراهية الذات لدى اليهود، وهذه الكراهية، شأنها شأن كافة أنواع الكره اليهودي للذات، تبطن عدوانية نحو الأغيار، ولذة الشعور اليهودي بالاضطهاد. كما تحول مسألة "الهولوكوست" إلى عملية ابتزاز دولي وتاريخي منظم حتى تحول مناقشة هذه المسألة إلى واحدة من المحرمات "التابوات"، حيث تعرض مفكرون وأساتذة جامعيون للاضطهاد بسبب الهولوكوست، ومنهم روجيه غارودي، وغيره من الباحثين الذين تطرقوا إلى الموضوع فنالتهم ممارسات الإرهاب الفكري، بدءاً بالطرد من الوظيفة، وصولاً إلى الاعتداء الجسدي والتهديد، مروراً بتحطيم واجهات المكتبات التي تبيع كتب هؤلاء، ومع ذلك فإن عدداً لابأس به من الكتّاب اليهود تجرأ على اتخاذ مواقف ناقدة لهذا السلوك للإيحاءات والمبالغات اليهودية في هذه القضية. وفي هذا المجال، يصف الدكتور محمد أحمد النابلسي، في كتابه الجديد، اليهود المعادين للكيان الصهيوني بأربع فئات، الأولى اليهود المتشددون من الطوائف التي ترى أن قيام إسرائيل مخالف لتعاليم التوراة، بل إنه حرب ضد الرب، والمثال على هذه الفئة الحاخام موشيه هيرش، زعيم طائفة "نيطوري كارتا"، والذي يرى أن إسرائيل وسيلة لتدمير اليهود، والثانية اليهود المعادون مبدئياً للصهيونية، سواء لأسباب دينية، أو آيديولوجية، أو سياسية، ومثال على هذه الفئة الفيلسوفة اليهودية ضه أراندت، والتي حازت لقب «عدوة اليهود» منذ العام 1961. أما الفئة الثالثة فتضم اليهود المشككين بليبيرالية إسرائيل وديموقراطيتها، واكتشافهم لعنصريتها، وهؤلاء من الليبراليين الراديكاليين، ومنهم نعوم شومسكي، وإسرائيل شاحاك، وموريس جاكوبي، الذي يعلن أن إسرائيل دولة عربية، حيث يبلغ هذا المفكر العجوز الخامسة والثمانين من عمره، وهو إسباني الأصل يعيش في فرنسا، بعد أن ضاقت به إمكانية العيش في إسرائيل التي سجنته مرات عدة بسبب آرائه، مما جعله يردد أن للديموقراطية أسناناً حادة. وهو يخاف من أسنانها على أولاده وأحفاده المستمرين في العيش داخل إسرائيل. كما أن لديه كتاباً من 650 صفحة لا يجد له ناشراً، ويحمل عنوان «إسرائيل أرض حرب، وفلسطين أرض سلام». في حين أن اليهود المنشقين على الصهيونية يشكلون الفئة الرابعة، ومنهم الصحفي اليهودي مايوليفن الذي يخجل من صهيونيته، ويخشى تهمة لا سامية الأنا، حيث قال: «أشعر بالخجل لأن هذه الدولة التي كنت ألقى التشجيع لكي أحبها ابتكرت عملياً فكرة الهجمات "الدفاعية" الوقائية، وسمحت لنفسها بغزو لبنان عام 1982 مسببة معاناة لا حدود لها، وكوارث داخل ذلك المجتمع الهش.. أشعر بالخجل لأن دولة ولدت جزئياً خلال الهولوكوست "محرقة اليهود" تستمر في قتل مدنيين

أبرياء بالقنابل والمتفجرات، وقد دينت مرات عديدة في منظمة العفو الدولية لقيامها بتعذيب سجناء وإساءة معاملتهم، وكثير من هؤلاء مجرد رهائن سجنوا من دون محاكمة. كذلك فرويد اليهودي الذي كره نفسه قبل وفاته، والذي كان ملحداً، لكنه كان شديد التعصب ليهوديته، وإلحاده لم يكن سوى نوع من أنواع التمرد النرجسي الناشئ عن صورة جميلة متخيلة للأهل. تناقضها صورة بشعة واقعية، فيحصل التمرد لرد الأهل إلى صورتهم الجميلة، أما عن مظاهر التعصب اليهودي عند فرويد فنجده في أبوية "بطريركية" التحليل، وفي تأسيس فرويد له على غرار الحركات السرية، واقتصار أوائل الأعضاء على اليهود، ورغبة فرويد الفائقة بتولية يونغ الآري خليفة له حتى لا يتعرض التحليل للاضطهاد الآري وتعلقه بالتاريخ اليهودي والمصري، حيث كان يملأ عيادته بالعاديات المصرية الأثرية، وموقفه من موسى ومحاولته ترميم صورته الموجودة في التوراة. بالإضافة إلى مظاهر التربية اليهودية المنعكسة على فكره وكتاباته ونظريته، وهي مظاهر عمل «جاك لاكان» على تحويرها ليجعل من التحليل نظرية قابلة للاعتماد في المجتمع الفرنسي الكاثوليكي.

المؤرخون الإسرائيليون الجدد

ويخصص الدكتور محمد أحمد النابلسي في كتابه «يهود يكرهون أنفسهم» الفصول الثلاثة الأخيرة للحديث عن حركة المؤرخين الإسرائيليين الجدد، مقدماً نماذج من كتاباتهم، ولمحة عن المواقف العربية من حركات الانفتاح اليهودية، حيث يشير الباحث إلى تجنب التاريخ الإسرائيلي الرسمي مجرد الإشارة إلى الخسائر اللاحقة بالفلسطينيين نتيجة حرب 1948، وبذلك فهو قد تجنب ذكر الدمار والخراب اللاصق بالمدن والقرى الفلسطينية، والحديث عن طرد السكان من قراهم ومنازلهم وتدميرها بعد ذلك، وبهذا حافظت الرؤية الرسمية الإسرائيلية على منطوق تاريخي موحد، قوامه أن الصهيونية قد حققت معجزة إقامة دولة إسرائيل، حيث صفة المعجزة هي النتيجة المفروضة للطريقة الرسمية في سرد أحداث حرب 1948، وذلك بدءاً بتسميتها بحرب الاستقلال، في إيحاء إلى أنه استقلال لدولة اليهود عن التاج البريطاني، فحتى اليوم لا تتعدى حركة المؤرخين الجدد عن كونها مجموعة من الباحثين الجامعيين الذين يجرون بحوثاً للتحقق من بعض الملابسات والتفاصيل المتعلقة بالصراع العربي - الإسرائيلي منذ تأسيس إسرائيل حتى اليوم. ولهذا السبب فقد عوملت هذه الحركة على أنها مجرد تيار من التيارات العلمانية لغاية قرار وزير التعليم يوسي ساريد إدخال أفكار هؤلاء المؤرخين إلى المدارس وتدريسها للتلاميذ، فهذا القرار هو الذي أعطى التيار طابع الحركة، مبيناً تأثيرها وتمتعها بالتأييد السياسي، حيث يجيء هذا القرار على يد الحكومة

الباراكية المستعدة لتقديم تنازلات من النوع الرابيني "نسبة إلى رابين"، مما جعل معارضة اليمين المتدين لهذه الحركة معارضة ذات طابع حاد. ومع أن أعمال هؤلاء المؤرخين تبدو وكأنها تناصر العرب ورواياتهم، إلا أن الدكتور النابلسي يحذر من الوقوع في هذا المطب، مشيراً إلى أن المؤرخين الجدد يؤكدون على وجود تواطؤ عربي رسمي للحؤول دون قيام دولة فلسطينية، كنتيجة طبيعية لقرار التقسيم، مما يعني استجابة الزعماء العرب في حينه لرؤية «بن غوريون» الخاصة للمصالح الإسرائيلية. ويركز «بيني موريس بشكل خاص على تفاهم الملك عبد الله مع إسرائيل، ولكن التشكيك لا يقف عند ملك الأردن، بل يتعداه إلى سائر الزعماء في حينه. كما يشكو المؤرخون الجدد من ضبابية المحفوظات العربية المتعلقة بالصراع العربي ـ الإسرائيلي، وعدم إمكانية الوصول إلى وثائقه بصورة مباشرة، وضرورة الالتفاف للحصول على هذه المعلومات عبر الوثائق المخابراتية الأجنبية، كذلك يعتبر المؤرخين الإسرائيليين الجدد بأن عملهم لا يكتمل بدون قيام حركة مؤرخين عرب جدد، بما يوحي أن الخلاف العربي ـ الإسرائيلي متركز على إيضاح بعض النقاط التي تدين الصهيونية، بما يسمح بعدها بالانتقال إلى مرحلة تفاهم ما بعد الصهيونية. كما أنه، وأمام الدعم العالمي لإسرائيل، اضطر الزعماء العرب إلى خوض حرب تعبئة نفسية بهدف الحفاظ على المعنويات، وأيضاً وقاية الجمهور من أخطار الحرب النفسية الإسرائيلية التي سخرت وسائل الإعلام العالمي، وبذلك طغت هذه التعبئة على الرؤية الرسمية العربية لتاريخ الصراع، بحيث يؤدي سرد الحقائق إلى دحض هذه الرواية. ويستعرض الدكتور محمد أحمد النابلسي أعمال بعض هؤلاء المؤرخين الجدد، حيث يسقط ناخمان بن يهودا أسطورة "الماسادا"، ويرى بيني موريس في شهادته الإسرائيلية بأن العرب ضحايا الحق، ويؤكد المؤرخ سيمحا فلابان نية مبيتة لتهجير الفلسطينيين، أما آي في شليم في كتابه "الجدار الحديدي ـ إسرائيل والعالم العربي"، فيعارض العرض التقليدي لتاريخ الدولة العبرية. كذلك كتابات توم سيغيف، وإيلان بابي، وزئيف ستيرنهل، ويهودا بن ناخمان، وإيلي نافيه، وغيرهم. وحول المثقفين العرب والانفتاح الإسرائيلي، يؤكد الباحث اللبناني أنه من الصعوبة بمكان تقديم عرض شامل لمواقف المثقفين العرب من مختلف التيارات والحركات الانفتاحية الإسرائيلية، وخصوصاً بعد تفرع محاولات الانفتاح الإسرائيلية المضخمة، بحيث امتدت إلى الصعيد الشخصي، وإلى اصطياد المثقفين العرب في الندوات والمؤتمرات، وعبر الملحقيات والمراكز الثقافية الإسرائيلية، هذا عدا عن محاولات التأسيس لحركات خليطة تضم عرباً وإسرائيليين بشروط إسرائيلية.

ويتابع د. محمد أحمد النابلسي، مشيراً إلى أنه على الرغم من كثافة هذه المحاولات

الاختراقية، فإن من واجبنا تجنب التعميم وتحويل كل علاقة عربية ـ إسرائيلية إلى هاجس وسواسي، فواقعنا المخزي يجبرنا على مواجهة حقائق صعبة من نوع قيام العمال الفلسطينيين بالمشاركة في بناء المستوطنات اليهودية التي تبتلع ارضهم، وذلك تحت وطأة الحاجة إلى الرغيف. كذلك الشبان العرب من مختلف الجنسيات الذين يعملون في إسرائيل هرباً من فقرهم. وهذا ما يدفعنا للإعجاب بالعلاقة المميزة التي تربط مثلاً بين إدوارد سعيد وبين إسرائيل شاحاك، لما فيها من إصرار متبادل على المساواة الكلية. لهذا فإن موقف التجاهل العربي لحركة المؤرخين الجدد، ولغيرها من الحركات الصهيونية التجميلية، هو موقف متعمد وموضوعي، إلا أنه لا يمنع من محاولات القراءة الموضوعية لهذه الحركات، وإيجاد الأسس الموضوعية للتعامل معها، وذلك من خلال مناقشة الأصداء الإعلامية والفكرية للحركة خارج إسرائيل، والمحاولات الآمنة لإيصال نتاج هذه الحركة إلى الرأي العام العربي لتوعيته في ما يتعلق بالأبعاد السياسية الحقيقية لهذه الحركة، في حين يحيل الدكتور النابلسي القارئ العربي للاطلاع على كتابات السياسي الأميركي بول فندلي، الذي خسر مقعده في الكونغرس نتيجة لحملته ضد اللوبي الصهيوني، والذي دحض كافة الأكاذيب الصهيونية.

العنوان: المجتمع العراقي؛ تحليل سيكوسوسيولوجي لما حدث ويحدث.

المؤلف: أ. د. قاسم حسين صالح.

تعليق: هدية حسين.

كتاب الدكتور قاسم حسين صالح، رئيس الجمعية العراقية النفسية، الذي حمل عنوان "المجتمع العراقي - تحليل سيكولوجي لما حدث ويحدث"، جاء في 223 صفحة كبيرة القطع، موزعة على ثلاثة أقسام، وقد صدر عن "الدار العربية للعلوم ناشرون"، و"المجلس العراقي للثقافة".

وتحت عنوان آخر هو "السياسة.. والبارانويا.. والبرلمان"، يقول الباحث في ما يبدو مزيجاً من الخطاب السياسي والوجداني والنفسي "محنة العراقيين أن قادتهم السياسيين من "الأفندية"، و"المعممين" فرقاء مصابون "بالبارانويا"؛ وكل فريق منهم يشك بالآخر، ويعتقد أنه يتآمر عليه لإنهائه، حتى وصل بهم الحال إلى رفع شعار "لاتغدى بصاحبي قبل أن يتعشى بي"، فتغدى الجميع بالجميع بوجبات من البشر تعدت المئة ضحية في اليوم، ودفعهم هوسهم إلى الإيغال بأيهم يقتل أكثر، وأيهم يتفنن بأساليب غير مسبوقة في بشاعة القتل والتعذيب".

ويستخلص من ذلك نتائج منها ما جاء في قوله "وبوصفنا سيكولوجيين، ولسنا سياسيين.. والسياسة تعني فن إدارة شؤون الناس بما يريحهم، لا بما يضنيهم، فإننا نقول إن البارانويا السياسية إذا طبخت على نار الطائفية والعرقية صار شفاء أصحابها قريباً من المستحيل، بينما اتفاقهم هو المستحيل بعينه.

والمشكلة أن البارانويا السياسية بين الفرقاء سريعة العدوى والانتشار بين الغالبية المأزومة والمتقبلة للإيحاء، والمتطيرين الذين أتعبتهم الاحتمالات المتناقضة، فيما "الغلابة" من ملايين أهل بغداد حيارى لا يعرفون ماذا يفعلون، وما عادت تنفعهم حتى أساليب النفاق والازدواجية التي اضطر أجدادهم إلى ممارستها مع السلطة من قبيل "الياخذ أمي يصير عمي".

وزاد الكاتب على ذلك أن خبرته الشخصية أوصلته إلى أن المصاب بالبارانويا، أو جنون الاضطهاد والارتياب، "يتمتع بمهارة درامية في تجسيد دور الضحية، وقدرة عالية في إقناع

الآخر بأن أوهامه حقائق ثابتة، وراح كل فريق يبث أوهامه عبر وسائله الإعلامية، فصدق به أتباعه، وغاية ما يريده المصاب بالبارانويا أن يصدق به أهله .. فكيف إذا صدق به أيضاً كبار القوم في دول الجوار..".

للمزيد:

http://www.ahewar.org/news/s.news.asp?ns=no&t=&nid=574303

والمؤلف، من خلال متابعاته، يرى أفراداً في البرلمان العراقي مصابين بعصابية مرضية، ومنهم من لديه ميول سادية، وآخرون لديهم شعور حاد بالمظلومية، وآخرون يغلي في داخلهم برميل من الحقد، وغالبيتهم يمارسون الإسقاط، بمعنى ترحيل عيوبهم، ورمي الفشل على الآخر.

وسنقف في مواضيع عديدة على جرائم السلطة، عربياً، وعراقياً، تحت عنوان (الطاعة وجرائم السلطة)، ثم نذهب إلى (رذائل الشعوب) التي لا تقل في بعض الأحيان عن رذائل السلطة، ومنها تعظيم القادة وتفخيمهم ورفعهم إلى السماء، مبررين لهم رذائلهم. ترى هل نحن العراقيين بحاجة إلى دكتاتور؟ هذا ما يحلله سيكولوجيا قاسم حسين صالح، ويوصلنا إلى النتيجة التي فرضتها الظروف السياسية، حتى بات (الدكتاتور) كامناً في أعماق الشخصية العراقية، بدءاً من الأسرة، مروراً بشيخ العشيرة، وانتهاءً بالأحزاب. أخطاء أميركا في العراق، وما نتج عنها من فوضى وتدمير ونهب، وفتح الحدود أمام المتشددين، كل ذلك يأتي عليه الكاتب ويحلله؛ كيف أصبحت بغداد كبش فداء، فتعطلت الحياة، وحدث الشرخ النفسي داخل الشخصية العراقية. ويبقى سؤال جارح حارق: لماذا يحصل كل هذا للعراق والعراقيين؟ سنجد الإجابة بين طيات كل سطر في هذا الكتاب المهم البعيد عن التعابير الجاهزة والجمل الإنشائية، الكتاب الخارج من عمق الذات العراقية المجروحة، والمتابع لكل خلفيات الأحداث. وسنقرأ كثيراً من المواضيع عن الفتنة، والقوانين، وأسباب حاجة العراقي إلى رمز، والسلطات التي توالت على حكم العراق، وجرت عليه الويلات، والكوارث الخفية، والنداّبات في الموروث الشعبي، وجيل الفضائيات، وثقافتنا الجنسية، وسيكولوجية القضاء والقاضي، والنظريات الجديدة التي يقدمها العراقيون في علم النفس حين تتساوى لديهم فرص الحياة والموت. إنه كتاب يضع الإصبع على جرحنا، ويشير إلى الخلل الكامن في نفوسنا بأسلوب طبيب يعرف أين يكمن المرض وكيف يكون الشفاء.

ملف العدد

مراجعات التحليل النفسي

- تقنيات التحليل النفسي.
- مدارس التحليل النفسي.
- التحليل النفسي اللساني.
- التحليل النفسي للأدب والفنون.
- التحليل النفسي في مصر.
- الأكذوبة الفرويدية.

تقنيات التحليل النفسي

فرويد وكتاب تفسير الأحلام

د. محمد أحمد النابلسي

الحلم هو الطريق الملوكي إلى اللاوعي

سيغموند فرويد.

يتفق المهتمون بالتحليل على أن كتاب "تفسير الأحلام" هو الكتاب الأكثر مرجعية وعقائدية في ما كتبه فرويد، وأكثر مؤلفاته أصالة. ويرى فرويد هذا الرأي نفسه، فقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1900، وها هو ذا فرويد سنة 1931 بعد أن نشر عشرات الرسائل والكتب يسجل رأيه في كتابه هذا، فيقول عنه: "إنّه حتى في ما أرى اليوم يحوي أثمن الكشوف التي شاء حسن الطالع أن تكون من نصيبي، فمثل هذا الحدث لا يأتي في العمر مرتين".

إن فرويد يتحدث هنا عما أسماه بـ"الومضة الفكرية"، وهي حالة عقلية تدفع المرء نحو استبصار مفاجيء (الومضة) للحقائق المعروضة أمامه. والومضة الفرويدية لا تتعلق بفكرة التركيز على الأحلام وتفسيرها. حيث يتيح لنا الاستقراء التاريخي الاطلاع على أنماط تفسيرات الشعوب للأحلام عبر العصور، منذ المصريين القدامى، حتى المحللين المعاصرين، مروراً بالكهنة البابلين والآشوريين وعلماء اليونان وفلاسفتهم، كما بدلنا على ذلك ما جاء في القرآن والكتاب المقدس عن قصة يوسف، وما نراه في ما وصل إلينا من آثار القدامى في الحضارات الهندية والصينية والعربية (مثل كتاب ابن سيرين، وغيره). وليس أدل على ذلك من أن المعلم الأول أرسطو أفرد مؤلفين لموضوع الأحلام، كما أن أبا الطب هيبوقراط أنشأ فصلاً عن العلاقة بين الأحلام والأمراض في كتابه الذي وصل إلينا. وظل الاهتمام بموضوع الأحلام لدى الفلاسفة خلال القرون الوسطى، ثم لدى العلماء والفلاسفة في العصر الحديث، كما

سيتبينه القارئ في الفصل الأول من هذا الكتاب.

لقد كانت الأحلام مرآة الأعماق الإنسانية، بما فيها من رغبات مكبوتة، وغرائز ملجومة، ومخاوف متوقعة، وهي مرآة شبيهة بصفحة الماء التي تشوّه الصورة المعكوسة فتنقلها محرّفة. ولذا كانت الحاجة ملّحة إلى تأويلها الذي لا يقل صعوبة عن قراءة السطور الهيروغليفية.

ولكن أين ومضة فرويد في كل هذا؟ وما هي المستجدات التي حملها كتابه "تفسير الأحلام" لتجعل من هذا الكتاب إضافة محققة للتراث الطبي والسيكولوجي الإنساني. كما جعلته الأساس النظري للمدرسة التحليلية الفرويدية التي لا تزال أداة رصد نظرية وفكرية أساسية لمجالات النشاط الإنساني في مختلف حالاته.

الومضة التي يتحدث عنها فرويد هو مقاربته لتفسير الحلم على أنه حصيلة انتقائية لبعض محتويات الذاكرة. وبالتالي فهو مدخل لقراءة رغبات وماضي الحالم، وليس مستقبله، كما تميل معظم التفسيرات السابقة لتفسير فرويد، الذي أضاف أن الحلم هو تحقيق لرغبات الحالم المكبوتة.

ولكن كيف يمكن للحلم تحقيق رغبات الحالم؟

في الواقع، إن هنالك قسماً من الأحلام المتسمة بالوضوح والشفافية، بحيث تستطيع أن تجيبنا مباشرة على هذا السؤال. وهذا النوع من الأحلام يكون أكثر حدوثاً لدى الأطفال الذين يحلمون عادةً بأنهم يقومون بالأعمال التي تمنوا القيام بها أثناء النهار. ومن الأمثلة التي يعطيها فرويد على أحلام الأطفال، ودورها في تحقيق أمنياتهم، حلم ابنته آنا التي سمعها تقول أثناء نومها: فراولة، ... حلوى بالفراولة... مربى. آنذاك كانت آنا في شهرها التاسع عشر، وكانت قد عانت في ذلك النهار من اضطرابات هضمية منعتها من أكل الفراولة، فحلمت بأنها تأكلها. وهكذا يأتي الحلم تعبيراً عن رغبة منعتنا ظروف معينة عن تحقيقها. وإذا كنا قد أعطينا مثالاً عن الحلم الطفولي، فإن هذا النوع من الأحلام لا يقتصر فقط على الأطفال، بل إنه يحدث أيضاً لدى البالغين، كأن يحلم العامل، الذي تأخر عن موعد عمله بسبب استمراره بالنوم، بأنه في المعمل يمارس عمله العادي.

إلا أن اكتمال الفكرة الومضة، التي احتاجت لسلسلة ومضات استبصارية، من نوع حلم آنا، هي اكتشاف فرويد المتلخص بالعبارة التي تقدمت عرضنا، وهي: "الحلم هو الطريق الملوكي الذي يقودنا إلى اللاوعي"، فقد كان فرويد يبحث عن هذا الطريق الملوكي، ويحتاجه لإكمال نظريته.

وكان فرويد قد تعرض لإبهار شديد خلال زيارته لباريس وحضوره دروس الثلاثاء التي كان يلقيها العالم الفرنسي جان مارتن شاركو في مستشفى لاسالبترابير الفرنسي، حتى أنه عاد إلى فيينا حاملاً معه بذور ثورة على تقاليد الطب النمسوي، لكن فيينا استهجنت ذلك، من نحو قول فرويد بـ"الهيستيريا الرجولية"، إذ بين له شاركو أن الرجال يصابون أيضاً بالهيستيريا، وليس النساء فقط.

ومن فيينا، أيضاً، حمل فرويد معه أحجية التنويم المغناطيسي العلاجي. حيث يذكر فرويد حالة مريضة مصابة بالشلل الهيستيري تمكن شاركو من معالجتها بالتنويم المغناطيسي، إذ أمرها بعد تنويمها بالوقوف، ثم المشي، فنفذت أوامره.

لكن طموحات فرويد كانت أبعد من ذلك، فهو لا يريد أن يقف عند حدود التشخيص التفريقي، حيث قدرة المريضة على المشي ينفي إصابتها بأي عطب عضوي عصبي، ويؤكد أن حالتها نفسية بحتة. كما أن احتمال مقاومة المريضة للتنويم يفوت حتى فرصة التشخيص. عداك عن أن فرويد كان يطمح لتشكيل نظرية متكاملة تتخطى العلاج إلى فهم وتفسير النشاط العقلي الإنساني.

بعدها استنجد فرويد بسيرورة تداعي الأفكار، التي باتت من صلب الممارسة التحليلية، لكن المريض يحتفظ خلالها بوعيه كاملاً، وبالتالي بجميع دفاعاته عن مكبوتاته. ما يجعل تداعي الأفكار طريقاً شاقاً للوصول إلى اللاوعي، على عكس الطريق الملوكي المتمثل بالأحلام.

أليست حقيقة جديرة بالتأمل أن تشغل مسألة الأحلام الإنسانية بأسرها، شعوبها، ورواد الفكر فيها، ثم تبقى مع هذا دون حل حاسم. وحين وصل القرن التاسع عشر إلى نهايته، ظهر سيجموند فرويد، فقام بحل اللغز الذائع الصيت. المسألة، إذن، ليست "حدساً لا يأتي العمر مرتين"، وإنما هي من نوع الحدس الذي لا يتاح إلاّ مرة في قرون، بحسب البروفيسور مصطفى زيور، في تقديمه للترجمة العربية لـ"تفسير الأحلام"، متابعاً بالتساؤل عن استعصاء هذا الكشف طوال هذه الأحقاب، ولم كان من نصيب فرويد، دون غيره، أن يكشف عن طبيعة الحلم.

الكتاب يلقي الضوء على بعض الحقائق الأساسية، ومنها أن الحلم ليس أمراً مستقلاً عن سائر أحوال النفس في يقظتها، بل هو يتصل بها أوثق الاتصال، ويكون حلقة من حلقات الحياة النفسية. ويزيد خطورته أنه يعبر عن أمور لا يسعنا حتى مجرد الإحساس بها أثناء اليقظة، ويحيط بما عفا عليه الزمان من الأحداث والخبرات الأولى، فيبعثها أمام ناظرنا،

فتتضح لنا الصلة بين ماضي الفرد وحاضره، ويستبين ما كان قد استغلق علينا فهمه من أحوال الإنسان، حتى استحق الحلم وصف فرويد: إنّه الطريق الموصل إلى أعماق النفس.

وبما أن هذا العرض موجه لغير المتخصصين، فإنه يقتضي عرض الأمثلة المساعدة على الخوض في متاهات تأويل الحلم. وفي السياق مثال مفضل لدي متكرر في كتاباتي، وهو: خلال نهاره الحافل يستنشق شخص رائحة عطر ما دون التوقف عندها. وفي الليل يحلم بجملة أشخاص لا رابط بينهم، حتى أنه يتعجب ويتساءل عن سبب تذكره لهم وحضورهم في حلمه؟! وعن طريق التأويل يتبين أن الجامع بين هؤلاء الأشخاص الحاضرين في الحلم هو استعمالهم للعطر الذي تنشقه الحالم عرضاً خلال النهار.

هكذا نتبين في الحلم سمات على آثار تجارب قديمة يجمعها منطق غريب لا نعهده في يقظتنا إلاّ حين ننظر إلى أحوال المجنون، أو الرجل البدائي، أو الطفل الصغير. كما نتبين أسلوباً في الخيال والتعبير شديد الشبه بأسلوب الأساطير وعقائد المجتمعات القليلة الحظ من الحضارة. وبعبارة أخرى، إن الحلم نافذة تطل على أعماق النفس؛ يترامى البصر منها إلى آفاق تصل إلى طفولة الإنسان، لا بل إلى فجر تاريخ الإنسانية، ومراحل تطورها جميعاً، فضلاً عن أنّها تجمع في أفق واحد بين العقل والجنون، من حيث أن الحلم خبرة من خبرات الإنسان الصحيح العقل، ولكن طبيعته الهلوسية لا تختلف عن هلوسة المجنون. ومعنى ذلك أن الكشف عن طبيعة الحلم إنما يكشف عن طبيعة العقل والجنون جميعاً.

يتضح، إذن، أن مشكلة الحلم أعظم شأناً مما يبدو لأول وهلة، وأن من يعقد العزم على أن يزيح الستار عن طبيعته إنما يواجه مشكلة طبيعة النفس الإنسانية بأسرها. وهذا من بين الأسباب التي جعلت موضوع الأحلام أمراً عسيراً ممتنعاً على الفهم العلمي الصحيح قروناً عديدة. ومن أجل ذلك، كان "تفسير الأحلام" أحد أخطر الاكتشافات في تاريخ معرفة الإنسان بنفسه. ونقطة تحول بالغة الأثر في تطور علم النفس والطب النفسي جميعاً، حتى شبهه بعضهم بكتاب كوبرنيكس، الذي جاء بثورة فكرية أرست قواعد علم الفلك الحديث.

ذلك أن الكتاب يطلعنا على المعنى الصحيح لأخطر اكتشافات التحليل النفسي، وهو ما اصطلح عليه بالعمليات الأولية، والعمليات الثانوية. إذ تتيح دراسة الأحلام أن نتعمق في كل منها، وأن نفهم ما يقوم بينها من العلاقات. فيتضح لنا الارتباط بين أشياء كان يظن أنّها متباينة مستقلة بعضها عن بعض (ارتباط أشخاص الحلم المثال باستعمالهم للعطر ذاته. وهو مثال على ما يسميه فرويد بالعمليات الأولية). ونشعر بأنّ ضياء قد بدد الظلمات التي كانت تكتنف أشتات الحياة النفسية، فما إن ندرك طبيعة العمليات الأولية التي يقوم عليها بنيان

الحلم، حتى تتجلي لنا معالم منطق فريد يختلف اختلافاً ملحوظاً عن منطقنا الذي نألفه أثناء اليقظة في المجتمعات المتحضرة (أي منطق العمليات الثانوية)، ولا نلبث أن نفطن إلى أن منطق العمليات الأولية إنما هو المنطق الذي ينسج هذيان المريض على منواله، حتى صح القول بأنّ الحلم هو جنون عابر يستغرق الليل، وأنّ المرض النفسي حلم طويل يستغرق الليل والنهار.

بل إن إمعاننا النظر في منطق الحلم يجعلنا ندرك أنّه المنطق الذي يعتنقه كل منا في طفولته الأولى، فالأطفال ينهمكون بابتداع الروابط الخيالية بين الأشياء والكلمات، وهو ما يساعدهم على تعلم اللغة، والكلمات هي في الأساس أشياء لا تلبث أن تتحول إلى تصورات حسية حركية هي الكلمات. وعبر تناسق الأشياء والكلمات وترابطها التدريجي في ما بينها، يكتسب الطفل اللغة. والأوضح ملاحظة تلاعب الطفل بالكلمات وباللغة بعد اكتسابه لها، حيث يلجأ الأطفال لإقلاب الكلمة، سواء بقراءتها معكوسة، أو بإقلاب معانيها، كما أنهم يجدون التسلية في ربط الكلمات، المتشابهة شكلاً، والمختلفة في دلالاتها ومعانيها، والعكس بالعكس.

إن التلاعب الطفولي بالكلمات، وعبرها بالأشياء، هو النمط المؤسس للعمليات الأولية التي تشكل منطق الأحلام. ومن هنا تطابق منطق الحلم مع المنطق الطفولي، وهو عينه المنطق الذي يعتمده الشعراء والفنانون بحثاً عن روابط مبتكرة بين الكلمات والأشياء أو المواضيع في حالة البالغين.

لذلك لا نستغرب انتقال فرويد بمنطق تفسير الأحلام وتحليلها إلى تحليل الأعمال الفنية لدافنشي، وتمثال غراديفا جنسن، وغيرها من الأعمال الفنية والكتابات الأدبية. بل إن فرويد ذهب إلى أبعد من ذلك بتحليله للحضارة الإنسانية البدائية، والقلق الذي تحمله الحضارة المعاصرة وصولاً لتحليليه شخصية النبي موسى في دراسات تحليلية تعتبر مؤسسة لعلم الإناسة (الأنثروبولوجي)، إذ إن منطق الحلم هو كذلك المنطق الذي تعتنقه الإنسانية في فجر الحضارة.

لذلك يضيف البروفسور زيور في تقديمه للكتاب أن صفحات "تفسير الأحلام" قد اشتملت الأسس التي قامت عليها دراسات فرويد اللاحقة في شتى نواحي الحياة الإنسانية، وأعني بذلك ما نشره في أعقاب "تفسير الأحلام" من المؤلفات الأساسية، مثل كتابه "علم النفس المرضي في الحياة اليومية"، ثم كتابه "الطوطم والتابو"، الذي أرسى فيه قواعد علم الأنثربولوجيا الإجتماعية الحديثة، ثم كتابه المشهور"ثلاث مقالات في النظرية الجنسية"، الذي عالج فيه العلاقة بين اضطرابات النمو النفسي الجنسي أثناء الطفولة، وبين ما يلم بالراشد من أمراض

وانحرافات نفسية، ثم دراساته الإكلينيكية في الطب النفسي، وبخاصة تحليل الأحلام على ضوء معان ترد في السياق العام لما يفضي به المرض، وما يعاني منه المريض.

ولكن كيف تسنى لفرويد اكتشاف آليات تفسير الأحلام؟

يقول فرويد بأنه استوحى استعمال الحلم في العلاج التحليلي من مرضاه أنفسهم، الذين كانوا يفضلون تجنب الكلام عن مكبوتاتهم. وهكذا شجع المرضى فرويد على اكتشاف الطريق الملوكي المؤدي إلى اللاوعي، وهو التعبير الذي أطلقه فرويد على الحلم.

ولعل أهم ملاحظات فرويد، التي دفعت به لتعليق مثل هذه الأهمية على الأحلام، هي تلك النقاط المشتركة بين الأحلام وبين الذهان، وبخاصة ذهان الهلوسة الحاد الذي تكون الهلوسة فيه مرتبطة بفكرة رغب المريض بتحقيقها فلم يفلح. ونظراً لهذه الخاصية، طرح فرويد سؤاله الأول حول تفسير الأحلام، وهو: إذا كان الذهان يتركز على هلوسة الرغبة المراد تحقيقها، فلماذا لا تكون هلوسة الحلم بدورها انعكاساً للرغبات التي يود الحالم تحقيقها؟ وللإجابة على هذا السؤال، عمد فرويد إلى تحليل أحلامه الخاصة، متابعاً بذلك مسيرة تحليله الذاتي. وبهذه الطريقة استطاع فرويد أن يجيب على السؤال التالي: كيف يحقق لنا الحلم رغباتنا؟ معطياً عليه مثال حلم ابنته آنا بأكل الفراولة.

إلا أن أحلام البالغ، على وجه العموم، تكون أكثر غموضاً، وأقل شفافية، فإذا ما نظرنا إلى هذه الأحلام صعب علينا، للوهلة الأولى على الأقل، أن نفهم علاقة الحلم بالرغبة، أو الرغبات المراد تحقيقها (المكبوتة)، ومن هنا صعوبة تفسير هذه الأحلام، ذلك أن تفسير الأحلام يقتضي قدرتنا على اختراق الأقنعة التي تُستّر الرغبات في الحلم، وهكذا وصل فرويد إلى الحديث عن:

1 ـ المحتوى الظاهري للحلم.

2 ـ المحتوى الكامن في الحلم.

المحتوى الظاهري للحلم

ويقصد بهذا المحتوى تلك الصور والأفكار التي نتذكرها لدى استيقاظنا، ولدى محاولتنا إعادة استعراض الحلم وسرده.

المحتوى الكامن

ويطلق فرويد على هذا المحتوى تعبيراً آخر هو أفكار الحلم. وهذه الأفكار التي يترجمها المحتوى الظاهر، ولكن بشكل مقنّع، أو بالأحرى مزيف. وهذا التزييف نلاحظه واضحاً عندما نفسر الحلم، فنرى بأن فكرة الحلم الحقيقية تتبدى في رواية الحلم بشكل يشوبه كثير من الغموض، وأحياناً التحريف.

وهكذا، فإن تفسير الحلم هو في الواقع محاولة التوصل إلى الأفكار الحقيقية للحلم، أي لمحتواه الكامن، وذلك من خلال إزالة الأقنعة عن محتوى الحلم الظاهر. وهنا توصل فرويد إلى طرح سؤال جديد هو:

كيف نتوصل للفكرة الكامنة من خلال المحتوى الظاهر؟

إن إزالة القناع عن الفكرة الظاهرية للحلم، بحيث نتوصل إلى الفكرة الحقيقية (الكامنة) للحلم يقتضي منا معرفة آليات الحلم. هذه الآليات التي استطاع فرويد أن يستشفها ويشرحها بشكل شافٍ. وهذه الآليات هي:

1 ـ التمثل.

2 ـ التكثيف.

3 ـ الإزاحة.

4 ـ الترميز.

وهذه الآليات الأربعة تشكل ما يسميه فرويد بـ"عمل الحلم"، وسنعرض الآن شرحاً مفصلاً عن هذه الآليات، وعن أحلام فرويد الشخصية التي ساعدته في تبين هذه الآليات.

1. **التمثل**: ويقصد به تحويل الفكرة إلى صورة، فالحلم غالباً ما يكون رؤية رغباتنا، وهي تتحقق من خلال رؤيتها منفذة في إطار صورة راهنة (قريبة للواقع الحالي للحالم). ويمكن أن يحقق الحلم الرغبات بتمثيلها في كلمات، ولكن نادراً.

2. **التكثيف**: إن الصورة الظاهرية للحلم، التي يتذكرها الحالم بعد استيقاظه، لا تحتوي عادةً على فكرة كامنة، أو (رغبة) واحدة، بل إنها كثيراً ما تعكس مجموعة من الأفكار الكامنة، وكلما ازداد عدد هذه الأفكار كلما كانت الصورة الظاهرية أكثر تعقيداً، وأصعب تفسيراً.

وفي الحلم، نلاحظ أن الأفكار الكامنة تتزاحم، لتظهر في صورة حلمية واحدة، وقد أطلق فرويد على هذا التزاحم تعبير التكثيف.

وقد توصل فرويد إلى تحديد آلية التكثيف هذه من خلال تحليله لأحلامه الذاتية، ونعطي هنا مثالاً هذا الحلم الذي ساعد فرويد على تبيين الآليات الحلمية، وهو الحلم الذي حلمه فرويد ليلة 23 ـ 24 يوليو / تموز1895. (وكان أول حلم حلله لنفسه).

وبما أننا نركز على معنى التكثيف، فإننا سنعرض تحليل فرويد للتكثيفات في هذا الحلم: بدت أرما شاحبة منتفخة، في حين أنها في الواقع متوردة دائماً. إني ليساورني الشك في أن يكون شخص آخر قد حل محلها. ومن خلال دعوتي لأرما إلى جوار النافذة تذكرت أني زرتها يوماً. كان عندها صديقة أكن لها الاحترام، وكانت واقفة إلى جوار النافذة، وكانت هذه الصديقة تشكو اختناقاً هيستيرياً، كما شكت أرما في الحلم (وكما لم تشكُ في الواقع)، وهكذا فإني استبدلت صورة أرما بالحلم، وأحللت صديقتها مكانها، أما تحفظ أرما في فتح فمها (مع أنها لم تكن ذات أسنان رديئة)، فقد ذكرني بفحص كنت قد أجريته لمربية جميلة، ولكنها تضع طاقم أسنان، فتحفظت عندما طلبت منها أن تفتح فمها. وهكذا فإن صورة أرما كانت تعبر أيضاً عن هذه المربية.

وهكذا نلاحظ أن أرما وصورتها في الحلم كانت في الواقع تكثيفاً لثلاثة شخصيات في آن معاً: أرما نفسها، وصديقتها، والمربية.

ولدى مراجعتنا لهذا الحلم، نرى أن فيه تكثيفات أخرى، ولكننا نكتفي الآن بهذا المثال، ولنا عودة إلى هذه التكثيفات في موضع لاحق من هذا الكتاب. ونشير إلى أن غالبية التكثيفات تتجلى في تمثل أشخاص عديدين بصورة شخص واحد.

3 . الإزاحة أو النقل: من الممكن أن يضخم الحلم، ويبرز تمثلاً (فكرة، أو صورة... إلخ) بعيداً عن الفكرة الكامنة التي يهدف الحلم إلى إظهارها وتحقيقها. وغالباً ما يكون هذا التمثل تفصيلاً من تفصيلات الحلم، أو قد يكون عكس الفكرة الكامنة تماماً. ومن الأمثلة التي يعطيها فرويد على عمليات الإزاحة، أو النقل، حلمه بأن امرأة تحاول إغراءه تذبل عينيها. ومن خلال تحليله لهذا الحلم، اكتشف فرويد بأن صورة العينين الجميلتين في الحلم هي صورة مخادعة ومنقولة، فالمرأة لم تكن سوى ابنة أحدهم الذين يدين لهم فرويد بالمال، وكان هذا الشخص لا يخدم إنساناً لجمال عينيه.

4 . الترميز: من الغالب أن تأتي تمثيلات الحلم وصوره مرتبطة بالأفكار الكامنة برباط مشترك بينها. وفي هذه الحالات نسمي التمثيلات بالرموز.

وفي سياق شرحه لآلية الترميز، يذكر فرويد عدداً من الرموز الحلمية التي تتردد كثيراً في الأحلام، وذلك مع تحفظه على ترجمة هذه الرموز بشكل قطعي، وإفراغها من المعاني

الأخرى التي قد تحملها هذه التمثيلات.

إن مجموعة هذه الآليات تتضافر في ما بينها لتكون عمل الحلم، وذلك عن طريق مساهمتها في طمس رغبة لا يمكنها أن تظهر بشكل صريح وواعٍ، لأنها تتعارض مع تصور الحالم لذاته، أي أن هذه الرغبة تكون غير واعية، لأن الرقابة النفسية تمنعها من الوصول إلى حيز الوعي.

من خلال اكتشافه لهذه الآليات، ومن خلال تحليله لأحلامه، واكتشافه لعقده، استطاع فرويد أن يكون مفهومه الأولي للجهاز النفسي. وأطلق فرويد على هذا المفهوم تسمية النظرية التموقعية، ومن خلالها يرى فرويد بأن الجهاز النفسي يوزع العمليات النفسية على الأقسام الثلاثة التي يتكون منها، وهي الوعي، ما قبل الوعي، واللاوعي.

أما عن موقع كتاب تفسير الأحلام في المكتبة التحليلية، فهو كتابها المؤسس، ومرجعها الرئيس، بحيث يمكن ربط خلافات التيارات التحليلية المعاصرة بالخلافات حول تفسير محتويات هذا الكتاب، وتأويل ملاحظات فرويد الواردة فيه.

ويختلف هذا الكتاب عن معظم الكتابات الفرويدية بصفته التعليمية التدريبية التي تجعل الاهتمام به محصوراً بالمحللين، ما جعله خارج إطار الانتقادات الواردة من خارج دائرة التحليل النفسي، كما هي الحال مثلاً مع كتاب "ثلاث مقالات في النظرية الجنسية"، الذي تركزت حوله انتقادات جنسانية النظرية الفرويدية. وكتاب "موسى والتوحيد" الذي طرح ثنائية الإلحاد - اليهودية في النظرية، إضافة إلى كتابات فرويدية عديدة أثارت كثيراً من الجدال بين المحللين وأتباع باقي التيارات المشتغلة في مجال علم النفس، والطب النفسي.

بناء على ما تقدم، نعفي أنفسنا من عرض الانتقادات والملاحظات الموجهة للكتاب، كونها تثير عواصف الغضب في دائرة التحليل الأرثوذوكسي التي تعتقد حصرية ملكيتها للحقيقة، وتنظر بازدراء يقارب التكفير حتى إلى المحللين غير الأصوليين، ذلك أن هؤلاء يضعون هذا الكتاب خارج النقاش، ويتعاملون معه على أنه الكتاب السري لجمعية فرويد السرية.

أما عن الملاحظات والانتقادات والتجاوزات المتأتية من داخل البيت التحليلي، فهي مغرقة في الاختصاص، بحيث يتطلب فهمها المعرفة التفصيلية بالمبادئ التحليلية، واستجابة لفضول القارئ حولها، وهنا نورد ملاحظة المحلل العربي سامي علي، إذ يرى أن تفسير فرويد للأحلام، وتحديداً آلية الإسقاط، يعتمد مبدأ المرايا المسطحة، فيما يمكن للاعتماد على مبدأ المرايا المقعرة أن يعطينا رؤية أعمق وأكثر تفصيلاً للاوعي، وهو ما شرحه سامي علي في كتابه المعنون "في الإسقاط".

فرويد كما رآه إريك فروم
متسلط لا يقبل آراء الآخرين

نعرف في تاريخ حركة التحليل النفسي، عند بدايات القرن التاسع عشر، أن فرويد هو المؤسس الرسمي لتلك الحركة وأباها الشرعي، لكنه تعرض لهجومات عديدة، ليس فقط من جانب أعدائه، الذين لم يجدوا في إنجازاته علماً، ولا قدراً من الجدية، بل بخاصة من جانب رفاقه وتلامذته. ومن هنا يكاد يكون جزء أساسي من تاريخ الحركة تاريخاً لانشقاقات أهلها عن أستاذهم. ولعل أبرز هذه الانشقاقات ما قام به تباعاً، وفي اتجاهات مختلفة، كل من ألفريد آدلر، وغوستاف يونغ.

طبعاً إذا تحرينا صفحات التاريخ، وما كتبه المعنيون بالأمر أنفسهم عما حدث وعما كان وراء كل انشقاق من الانشقاقات، سنجد أن في الأمر، دائماً، خلافات جوهرية على مسائل علمية، وعلى شروحات وتفسيرات تبدو في ظاهرها واضحة، وتبرر التفرقة بين أهل الفكر الواحد، إذ راحت أفكارهم تتشعب، على ضوء الواقع والظروف والتطورات التي راح كل واحد منهم يفسرها بحسب نظرته. ولكن إذا نظر المرء إلى ما حدث حقاً سيجد أن عمق الخلافات الفكرية، لا يمكنه أبداً، وفي واقع الأمر، أن يبرر كل ذلك العداء الذي بدا في العلاقة اللاحقة بين فرويد وأمثال آدلر ويونغ. ومن هنا، يقول المرء في نفسه، لابد أن في الخلفية الحقيقية أبعاداً أخرى لا تقتصر على الجانب العلمي.

هذه الفرضية كان العالم الألماني إريك فروم، أحد كبار مؤسسي مدرسة فرانكفورت للعلوم الاجتماعية، واحداً من الذين حاولوا تحليلها ودراستها بعمق. فإريك فروم اشتغل دائماً على الربط بين التحليل النفسي والدراسات الاجتماعية، متوقفاً كثيراً عند دراسات السلوك، وقد انطلق من فكرة أنه لا يمكن أن يكون الخلاف العلمي وحده الدافع إلى كل ذلك العداء الذي كان فرويد أول المشتكين منه دائماً في كل مرة تحدث فيها عن تلامذته وخيبة أمله فيهم. وهكذا، راح فروم يدرس ما حدث، في تفاصيله،

فتوصل إلى جملة استنتاجات بسيطة ضمنها كتاباً له عن حياة فرويد نشره في عنوان «مهمة سيغمون فرويد، تحليل لشخصيته وتأثيره». وكان هذا الكتاب واحداً من أول الكتب الكبرى التي وضعت عن رائد التحليل النفسي، وصارت معتمدة لاحقاً في شكل واسع.

قبل كتاب إريك فروم كان المتداول حديثاً متشعباً ومؤكداً عن أن فرويد كان ذا نزعة تسلطية صارمة. كان تلامذته المعادون، وغير المعادين، يجمعون على أنه "لم يطق أبداً آراء الآخرين، أو مجرد محاولتهم تنقيح آرائه، أو إيراد أي تعليق سلبي عليها". وهكذا انطلق فروم من هذا التأكيد، وراح يدرسه. وهو في الحقيقة توصل إلى استنتاجات تدعم هذا القول، لكن المهم هو أنه توصل إلى هذه الاستنتاجات ليس فقط اعتماداً على ما كتبه خصوم فرويد، أو حتى كل أولئك الذين كانوا يقفون مواقف محايدة تجاهه، بل بخاصة على الذين ظلوا أوفياء له حتى النهاية: جمع فروم أوراقهم وحكاياتهم وتأكيداتهم، وراح يدرسها، بل إنه توقف مطولاً عند تحليلات إرنست جونز، الذي كان شديد الإخلاص لفرويد، فائق التبجيل له، على اعتبار أن جونز كان من أبرز الذين حاولوا نزع التهمة عن المعلم. وحتى إذا كان جونز، كما يقول لنا فروم، قد بدا مقنعاً إلى حد ما في بعض الإحيان في دفاعه عن معلمه، فإن «اللغة كانت تخونه بين الحين والآخر، فيؤكد مواربة ما كان يود نفيه»، بحسب فروم. ومن المهم هنا أن نقرأ الطريقة التي بها يدحض إريك فروم تأكيدات جونز. وبعد أن يعرض رأيه يكتب: «إن جونز ساذج من الناحية النفسية في هذه التأكيدات التي لا تتلاءم مطلقاً مع عمل المحلل النفسي. إنه، وبكل بساطة، يصرف النظر عن أن فرويد كان غير متسامح مع كل أولئك الذين قد يطرحون عليه أسئلة، فكيف بالذين ينتقدونه صراحة؟ مهما يكن فإن فرويد، كان متسامحاً مع الذين يبجلونه حد العبادة. كان شديد اللطف والأبوة للذين يوافقونه على كل ما يقول. كان أباً محباً للأبناء الخاضعين، لكنه كان أباً شديد التسلط والقمع لكل أولئك الذين يجرؤون على مخالفته».

بالنسبة إلى إريك فروم، حالة إرنست جونز حالة استثنائية في إذعانه وتبريراته أمام فرويد، ومن هنا نراه، أي فروم، يتناول حالاً أخرى بدت له أكثر دلالة: حال فرنزي، الذي كان وظل لسنوات طويلة، أكبر تلميذ مخلص لفرويد، تؤكد ذلك المراسلات العديدة بينهما. وينقل إريك فروم عن فرنزي فقرات لعلها تكفي فصاحتها لقول كل ما

هو مطلوب قوله في هذا المجال. ولنقرأ هنا ما يكتبه فرنزي في مذكراته ذات يوم: «عندما زرت الأستاذ اطلعته على آخر أفكاري الفتية، وهي أفكار تعتمد على التجربة القائمة على العمل المباشر مع مرضاي. لقد حاولت أن اكتشف من التاريخ الخاص الذي يقصّه المرضى علي، عن أنفسهم، ومن تداعي أفكارهم، ومن الطريقة التي يتصرفون بها، حتى في المجالات التفصيلية، وبخاصة نحوي. ومن الإحباطات التي تثير غضبهم واكتئابهم، وبخاصة من المحتوى الشعوري واللاشعوري لرغباتهم وتطلعاتهم، حاولت أن أستكشف الطريقة التي يعانون فيها النبذ من أمهاتهم، أو والديهم، ومن يحلون محلهما. ولقد سعيت أيضاً من خلال التعاطف معهم، أن أتخيل أي نوع من الرعاية الحانية، حتى في التفاصيل الخاصة من السلوك، يحتاج إليه المريض حقاً في تلك المرحلة المبكرة إلى الرعاية الحانية، والتنشئة الحانية، اللتين كانتا ستسمحان له بالثقة في نفسه، والاستمتاع بها، مما يمكنه من النمو ككل. لقد عرضت يومها على أستاذي ما كنت توصلت إليه من أن كل مريض يحتاج إلى تجربة مختلفة من الرعاية الرقيقة الحانية، وقلت له اكتشفت أن ليس من السهل التغاضي عن هذا... إلى آخره. خلال حديثي هذا كان الأستاذ يصغي إلي، من دون أي ردود فعل أول الأمر. ثم بالتدريج، ومن دون أن ألاحظ ذلك، راح نفاد صبره يزداد. وأخيراً، من دون أن يجد نفسه مضطراً إلى أي شرح، أو تفسير، حذرني من أنني هنا أطأ أرضاً خطرة، وأنني بدأت أبتعد في شكل مجازف عن الأعراف والتقاليد والتقنيات المرتبطة بالتحليل النفسي. وقال إن أي استسلام لتوقعات المريض ورغباته، بصرف النظر عن مدى صوابيتها، ستزيد من اعتماده على المحلل، قائلاً إن مثل هذه التبعية لا يمكن إلا أن تنهار بالانسحاب العاطفي من جانب المحلل، وأضاف الأستاذ: منهجي في أيدي المحللين غير المهرة قد يفضي بسهولة إلى الانغماس في الجنس في شكل يجعله أكثر من مجرد تعبير عن الرعاية الأبوية، واللافت أن فرنزي إذ يروي هذا يختم كلامه قائلاً: ومن دون أي تعليق من جانبه أن «الأستاذ إذ أصدر إلي هذا التحذير الأخير، أنهى المحادثة بيننا من دون أن يعطيني أي فرصة للرد عليه، أو للدفاع عن أفكاري. أنهى المحادثة في شكل من يسأل محدثه الرحيل. أما أنا فمددت يدي إليه لأصافحه مودعاً، فإذا به لا يستجيب إلى المصافحة، بل يلتفت إلي بنظرة سريعة، ويدير ظهره ويخرج».

يروي إريك فروم هذه الحكاية نقلاً عن فرنزي، ليقول لنا بالطبع إنه إذا كان هذا شأن فرويد مع واحد من أقرب تلامذته إلى نفسه، فكيف كان شأنه مع الآخرين.

ويخلص من الحكاية ليقول لنا أن الأستاذ المؤسس لم يكن في نهاية الأمر ذلك الأب العطوف الذي قد تظهره صوره وكتاباته عن نفسه هو الذي، ودائماً كما يقول لنا فروم في كتابه عنه «لم يتقبل إطلاقاً أي اقتراحات مهمة لإحداث أي تبديل في جهده النظري، فإما أن يكون الإنسان مغرماً كلياً بنظرياته – وهذا يعني أن يكون مقرباً منه هو شخصياً – أو أن يكون ضده. وللمزيد من التأكيد يورد إريك فروم هنا مقطعاً مما كتبه ساكس، وهو تلميذ مخلص آخر من تلامذة فرويد، في السيرة التي كتبها عن الأستاذ: «لقد أدركت منذ البداية أنه كان من الصعب جداً على الأستاذ أن يتمثل آراء الآخرين، أو يقبلها، بعد أن استخلص آراءه الخاصة، من خلال عملية شاقة وطويلة قام بها بنفسه وأوصلته إلى استنتاجاته». ولافت هنا ما يختتم به ساكس هذا الكلام، حيث يقول «إذا كان رأيي معارضاً لرأيه، كان يعطيني دائماً متسعاً من الوقت لأعرض رأيي. كان ينصت إلى كل ما أقوله، لكنه عندما أنتهي، لم يكن لينبس بأي جواب، بل يصمت، ويبدو عليه واضحاً بأنه بالكاد تأثر بكلمة واحدة مما قلت».

من الواضح هنا أن هذه الصورة السلبية، علمياً، التي يرسمها إريك فروم لسيغموند فرويد، تتناقض مع صور كثيرة أخرى رسمت له. ولكن المرء، إذ يغوص في كتابات علماء عايشوا سيغموند فرويد (1856 ـ 1939) وكتبوا عنه، لا سيما في مجال تبرير سجالاتهم الحادة معه، لا يمكنه إلا أن يصل إلى النتيجة نفسها: لم يكن فرويد متسامحاً، بل كان شديد التسلط، ما يدفع إلى التساؤل حول فصول عديدة تدعو إلى غير ذلك في الكتب الرئيسة التي ألفها فرويد في حياته، وفي محاضرات طالما جعلت من التسلط الأبوي سبباً في خصاء الأبناء.

اللغة والتحليل النفسي

ترجمة د. زياد عز الدين العوف

اللغة ظاهرة مركبة، ويتجلى ذلك في ما تنطوي عليه من خصائص صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية وتداولية، فضلاً عن أبعادها الفلسفية والنفسية والاجتماعية المتصلة بجوهرها الإنساني ـ الاجتماعي ذاته.

وفيما يخص محور هذا البحث، فإن العلاقة بين اللغة وعلومها من جهة، والدراسات النفسية من جهة أخرى، ليست بالأمر الطارئ المستجد. بيد أن الجديد في هذا المجال إنما هو هذا المنظور المختلف الذي أخذت تتبدى فيه هذه العلاقة مع «مدرسة التحليل النفسي»، التي أسسها (فرويد) وسار على هداها (لاكان) من بعده؛ حيث نقف على هذا التفاعل العلمي الخلاق بين كل من التحليل النفسي واللسانيات البنيوية على وجه الخصوص. نلمس ذلك في تأكيد (لاكان) مفهوم «الخطاب»، مما أعاد الاعتبار إلى تفاعل اللاشعور ـ بوصفه «سلسلة دالة» ـ مع الموضوع، بهدف الوصول إلى استكناه «لاشعور اللغة».

أما جوليا كريستيفا، فهي من الأسماء اللامعة في عالم الإنسانيات، والنقد، والسيميائيات؛ فقد أسهمت بقسط وافر في هذه المجالات جميعها، وكانت إسهاماتها دالة ومبتكرة في معظم الأحيان. ولا شك أن المشتغلين بالفكر والنقد والثقافة في عالمنا العربي يذكرونها بكل التقدير كلما ولجوا إلى «علم النص»، وكلما اعتمدوا تلك المفاهيم والمصطلحات النصية، التي باتت آية من آيات الحداثة النقدية، وبخاصة «التناص» الذي يعود الفضل في صوغه وتحديد خصائصه إلى من نحن بصدد الإشادة بجهودها: (جوليا كريستيفا).

المترجم

سبق أن رأينا أن اللسانيات المعاصرة قد التزمت بمسارات قادتها نحو وصف دقيق، بل

رياضي، للبنية الشكلية لنظام اللغة. إلا أن هذا لم يكن الأسلوب الوحيد الذي اتخذته العلوم الحالية لتناول اللغة، فقد كانت اللغة في مركز الدراسات السيكولوجية أيضاً. ودراسات التحليل النفسي بخاصة، وذلك بوصفها نظاماً دالاً تتكون فيه الذات المتكلمة، أو تتلاشى.

نستذكر أن المشكلات السيكولوجية التي تطرحها اللغة قد شغلت بعض علماء اللغة منذ مطلع القرن، إلا أن علم اللغة قد تخلى عن هذا الانشغال في ما بعد.

لكن الفلاسفة وعلماء النفس استمروا في استكشاف اللغة بغية دراسة الذات المتكلمة فيها. ومن بين المدارس السيكولوجية الحديثة التي تحيل إلى الاستعمال اللساني من أجل تحليل بنيات التحليل النفسي، تجب الإشارة قبل أي شي آخر إلى مدرسة (بياجيه PIAGET)، وإلى علم النفس الوراثي جميعه.

إن جميع البحوث المتعلقة باكتساب الطفل اللغة، والمقولات المنطقية التي يطورها في أثناء نموه من أجل فهم العالم، قد كانت موجهة دائماً نحو اللغة، وكانت تلقي الضوء على آلية عملها، بينما كانت اللسانيات الشكلية غير قادرة على ذلك.

لكن اللحظة الأساسية لدراسة العلاقة بين الذات ولغتها قد تحددت، دون شك، قبل بداية القرن العشرين، بالعمل العلمي الأستاذي لـ(فرويد FREUD 1939 - 1856)، الذي فتح منظوراً جديداً لتمثيل آلية العمل اللغوية، الذي أثار الاضطراب في المفاهيم الديكارتية التي يستند إليها علم اللغة الحديث.

إن انعكاسات عمل فرويد، التي لا يمكن قياس مداها حتى الآن، هي من أكثر الانعكاسات أهمية، وهي مما طبع فكر عصرنا.

إن مشكلة العلاقات الوثيقة بين التحليل النفسي واللغة مشكلة معقدة، ولن نتناول هنا إلا بعضاً من مظاهرها. لنشر في البداية إلى حقيقة أن التحليل النفسي يجد موضوعه في كلام المريض. وليس للتحليل النفسي من وسيلة أخرى، من حقيقة أخرى في متناوله، لاستكشاف آلية عمل شعور، أو لا شعور الذات، سوى الكلام، سوى بنياته وقوانينه؛ إذ هنا يكتشف التحليل النفسي وضعية الذات.

في الوقت ذاته، يعد التحليل النفسي كل عرض لغة ما: يصنع منها، إذاً، نوعاً من نظام دال؛ حيث يجيب عليه رصد قوانينه المشابهة لقوانين لغة ما.

بالمثل، يعد الحلم الذي يدرسه (فرويد) نظاماً لغوياً قبل أي اعتبار آخر، ما يوجب فك شفرته؛ بل هو ضرب من الكتابة ذات قواعد شبيهة بتلك التي للكتابات التصويرية (الهيروغلفية).

هذه الفرضيات المبدئية تجعل التحليل النفسي غير منفصل عن عالم علم اللغة. في المقابل، فإن مبادئ التحليل النفسي، مثل اكتشاف اللاشعور، قوانين عمل الحلم، وغيرها، تعدل بشكل عميق المفهوم الكلاسيكي للغة.

إذا كان الطبيب النفسي يبحث عن تشوه عضوي ليجعله سبباً لاضطراب ما، فإن المحلل النفسي لا يحيل إلا إلى قول الذات؛ لكن ليس من أجل كشف «حقيقة» موضوعية قد تكون السبب في الاضطرابات. يصغي المحلل النفسي باهتمام كبير إلى الواقعي، كما الخيالي، في ما تقوله الذات؛ إذ أن هذا وذاك له حقيقة خطابية متماثلة.

إن ما يكتشفه في هذا الخطاب، إنما هو الباعث اللاشعوري أولاً، ثم الشعوري إلى حد ما. هذا الباعث الذي يولد الأعراض.

وما إن يتم الكشف عن هذا الباعث، حتى يشير كل سلوك عصبي إلى منطق واضح، ويبدو العرض بوصفه رمزاً لهذا الباعث الذي عثر عليه أخيراً.

من أجل فهم الحياة النفسية جيداً، فإن من اللازم الكف عن المبالغة في تقدير الشعور. يجب أن نرى عمق كل حياة نفسية في اللاشعور. يشبه اللاشعور دائرة كبيرة تحيط بالشعور، بوصفه دائرة أصغر. إنه لا يمكن أن نرى فيها واقعة شعورية دون مرحلة لا شعورية سابقة لها، بينما يتمكن اللاشعور من تجاوز مرحلة الشعور وامتلاك قيمة نفسية، على الرغم من ذلك. كتب (فرويد) قائلاً:

«اللاشعور هو النفساني ذاته وحقيقته الأساسية»

(فرويد. تفسير الأحلام).

وإذا ما تمثل بوصفه رجوعاً عمودياً، أو تاريخياً، داخل ماضي الذات (ذكريات، أحلام، إلخ)، فإن هذا البحث عن الدافع اللاشعوري ضمن، ومن خلال الخطاب، يتم في الواقع ضمن ومن خلال سياق خطابي أفقي، ويتمثل في العلاقة بين الذات والتحليل.

نجد في فعل التحليل النفسي سلسلة: الذات ـ المخاطب، وكذلك الواقعة الأساسية القائلة بأن كل خطاب موجه نحو آخر «ليس ثمة من كلام دون جواب، حتى لو لم يصادف إلا الصمت. هنالك مستمع مفترض». (جاك لاكان ـ JACAN k كتابات، 1966).

يقول (لاكان) في ما بعد: ألا يتعلق الأمر، بالأحرى، بحرمان جوهري في خطاب الذات نفسه؟ ألا تلزم الذات نفسها بنوع من التخلي المتعاظم عن هذا الوجود ذاته؟ حيث تنتهي الذات بالإقرار بأن هذا الكائن لم يكن أبداً سوى صنيعها في الخيال، وبأن هذا الصنيع يفتقر في

ذاته إلى أي تأكيد: ذلك أنه داخل هذا العمل لإعادة بناء الذات الآخرى، تجد الذات من جديد الاستلاب الأساسي الذي جعلها تتشكل بوصفها ذاتاً أخرى، والذي حرمها من أن تنتحل من ذات أخرى. هذه «الأنا» هي جوهر الحرمان، ويتم ذلك بفضل التصوير الصادق الذي يضفي تماسكاً على فكرة التقويم التي لا تتوصل إلى استخلاص جوهرها، وكذا على فكرة الحالات والدفاعات التي لا تمنع من تأرجح منزلتها، وكذلك فكرة الاحتضان النرجسي التي تعمل على نفخ الروح فيها.

لقد جعلت نظرية (لاكان) من دراسة اللاشعور علماً من العلوم، وذلك باستجواب مكان الآخر (مكان المحلل في فعل خطاب الذات الخاضعة للتحليل)؛ إذ إنها تحدد له الأسس التي يمكن للخطاب أن يتناولها بشكل علمي، وذلك من خلال الصيغة التي أصبحت مشهورة من الآن فصاعداً: «لاشعور الذات هو خطاب الآخر».

لا يتعلق الأمر إطلاقاً، هنا، بقصر فعل الخطاب على حدود العلاقة: ذات مستقبل، كما تفعل عادة، نظرية الاتصال. يلاحظ التحليل النفسي «أصداء متجاوبة لشبكات الخطاب المتواصلة في ما بينها، مما يشير إلى وجود» كلي للخطاب الإنساني «الذي سيتناوله العلم يوماً ما، دون شك، بكل تعقيداته. بهذا المعنى، فإن التحليل النفسي لم يقطع سوى الخطوة الأولى بإقامة البنية الثنائية للذات ولمخاطبها، هذا مع ملاحظة أنه» هذا هو المجال الذي تستقطب فيه خبرتنا في علاقة ثنائية، ظاهرياً فحسب، لأن كل وضعية لبنية الذات وفق عبارة ثنائية فقط، تكون غير متوازنة نظرياً، إذ تنهار لدى التطبيق.

تستخدم الذات المتكلمة اللغة، ضمن البنية التي تم تحديد خطوطها لفعل الخطاب، لتبني من خلالها تركيب خطابها، أو منطقه: إنها لغة (ذاتية، شخصية) داخل اللغة بوصفها (بنية اجتماعية محايدة). «هكذا إذاً، تستخدم اللغة بوصفها كلاماً، متحولة إلى هذا التعبير الملح عن الذات، وهو ما يشكل شرط الحوار.

تزودنا اللغة بأداة الخطاب؛ حيث تتحرر وتتخلق شخصية الذات، وحيث تتوصل إلى الآخر، وتتعرف إلى نفسها من خلاله». (بنفينيست BENVENSTE) «ملاحظات حول آلية عمل اللغة في الاكتشاف الفرويدي» في كتابه: مشكلات علم اللغة العام).

هذا يعني أنه يجب ألا تتداخل اللغة التي يدرسها التحليل النفسي مع هذا النظام الشكلي الذي هو (اللغة): موضوع علم اللغة الحديث. إن اللغة بالنسبة إلى التحليل النفسي إنما هي نظام دال، لنقل إنه ثانوي، يستند إلى اللغة، كما أنه على علاقة واضحة مع مقولاتها، لكنه يرصف فوقها منظومة خاصة، منطقاً نوعياً.

يلاحظ (بنفينيست) أنه يمكن الدخول إلى النظام الدال للاشعور عبر النظام الدال للغة من خلال خطاب الذات. يقول: «يتعلق الأمر بما فوق اللغة؛ إذ تستخدم دوال مكثفة للغاية، تنتمي في اللغة المنظمة إلى وحدات الخطاب الكبرى، وليس إلى الوحدات الصغرى».

لقد كان (فرويد) أول من عين الطبيعة بالغة التكثيف لدوال النظام الرمزي للحلم (أي اللاشعور)؛ إذ اعتبر نظام الحلم مناظراً لذلك الذي لمخطوط مشفر، أو لكتابة تصويرية، يقول: «يمكن القول بأن التصور في الحلم، وهو بالتأكيد لم يحدث ليفهم، ليس أصعب إدراكاً على القراء من الكتابات التصويرية».

عمل الحلم Le travail du rêve

ويقول في ما بعد: غالباً ما يكون لرموز الأحلام عدة معان، وفي بعض الأحيان كثير من المعاني، إلى درجة أن السياق وحده هو الذي يزودنا بالفهم الدقيق، كما في الكتابة الصينية. يسمح الحلم، بفضل ذلك، بتأويلات متعددة، كما أنه يمكن أن يتمثل أفكاراً متعددة ودوافع للرغبات، غالباً ما تكون ذات طبيعة مختلفة جداً، من خلال مضمون واحد.

لتوضيح منطق الحلم هذا يحيل (فرويد) إلى مثال لتأويل الحلم منقول عن (أرخميدس)، وهو يستند إلى تلاعب بالألفاظ. يقول في ذلك: «يبدو لي أن (أريستاندر) قد أعطى شرحاً ساراً جداً للإسكندر المكدوني؛ حيث كان هذا الأخير يحاصر (طروادة TYR) نافد الصبر، فتولد لديه في لحظة من الاضطراب الشعور بأنه يرى حيواناً أسطورياً (Satyre يرقص فوق رأسه، وصادف أن كان (أرستاندر) في ذلك الوقت، في ضواحي طروادة، مع حاشية الملك، فقام بتفكيك العبارة: حيوان أسطوري satyre إلى لفظين، هما: toi TYR à ـ لك طروادة ـ وتوصل إلى أن الملك الذي يحاصر طروادة سيستولي على المدينة قريباً» ويضيف (فرويد): «في ما عدا ذلك فإنه كما يلاحظ فيرنزي Ferenczi بحق لكل لغة الحلم الخاص بها».

لقد صغنا هنا المبدأ الأساسي لتفسير الحلم في التحليل النفسي؛ ذلك المبدأ الذي سيطوره ويدققه (فرويد) في عمله اللاحق. لكن من الممكن اختزاله بوصفه استقلالاً نسبياً للدال الذي ينزلق تحته مدلول غير متضمن بالضرورة ضمن الوحدة الصوتية ـ الصرفية، كما تتمثل في الملفوظ(1) الذي تم إبلاغه.

في الواقع، إن كلمة (Satyre) في اللغة الإغريقية عبارة عن وحدة لغوية لايمتلك مقطعاها في حد ذاتهما معنى ما. والحال، أنه يمكن للدالين: (Sa) و(tyre)، المكونين لكلمة (Satyre)، أن يشيرا، خارج هذه الوحدة اللغوية، إلى مدلول آخر؛ أي إلى مدينة (طروادة

TXR)، الذي يمثل فتحها المرتقب باعث حلم الذات. هنالك إذاً وحدتان دالتان توجدان، وفق منطق الحلم، مضغوطتين في وحدة واحدة يمكن لها أن تنطوي على مدلول مستقل (عن ذلك الذي لمكوناتها)؛ مدلول يمكن تمثيله بواسطة صورة؛ أي الحيوان الخرافي (le satyre).

يستخلص (فرويد) بتحليله لعمل الحلم ثلاث عمليات أساسية تحدد آلية عمل اللاشعور بوصفه «لغة»، هي: انتقال، تكثيف وتصوير.

وفيما يخص التكثيف، يلاحظ فرويد أنه «عندما تتم مقارنة محتوى الحلم بأفكار الحلم، فإن ما يلاحظ أولاً هو أن هنالك عملاً ضخماً للتكثيف. الحلم مختصر فقير، موجود، بالمقارنة مع اتساع وثراء أفكار الحلم ... » يمكن الظن بأن (التكثيف) يعمل من خلال «طريق الحذف؛ إذ ليس الحلم ترجمة حرفية، جزءاً بجزء، لفكرة الحلم. بل هو إعادة صياغة ناقصة جداً وموجزة جداً»، لكن الأمر يتعلق هنا بما هو أبعد من مجرد حذف؛ إنه يتعلق بدمج (كما هو الشأن في Satyre)؛ حيث يمكن لأفكار الحلم أن تتلاقى بأعداد كبيرة، ذلك لأنها تقدم معاني متعددة للتأويل.

يمكن شرح الواقعة التي تفسر كل ذلك بطريقة أخرى أيضاً، فنقول: «إن كل عنصر من عناصر محتوى الحلم مجدد بشكل مفرط، بما أنه متمثل لمرات عدة في أفكار الحلم». أدخل (فرويد)، هنا، مفهوم (التحديد المفرط) الذي سيغدو مفهوماً لا غنى عنه لكل تحليل لمنطق الحلم وللاشعور، ولكل نظام دال يرتبط بها.

يؤدي مبدأ الانتقال دوراً أقل أهمية في تشكيل الحلم. «إن ما هو أساسي بشكل ملحوظ، لأفكار الحلم، لا يتم تمثيله في الحلم على الإطلاق في بعض الأحيان. يتمركز الحلم بشكل مختلف؛ إذ ينتظم محتواه حول عناصر أخرى، ليست هي بأفكار الحلم». فبواسطة هذا الانتقال لا يكون مضمون الحلم سوى تحريف للرغبة الموجودة في اللاشعور، والحال، أننا نعرف مسبقاً التعريف، ونعلم أنه من عمل الرقابة التي يمارسها أحد المحافل النفسية على المحفل الآخر؛ (فالانتقال)، إذاً، هو أحد وسائل التحريف الأساسية.

بعدما أثبت أن «التكثيف والانتقال هما العاملان الأساسيان اللذان يحولان مادة أفكار الحلم الضمنية إلى محتواه الظاهر»، شرع (فرويد) في تأمل «طرق تصوير الحلم»، فلاحظ أن «الحلم يعبر عن العلاقة الموجودة بالتأكيد بين جميع أجزاء أفكاره، موحداً عناصرها في واحد كليّ: لوحة، أو سلسلة من الأحداث، فيمثل العلاقات المنطقية باعتبارها علاقات متزامنة؛ تماماً مثلما يجمع الرسام في لوحة واحدة كل من ينتمي إلى مدرسة (الأيثينين)، أو مثلما يجمع (برناسي)(2) كل الفلاسفة، أو كل الشعراء، في حين لم يكن لهؤلاء أن

يجتمعوا معاً في هذه الشروط؛ فهم يشكلون، بالنسبة للفكر، مجتمعاً من هذا النوع». إن العلاقة المنطقية الوحيدة التي سيستخدمها الحلم، كما هو شأن لغة رمزية ما كالصينية، ستكون مبنية بواسطة التطبيق الرمزي البسيط؛ أي كما يقول فرويد، بوساطة: المشابهة التوافق، الاتصال، «كما هذا...».

يشير فرويد، في مكان آخر، إلى خاصية أخرى لعلاقات اللاشعور: إنه لا يعرف التناقض؛ إن قانون الشخص الثالث المستبعد غريب عنه. تبرهن الدراسة التي خصصها فرويد (للإنكار) على آلية عمل النفي خاصة في اللاشعور.

فمن جهة، يلاحظ فرويد أن «إتمام وظيفة المحاكمة العقلية لم يصبح ممكناً إلا من خلال تكوين رمز النفي». بيد أن نفي ملفوظ ما يمكن أن يدل، انطلاقاً من اللاشعور، على الاعتراف الظاهري بكبته، دون أن يكون المكبوت مقبولاً من قبل اللاشعور: «لا يوجد أي برهان أقوى في الدلالة على توصلنا إلى اكتشاف اللاشعور، سوى أن الشخص موضع التحليل النفسي يقوم برد فعل متمثل بهذه العبارة: «أنا لم أفكر في هذا»، أو ربما: «أنا أبعد ما أكون عن التفكير في هذا». وانطلاقاً من ذلك، يلاحظ (فرويد) بأن النفي، بالنسبة للاشعور، ليس رفضاً؛ بل تكوين لما يعطي بوصفه منفياً. ثم يستنتج: «هذا الشكل في فهم الإنكار يرتبط تماماً بعدم اكتشاف أي «لا» في التحليل، انطلاقاً من اللاشعور..».

يلاحظ جيداً بأن الحلم، بالنسبة إلى فرويد، لا يختزل إلى رمزية ما؛ بل هو لغة حقيقية؛ أي: نظام من العلاقات؛ بل هو بنية من البنى، بما لها من تركيب ومنطق خاص بها. يجب الإلحاح على هذه (الطبيعة التركيبية) لرؤية (فرويد) للغة، وهو ما تم السكوت عنه، غالباً، لصالح التأكيد على الرمزية الفرودية.

واقع الحال، أن فرويد عندما يتحدث عن لغة، فإنه لا يقصد نظام الخطاب فحسب؛ حيث يتم بناء الذات وهدمها؛ إذ أنه في ما يخص دراسة الاضطرابات العقلية القائمة على التحليل النفسي، فإن الجسم نفسه يتكلم. لنستذكر أن فرويد قد أسس التحليل النفسي انطلاقاً من الأعراض الهستيرية التي عرف أن يرى فيها «أجساماً ناطقة». إن العرض الجسماني يتأكد تحديده بواسطة شبكة رمزية معقدة، بواسطة لغة يتعين حصر قوانينها التركيبية لكشف العرض. يقول (لاكان): «إذا ما علمنا أن نتتبع، داخل نص التداعيات الحرة، التفرع المتصاعد لهذا السليل الرمزي لكي نرصد فيه الأماكن التي تتقاطع فيها الأشكال مع عقد بنيانه، فإنه من الواضح سلفاً أن العرض يتكشف بشكل كامل في تحليل لغوي ما. ذلك لأنه هو نفسه مبني بوصفه لغة. إنه لغة يتعين استخلاص الكلام منها».

إننا لم نوضح هنا سوى القواعد المبسطة لآلية عمل لغة الحلم واللاشعور، كما اكتشفها (فرويد). لنؤكد مرة أخرى أيضاً أن حقيقة هذه اللغة غير متطابقة مع اللغة التي يدرسها علم اللغة، لكنها تصنع في هذه اللغة. لنشر من ناحية أخرى إلى أن هذه اللغة ذاتها لا توجد، واقعياً، إلا داخل الخطاب الذي بحث (فرويد) عن قوانينه. إن البحث (الفرويدي) يوضح، بالنتيجة، خصائص لغوية لن يتوصل إليها أبداً أي علم لا يضع الخطاب في حسبانه. إن النظام الدال الذي يدرسه (فرويد) هو، في الآن ذاته، لغة داخلية ولغة ماورائية؛ لغة لها بعد كوني «يتجاوز» اللغات الوطنية المشكلة؛ إذ يتعلق الأمر بشكل واضح، بوظيفة للغة تخص كل اللغات. افترض (فرويد) بأن (المجتمع الدال لنظام الحلم واللاشعور) مجتمع وراثي؛ هذا، وقد برهن التحليل النفسي الأنثروبولوجي، بالفعل، على أن المفهوم (الفرويدي) وعمليات اللاشعور التي استخلصها قابلة للتطبيق كذلك على ما يعرف بالمجتمعات البدائية.

كتب (فرويد) قائلاً: «إن ما هو مرتبط رمزياً اليوم، كان قديماً مرتبطاً بوساطة هوية مفهومية ولغوية غالباً. تبدو العلاقة الرمزية وكأنها بقية من، وعلامة على هوية قديمة. يمكن أن نلاحظ بهذا الصدد بأن مجتمع الرمز، في سلسلة كاملة من الحالات، يذهب أبعد من المعرفة اللغوية. إن عدداً معيناً من الرموز قديم قدم تشكل اللغات ذاتها».

قد يكون من المناسب أكثر البحث عن القواعد المنطقية المكتشفة من قبل (فرويد) داخل منظومة بعض النظم الدالة التي هي أنماط لغوية بحد ذاتها، دون الذهاب إلى الفرضية التي تفترض بأن: اللغة البدائية «قد تتوافق مع قوانين اللاشعور، وهي فرضية لا يقبلها علم اللغة، كما أن أية لغة قديمة أو بدائية لا تؤكدها، كما يبدو في نطاق المعرفة الحالية. يلاحظ (فرويد) ذلك بنفسه؛ حيث يقول: (هذه الرمزية ليست خاصة بالحلم وحده، إننا نجدها في كل التصور اللاشعوري، في كل التمثلات الجماعية الشعبية منها بوجه خاص: في الفولكلور في الأساطير، الخرافات، الحكم، الأمثال، ألعاب الكلمات الدراجة؛ بل إن هذه الرمزية توجد هنا بشكل أكثر اكتمالاً مما هي في الحلم».

من المفهوم الآن بأن مدى التحليل النفسي يتجاوز بعيداً منطقة الخطاب المضطرب للذات. يمكن القول إن النتيجة الكبرى لتدخل التحليل النفسي في حقل اللغة، هي منع سحق المدلول بواسطة الدال الذي جعل من اللغة سطحاً صفيقاً قابلاً منطقياً للتقطيع. يسمح التحليل النفسي، على النقيض من ذلك، بتصفح اللغة، بفصل الدال عن المدلول، بجعلنا مرغمين على تأمل كل مدلول من خلال عمل الدال الذي أنتجه، وبالعكس.

هذا يعني أن تدخل التحليل النفسي يمنع السلوك الما ورائي الذي يطابق مختلف الممارسات

اللغوية مع اللغة الواحدة، مع الخطاب الواحد، مع التركيب الواحد، ويحث على البحث عن اختلافات اللغات، واختلاف الخطابات، أو بالأحرى، اختلافات النظم الدالة المكونة داخل ما يمكن اعتباره: اللغة أو الخطاب.

هنالك، بالنتيجة، مجموعة ضخمة من الممارسات الدالة من خلال اللغة، تنفتح من الآن فصاعداً، أمام اللغويين؛ (لو أخذنا)، على سبيل المثال، خطابين من اللغة اليونانية، فلن يكون لهما، بالضرورة، التركيب السيميائي ذاته. مع كون كل منهما خاضعاً لقواعد اللغة؛ إذ يمكن لأحدهما أن يستند إلى منطق (أرسطو)، بينما يقترب الآخر من قواعد اللغات التصويرية (الهيروغليفية)، وذلك إذا ما بني خطابهما استناداً إلى قواعد تركيبية مختلفة يمكن وصفها بما وراء اللغة.

كان (فرويد) أول من طبق نتائجه المستخلصة من تركيب الحلم واللاشعور على دراسة نظم دالة مركبة: فبتحليله لـ(كلمة الشعور وعلاقتها باللاشعور)، اكتشف (فرويد) طرق تشكيل الأحلام: الإيجاز (أو الحذف)، التكثيف (التكثيف مع التشكيل البديل)، القلب، ازدواج المعنى، إلى آخره. من جهة أخرى، فإن النتائج التي استخلصها (فرويد)، من لغة الحلم، قد سمحت له بتناول نظم رمزية مركبة لم يكن من الممكن فك رموزها بغير ذلك، وذلك مثل (التابو) و(الطوطم)، وغيرها من المحرمات في المجتمعات البدائية.

تفتح أعمال (فرويد) اليوم، منظوراً جديداً للغة، وهو ما حاول التحليل النفسي منهجته وتدقيقه في أبحاث السنوات الأخيرة.

حقاً، ليس للنظرية التحليلية للغة الدقة المثالية التي تخص النظريات الشكلانية، أو الرياضية، التي تتوج اللسانيات الحديثة. إنه لحق كذلك، أن علماء اللغة يظهرون قليلاً من الاهتمام بما يكتشفه التحليل النفسي ضمن آلية العمل اللغوي. من جهة أخرى، إنه ليصعب أن نرى كيف يغدو ممكناً مواءمة الصياغات الشكلية للبنيوية الأميركية، وللنحو التوليدي، على سبيل المثال، مع آلية العمل اللغوي، كما يصوغها التحليل النفسي الحديث طبقاً لـ(فرويد).

من الواضح أنه لدينا هنا اتجاهان متناقضان، أو على الأقل مختلفان، لمفهوم اللغة. (فرويد) ليس بلغوي، واللغة ـ الموضوع التي يدرسها لا تتوافق مع النظام الشكلي الذي تتناوله اللسانيات، والذي استطعنا استخلاص تحوله التجريدي البطيء والدؤوب عبر التاريخ. لكن الاختلاف بين مقاربة التحليل النفسي للغة وبين اللسانيات الحديثة أكثر عمقاً من مجرد تغيير حجم الموضوع. إن المفهوم العام للغة هو ما يختلف جذرياً في التحليل النفسي عنه في اللسانيات.

سنحاول أن نلخص هنا النقاط الأساسية لهذا الاختلاف. يجعل التحليل النفسي من المستحيل اعتبار اللغة خارج تحققها في الخطاب؛ أي بتناسي أن اللغة لا توجد خارج خطاب الذات، أو باعتبار هذه الذات ذات وجود ضمني، مكافئة لنفسها؛ وحدة ثابتة تتوافق مع خطابها، وهو تقليد مقبول عموماً في اللسانيات الحالية. هذه الفرضية الديكارتية التي تستند إليها إجراءات اللسانيات الحديثة التي أبرزها (تشومسكي) قد اهتزت بالاكتشاف الفرويدي للاشعور، ولمنطق اللاشعور. من الصعب، من الآن فصاعداً، الحديث عن ذات ما دون تتبع التشكلات التي تكشفها علاقات الذوات مع خطاباتها. ليست الذات كائناً موجوداً؛ إنها تُصنع وتهدم في فضاء نصي(3) (TOPOLOGIE) مركب؛ حيث يتواجد الآخر وخطابه. إذاً، لن نعرف بعد الآن الحديث عن (معنى) خطاب ما، دون أن نأخذ فضاءه في الحسبان.

الذات والمعنى ليسا كائنين (ابتداء)؛ إذ يتم إنتاجهما في العمل الخطاب (تحدث فرويد عن عمل الحلم).

استبدل التحليل النفسي بالبنية المستوية - التي هي اللغة بالنسبة للسانيات البنيوية وتنوعاتها المتحولة عنها - إشكالية إنتاج المعنى (إنتاج الذات التي يجب تحديدها نظرياً)، ليس الأمر أمر إنتاج بمفهوم النحو التوليدي، الذي لا ينتج شيئاً على الإطلاق (ذلك أنه لا يضع الذات والمعنى موضع السؤال)، ويكتفي بتركيب بنية ما في عملية لا يتم فيها التساؤل، للحظة واحدة، عن أسس البنية، لكنه إنتاج فعلي يتجاوز سطح الخطاب الملفوظ ويولد في (الملفوظية)(4)، وهي طبقة جديدة ظهرت في التحليل اللغوي، معنى معيناً مع ذات معينة.

سبق لـ(جاكبسون) أن لفت الأنظار للتمييز بين الملفوظية نفسها، وبين موضوعها (المادة الملفوظة)، للبرهان على أن بعض المقولات النحوية(5) (Shifters) يمكن لها أن تشير إلى أن عملية التلفظ والقائمين بها، أو القائمين بها (وحدهم) تحيل إلى عملية (الملفوظية) والقائمين بها، أو القائمين بها (وحدهم)؛ (على سبيل المثال: الضمير «أنا» الوحدات النحوية والصرفية التي تحدد الحضور بوصفه موضوعاً للخطاب، ومعه الحاضر الزمني). استخدم (لاكان) هذا التمييز لكي يدرك، ما وراء (الملفوظ)، أي في (الملفوظية)، مدلولاً (لا شعورياً) ظل خافياً على علم اللغة: في الملفوظ القائل: أخشى ألا يأتي، يكون الضمير «أنا» هو فاعل الملفوظ، وليس فاعل الرغبة الحقيقية؛ لكنه المقولة النحوية التي تشير إلى حضور المتلفظ».

((إن فاعل الملفوظية، بوصفه مبدياً للرغبة ليس غائباً إلا وفق منطق متسرع)).

هذا التمييز بين الملفوظية والملفوظ ليس سوى مثال على تعديل مفهوم اللغة بغية الوصول إلى بناء نظرية للغة بوصفها (إنتاجاً). إن (التحليل النفسي) بارتباطه بإشكالية إنتاج المعنى

والذات في اللغة، قد تطلع إلى شيء آخر، هو أولوية (الدال) على (المدلول). نحن هنا بعيدون عن الارتياب المتعلق بالمدلول الخاص بلسانيات (بلومفيلد) وما بعدها. إذ أن (المدلول)، على النقيض من ذلك، موجود في كل تحليل، وإن ما يصغي إليه المحلل النفسي في خطاب الحلم المكثف والمجازي، إنما هو العلاقات المنطقية بين المدلولات. لكن هذا المدلول ليس مستقلاً عن الدال، بل على النقيض من ذلك؛ إذ يغدو الدال مستقلاً، فينفصل عن المدلول الذي انضم إليه عند إبلاغ الرسالة، وينقسم إلى وحدات دالة تقوم بنقل مدلول جديد، لا شعوري لا مرئي، تحت مدلول الرسالة المنقول شعورياً (كما هو شأن الحالة المذكورة سابقاً المتعلقة بـ«طروادة ـ Satyre»، وكذلك «أخشى ألا يأتي»).

إن تحليلاً كهذا للعلاقة بين الدال والمدلول في اللغة، يثبت «في الواقع، كيف يدخل الدال في المدلول؛ أي: إن لم يكن تحت شكل غير مادي، فإنه يطرح السؤال حول مكانه في عالم الواقع». كما يقول (لاكان)، الذي يؤكد أن: «أولوية الدال على المدلول، هو أمر يبدو من المستحيل ـ مسبقاً ـ تجنبه في كل خطاب حول اللغة، وذلك ليس دون أن يثير كثيراً من الحيرة حول إمكان مواجهة ذلك من قبل علماء اللغة، حتى في أيامنا هذه».

«إن (التحليل النفسي) وحده، هو القادر على أن يفرض على الفكر هذه الأولية، بإثباته أن الدال يستغني عن كل تفكير ـ انعكاسي على الأقل ـ ليمارس من أجل أن تتجلى فيه، من خلال هذا التطفل المستلب؛ حيث يأخذ مفهوم (العرض) معنى بارزاً في التحليل: معنى الدال الذي يوحي بعلاقة الذات مع الدال»(6).

أخيراً، فإن مبدأ أولوية الدال ينشئ في اللغة المحللة نسقاً تركيبياً يتجاوز المعنى الخطي (النظمي) للسلسلة المنطوقة، كما يضم وحدات دالة تم تحديد موقعها في وحدات لغوية (مورفيمات) مختلفة داخل النص، وذلك تبعاً لمنطق تركيبي.

«يجب ابتداء، اعتبار (التحديد المفرط) بوصفه واقعة تركيبية». ينتج عن هذا التقسيم، التفريع والتقطيع للسلسة الدالة شبكة دالة مركبة، تثير الذات من خلالها تعقيد الواقع المتحرك، دون القدرة على تحديد أي (اسم) ذي معنى دقيق (باستثناء مستوى المفهوم)، لأنه «ما من دلالة يمكنها الثبات، ما لم تحل إلى دلالة أخرى» (لاكان).

هذه الخلاصة التخطيطية لبعض المبادئ الأساسية للمفهوم التحليلي للغة، مع جدتها الجذرية بالمقارنة مع المنظور اللساني الحديث، تطرح، بشكل حتمي، السؤال حول إمكان إدراجها ضمن المعرفة اللسانية. إن من المستحيل اليوم التنبؤ باحتمالية ذلك، وبصورة أقل بنتيجة اختراق كهذا.

غير أنه من الواضح أن الموقف التحليلي إزاء اللغة، لن يوفر المنهجية المحايدة للغة العلمية، وسوف يجبر اللسانيات الشكلية على تغيير خطابها.

إن ما يبدو لنا محتملاً أكثر أيضاً، هو أن هذا الموقف التحليلي سيغزو حقل دراسة النظم الدالة بصورة عامة، أي (السيميولوجيا) التي كان (دوسوسير) قد حلم بها، وبأنه، من خلال ذلك، سيعدل المفهوم الديكارتي للغة، ليسمح للعلم بإدراك تعددية النظم الدالة، المطورة ضمن اللغة، وانطلاقاً من اللغة؟

المراجع

(*)J. Kristeva «Psychanalyse et langage» In: Le langage ،cet inconnu ،Paris ، Seuil1 ،981 ،(Points no 125) ،PP. 263-275.

(1) الملفوظ: فعل اتصال منجز مكتف بنفسه (المترجم).

(2) البرناسية (PARNASSE) حركة أدبية فرنسية في أواخر القرن التاسع عشر، وتطورت عن مدرسة «الفن للفن». (3) TOPOLOGI: الدراسة الرياضية للفضاءات والأشكال، هنا: دراسة تشكل الفضاء الخطابي للذات، بالمقارنة مع الآخر، ومع الخطاب.

(4) الملفوظية: هي المنتج اللغوي بوصفه فعلاً محدداً يتم خلاله تحقيق الجمل المنوطة بمتكلم معين، ضمن ظروف زمانية ومكانية بعينها.

(5) Shifters أو Deictiques: مقولات نحوية معينة لا يمكن تحديد ما تدل عليه إلا باعتبار المتخاطبين مثل الضميرين «أنا» ـ أنت؛ حيث يشير الأول إلى المتكلم، والثاني إلى المخاطب. (المترجم).

(6) كان (دوسوسير) في أعماله التي حملت عنوان (Anagrammes) عالم اللغة الأولى الذي أدرك أولوية الدال «هذه»، وذلك بصياغته نظرية للدلالة، يقال لها «شعرية» (المؤلفة).

(*) جوليا كريستيفا.

دوستويفسكي كما رآه فرويد
أوديب معاصر على طاولة القمار

في بداية الفصل الأول من دراسته حول فن ليوناردو دافنشي وحياته، والمعنونة «دراسة في السيكولوجية الجنسية»، يقول لنا سيغموند فرويد: «حينما يتناول منهج التحليل النفسي الذي يكتفي عادة بالمادة الإنسانية الضعيفة ـ الشخصيات العظيمة في تاريخ البشرية، فإنه في الحقيقة لا يكون مدفوعاً إلى ذلك بفعل الدوافع التي اعتاد عوام الناس أن ينسبوها إليه. فهو أبداً لا يعمل على تدنيس ما هو نقي، أو إلى جر ما هو سام إلى الوحول، ذلك لأن منهج التحليل النفسي لا يجد إشباعاً له في هدم المسافة بين كمال العظماء وتفاهة الأشياء العادية. لكنه، في المقابل، لا يجد مندوحة من اكتشاف أي شيء يستحق الفهم يكون قابلاً للإدراك بين تلك النماذج. كما أنه يؤمن كذلك بأن ما من أحد هو من العظمة، حيث يخجله أن يكون موضوعاً للقوانين التي تحكم الأفعال السوية والأفعال المعتلة بالدقة نفسها...». وما يقوله فرويد هنا عن دافنشي ينطبق في الحقيقة أيضاً على مبدع آخر، هو في مجاله، يضاهي دافنشي ومكانته في فن الرسم، كما أنه يحمل في طيات حياته من العناصر ما يسهّل على الباحث أن يدرس تلك الحياة وما امتلأت به من إبداع، على ضوء تلك العناصر. ونعني هنا دوستويفسكي، الكاتب الروائي الروسي العظيم، الذي طالما أغرى الباحثين والنقاد بألا يدرسوا أدبه، لا سيما رواياته الكبرى، على ضوء حياته. ففي الواقع يمكن لنا دائماً أن نكتشف أن حياة دوستويفسكي وكتاباته كانت من الاتصال في ما بينها إلى درجة مذهلة. وطبعاً ما كان في إمكان محلل سيكولوجي عظيم من طينة فرويد، أن يمر بذلك كله مرور الكرام. صحيح أن النص الذي خصصه فرويد للحديث عن دوستويفسكي كان قصيراً، لكنه يعتبر في الوقت نفسه واحداً من أعمق ما كتب صاحب «علم الأحلام» و«الهذيان والأحلام في الفن» عن أديب أو فنان. ذلك أن ما أعطانا إياه فرويد هنا هو مفتاح لفهم شخصية الكاتب الروسي على ضوء بعض أعماله، وأكثر من هذا: مفاتيح آتية من أعمال دوستويفسكي نفسها، لتضيء حياته.

منذ البداية، يقول لنا فرويد، في نصه هذا الذي كتب في العام 1928، إننا يمكن أن نميز في شخصية دوستويفسكي الفنية، بين أربع سمات: الفنان المبدع، رجل الأخلاق، الإنسان العصابي، والآثم. ثم يسأل فرويد عن الكيفية التي سيستطيع بها المرء أن يجد طريقه وسط هذا التعقيد المحير؟ هنا يفيدنا فرويد أن «الفنان المبدع في دوستويفسكي هو أقل سماته مدعاة للشك»، لأن «مكانة دوستويفسكي لا تبعد كثيراً عن مكانة شكسبير»، كما أن رواية «الأخوة كارامازوف» هي «أعظم رواية كتبت على الإطلاق». والحقيقة أن هذه الرواية، هي، إلى جانب رواية «المقامر»، وبعض الأعمال الأخرى لدوستويفسكي، ما يعتمد عليه فرويد للوصول إلى ما يصل إليه من استنتاجات. ولعل من أطرف وأغرب هذه الاستنتاجات ما يتعلق بـ«مرض الصرع» الذي قيل دائماً إن دوستويفسكي كان يعاني منه. فهنا يفيدنا فرويد، في فقرات هي الأكثر مدعاة للسجال والاستغراب، بأن دوستويفسكي كان «يعتبر نفسه ذا صرع، كما أن الناس كانوا يرونه كذلك نظراً لنوبات الصرع الحادة التي كانت تأتي لديه مصحوبة بغياب الشعور، إضافة إلى تصلبات عضلية يتبعها هبوط». والآن، يقول فرويد، «أصبح من المحتمل أكثر أن ما كان يسمى صرعاً لدى فرويد، لم يكن إلا عرضاً من أعراض عصابه، وينبغي أن يشخص تبعاً لذلك بأنه عصاب هستيري، أي أنه هستيريا حادة». صحيح هنا أن فرويد، بحسب ترجمة سمير كرم لهذا النص، الصادرة عن «دار الطليعة» في كتاب عنوانه «التحليل النفسي والفن»، يقول «... ونحن لا نستطيع أن نكون على يقين تام من هذه النقطة لسببين: أولاً، لأن معلوماتنا عن تاريخ صرع دوستويفسكي المزعوم قاصرة، وغير موثوق بها، وثانياً، لأن فهمنا للحالات المرضية المرتبطة بنوبات ذات مظهر صرعي فهم ناقص»، لكنه سرعان ما يفيدنا من خلال تحليل نصوص دوستويفسكي، أن هذا الصرع لا يمكنه أن يكون مرضاً عضوياً حقاً. وحينما يتوقف فرويد عند دلالة العلاقة بين الصرع وبين الموت، يفيدنا إثر تحليل مستفيض أن هذا النوع من النوبات تصبح له قيمة العقاب، بالتدريج ما يعني أن صاحب النوبة يكون في الأصل راغباً في موت شخص آخر، ليصل إلى الرغبة في أن يكون هو هذا الشخص. والنتيجة؟ هذه النوبة هي عقاب للذات على رغبة في الموت موجهة ضد أب مكروه. وإذ يستفيض فرويد هنا قائلاً إن جريمة قتل الأب هي الجريمة الأولى في البشرية، ينتقل بعد حين إلى عقدة أوديب، ومنها إلى «الأخوة كارامازوف»، ليقارن بين قتل الأب فيها، وبين قتل الأب في «هاملت» شكسبير. ففي حين تحرص مسرحية «هاملت» على ألا يقتل الأب بيد الابن، بل بيد شخص آخر (إسقاطياً)، تخطو رواية دوستويفسكي خطوة أبعد: صحيح أن الجريمة ترتكب هنا أيضاً بيد شخص آخر... لكن هذا الشخص هو، أيضاً، ابن الأب المقتول، ويخضع لتأثيرات عنيفة من قبل ابن آخر له. فإذا أضفنا إلى هذا «تعاطف

دوستويفسكي مع القاتل تعاطفاً لا حدود له» يصبح من المنطقي اعتباره ينظر إلى القاتل كـ«مخلص»...

ومن قتل الأب، بحسب التحليل الفرويدي، إلى الانغماس في القمار، خطوة سيكولوجية واحدة، قد يبدو وجودها مستغرباً، لكن فرويد يخطوها في هذا البحث القصير دونما وجل. فيقول لنا: «لقد ألقى نشر كتابات دوستويفسكي بعد وفاته، ونشر يوميات زوجته، ضوءاً ساطعاً على حادثة مهمة في حياته، أعني الفترة التي قضاها في ألمانيا، حينما كان مدفوعاً إلى هوس المقامرة». وهذا الهوس نجده في الحقيقة، في أعمال عدة لدوستويفسكي، لكننا نجده خاصة في رواية أساسية له هي «المقامر». وإذ ينقل فرويد عن الكاتب الروسي قوله في إحدى رسائله: «أقسم أن التوق إلى المال لا شأن له عندي بلعب القمار، على رغم أن الله نفسه يعلم كم أنني في حاجة إلى المال»، يصبح من المنطقي للمحلل النفسي أن يبحث عن النزوع إلى القمار لدى دوستويفسكي في مجالات يمكن أن تخضع للدراسة النفسية: وهكذا يرى فرويد أن القمار كان بالنسبة إلى الكاتب «طريقة أخرى لمعاقبة الذات» وللدلالة على هذا، لا يفسر لنا فرويد رواية دوستويفسكي، بل إنه يستمد التفسير من رواية لكاتب آخر هو ستيفان زفايغ، الذي كان أصلاً قد خص دوستويفسكي بدراسة. وهكذا، إذ يقارب فرويد بين الكاتبين، يعود إلى تحليله لدوستويفسكي، وعلاقة طفولته بالقمار، وبمعاقبة الذات، ليختم قائلاً: «إذا كان الهوس بالمقامرة، مع الصراعات الفاشلة لتحطيم هذه العادة، والفرص الذي يقدمها لمعاقبة الذات، تكراراً للدافع إلى الاستمناء، فلن ندهش إذا اكتشفنا أن هذا الهوس بالمقامرة يشغل مكاناً كبيراً كهذا في حياة دوستويفسكي. ونحن لا نجد، بعد كل هذا، حالات من العصاب الشديد لم يلعب فيها الإشباع الشبقي الذاتي في الطفولة والبلوغ دوراً ما. والعلاقة بين الجهود التي تبذل لقمعه والخوف من الأب معروفة جيداً، حيث لا تحتاج إلى أكثر من أن تذكر».

إن فرويد، الذي كتب معظم دراساته في التحليل السيكولوجي للفن في مرحلة متأخرة من حياته، كان ينطلق من سؤال جوهري هو: ما هي إمكانات التحليل النفسي في تفسير الأعمال الأدبية... والأعمال الفنية بوجه عام؟ وهو أوصل الجواب إلى وضعية بينت أن «الفرويدية لا تكتفي بالبحث عن توكيد لأطروحاتها في الأعمال الفنية، ولا بأن تطبق على الشخصيات التي أبدعتها مخيلة الفنان قوانين الحياة النفسية لدى العصابيين، بل تتطلع إلى تفسير عملية الإبداع الفني بالذات، وإلى بيان الكيفية التي بها بنى الفنان عمله». وما هذا النص عن دوستويفسكي سوى دليل على هذا التوجه الذي سار فيه سيغموند فرويد (1856 ـ 1939)، في مرحلة متقدمة من تطوره، وهو الذي كان «اكتشف» التحليل النفسي واضعاً عشرات النصوص التي لاتزال حية إلى اليوم.

التحليل النفسيّ في مصر
نشأة ملتبسة وأخطاء متكرّرة

رجاء بن سلامة*

يبدو لي[1] أن مصر تمثّل حالة فريدة من نوعها في تاريخ حركة التّحليل النّفسيّ. فهي البلاد العربيّة الأولى التي أقبل بعض مواطنيها على ممارسة التّحليل النّفسيّ، منذ بداية الثّلاثينيات من القرن الماضي، وهي الأولى التي دخل فيها التّحليل النّفسيّ الجامعة، عندما أسّس مصطفى زيور (1907 ـ 1990)[2] سنة 1950 قسم علم النّفس في جامعة عين شمس. وفي مصر، أيضاً، بدأت حركة ترجمة أعمال فرويد، واستمرّت طيلة فترة الخمسينيات، وأوائل السّتّينيات. وفيها كذلك، تمّت تسمية التّحليل النّفسيّ وصناعة مصطلحاته، واستجابت اللّغة العربيّة لهذه النّشأة المستحدثة على نحو بديع.

"ركدت ريحه وخبت مصابيحه":

لكنّنا إذا تأمّلنا المشهد التّحليليّ اليوم في مصر، كدنا نردّد ما قاله الحريريّ عن الأدب في زمانه: "ركدت ريحه، وخبت مصابيحه". فاليوم يبدو لنا المهتمّون بالتّحليل النّفسيّ في مصر أشبه ما يكونون بالطّيور النّادرة، أو لنقل كما قال العرب، عزّ وجودهم فأصبحوا أندر من الكبريت الأحمر. إنّهم قلّة نادرة بالنّسبة إلى مجموعة سكّانيّة تتجاوز ثمانين المليون نسمة، وهم كذلك بالنّسبة إلى جموع "الدّجّالين" الذي يعالجون بالقرآن، أو الإنجيل، أو السّحر، أو ممارسة استخراج الجان المعبّر عنها بـ"الزّار". فقد أصدر "المركز القوميّ للأبحاث الاجتماعيّة والجنائيّة" بمصر تقريراً يقدّر عدد "الدّجّالين" بـ300000، أي بمعدّل دجّال لكلّ 240

---

* رئيس تحرير موقع الأوان والمقالة منشورة في الموقع ذاته.

مواطناً. ويقدّر التّقرير نفسه عدد المصريّين الذين يعتقدون بأنّهم ممسوسون، أي "يتخبّطهم" الجان، حسب العبارة القديمة، بمليون نسمة[3].

ثمّ، هل يمكن أن نتحدّث عن رسوخ التّحليل النّفسيّ بمصر، والحال أن "ركدت ريحه وخبت مصابيحه" تكشف عن مشهد خراب وقصّة فقدان مبيْن، هي أهمّ حدث تاريخيّ يذكره الشّاهد عن الغائب: كان هنالك محلّلون نفسيّون في مصر، ورحلوا.

ولا بدّ أن نذكّر بهذا الحدث الصّدميّ الهامّ، ففي سنة 1959، امتدّت قبضة نظام جمال عبد النّاصر إلى كثير من المثقّفين اليساريّين، متّهمة إيّاهم بالخيانة. اثنان من طلبة مصطفى زيور طالتهم هذه القبضة واقعيّاً: قدري حفني[4]، وقد سجن من 1959 إلى 1964، وأحمد فائق[5]، وقد سجن من 1968 إلى 1969. فهاجر مصطفى صفوان[6] وشفيق فهمي[7] وهوراس ويسة وصّاف[8] سنة 1959، ثمّ هاجر سامي علي[9] سنة 1965، واستقرّ أحمد فائق في كندا سنة 1971. والنّتيجة هي أن عدد المحلّلين النّفسانيّين تضاءل كثيراً، فانتقلنا من سبعة محلّلين (أو تسعة حسب مصطفى زيور) إلى اثنين فحسب، هما زيور نفسه، وفائزة علي كامل (1936 1991)[10].

لكنّ اختزال كامل تاريخ التّحليل النّفسيّ في مصر في هذا القمع السّياسيّ، وهذه الهجرة التي أعقبته، واعتبارهما العامل المحدّد الوحيد في ماضي التّحليل النّفسيّ ومصيره، قد يعدّ انسياقاً وراء هواميّة الفردوس المفقود التي وقفنا عندها في مقال سابق عن ترجمة التّحليل النّفسيّ: فهل يمكن أن نعتبر فترة ما قبل الهجرة "عهداً ذهبيّاً" عتيداً، وإذا كانت كذلك، فلماذا كان هذا الحدث المفاجئ ضربة قاصمة، ولماذا لا نكاد نجد من بقايا هذا العصر إلاّ ذكريات وأطلالاً؟ لا شكّ أن التّكوين في التّحليل النّفسيّ شاقّ وطويل، وفقدان هؤلاء المحلّلين الذين تلقّوا تكوينهم في أوروبّا يعدّ خسارة كبرى لمصر. ولكن لا يمكن أن يتوقّف مصير التّحليل النّفسيّ في هذا البلد على هجرة مجموعة من محلّليه الأوائل الذين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، إلاّ إذا كانت هنالك عطالة ما يراد إخفاؤها بإبراز هذا الحدث، أو إذا أسندت لهؤلاء الرّوّاد صفة الموضوع المفقود الذي لا يمكن تعويضه، ولا يمكن إقامة الحداد عليه، وكأنّهم آباء مفقودون ليتامى لا يريدون الكفّ عن بكاء موتاهم، فيكفّون عن الحياة وهم يبكون فقدان الحياة، على نحو ماليخوليّ.

فهنالك أوّلاً أحداث أخرى لا تقلّ أهمّيّة قد تركت أثرها في هذا التّاريخ، والحدث الصّدميّ يمكن أن يخفي وراءه أحداثاً صدميّة أخرى. ثمّ إن ما يدعونا إلى الحذر من تضخيم هذا الحدث هو اختيار منهجيّ فرض نفسه علينا بتأثير وقفة تأويليّة بعديّة: كأنّنا نقوم بتحيين

الاستعارة التّحليليّة المتمثّلة في الانتقال من الصّدميّ إلى البنيويّ الكامن وراءه، لأنّ البنيويّ هو الذي يؤسّس الصّدميّ باعتباره حدثاً نفسيّاً. وللتّوضيح: يمكن لشخصين مختلفين أن يتعرّضا إلى صدمة من القبيل ذاته، فلا يكون للصّدمة الوقع نفسه عليهما، لأنّ الصّدمة تتفاعل مع بنية الشّخصيّة، ومدى قابليّتها لاحتمال الهزّة، وكأنّ شيئا لم يقع، أو عدم احتمالها بسبب هشاشة بنيويّة، بحيث تكون هذه الهزّة مهدّدة، أو مدمّرة. ثمّ كان لا بدّ من الانتقال، في الوقت نفسه، من منطق الشّكوى من العوامل الخارجيّة المضطهِدة إلى موقف تحميل جزء من المسؤوليّة للممارسة التّحليليّة نفسها. وبعبارة مختصرة، كأنّنا في هذا البحث أخضعنا ممارسة التّحليل النّفسيّ إلى مسار تحليل نفسيّ: الذّات تكون شاكية من الآخرين، متّهمة إيّاهم، ملقية كلّ أوزارها عليهم، ثمّ إذا هي تكتشف تدريجيّا قسطاً من المسؤوليّة على آلامها ومآزقها ومصيرها، وتكتشف أيضاً مقدار تعلّقها هي بهذه الآلام والمآزق، نتيجة وجود مازوشيّة أساسيّة، وقوى تدمير ذاتيّ لها صلة بالشّعور بالذّنب، أو بقهر التّكرار، في علاقته بدوافع الموت كما بيّنها فرويد. هذا على المستوى الفرديّ، لكنّ الجماعيّ النّفسيّ في آليّات دفاعه واقتصاده النّرجسيّ غير بعيد عن الفرديّ.

إذا كان بوسعنا اعتبار الخمسينيات إجمالاً هي "العهد الذّهبيّ" للتّحليل النّفسيّ في مصر، فكيف كانت طبيعة نقل المعرفة التّحليليّة قبل هذا العهد، وأثناءه وبعده، أي بين عودة أوائل المحلّلين الذين تلقّوا تكوينهم في أوروبّا، وهجرتهم من جديد؟ ما الذي ورثته "الطّيور النّادرة" من المحلّلين الآن، بقطع النّظر عن التّكوينات الثّقافيّة التي سنتبيّنها، والتي يمكن أن نقول إن مقاومة التّحليل النّفسيّ استندت إليها؟

سأحاول تقديم بذور إجابة عن هذه الأسئلة، مستعرضة ومسائلة في الوقت نفسه الفرضيّات والحجج التي تقدّم عادة لتفسير هامشيّة التّحليل النّفسيّ، إن لم نقل غيابه، في مصر والعالم العربيّ عامّة. هذه الحجج قلّ وندر أن تُسائل الممارسة التّحليليّة نفسها، أي الموقع الذي يضع فيه المحلّل النّفسانيّ نفسه، وصيغ انتقال المعرفة التّحليليّة، بل إنّها تلقي التّبعة على قلّة الطّلب، أي قلّة إقبال النّاس على التّحليل النّفسيّ، أو على التّناقض المفترض بين التّحليل النّفسيّ وبعض المظاهر السّياسيّة، أو الثّقافيّة، أو حتّى اللّغويّة للمجتمعات العربيّة.

معرفة آتية من عالم السّيّد المضطهِد

إذا أردنا تجنّب الخطاب التّمجيديّ، وتعويض النّظرة الماليخوليّة الفاقدة الباكية بنظرة نقديّة، فإنّ تدقيقا أوّل يفرض نفسه على من يروم كتابة التّاريخ. فمصر هي، ولا شكّ، أوّل

بلد من المنطقة النّاطقة بالعربيّة ظهر فيها التّحليل النّفسيّ. لكنّنا إذا وسّعنا دائرة النّظر، واعتمدنا مقاربة مقارِنة أوسع، تبيّن لنا أن هذا الظّهور متأخّر نسبيّاً. عندما ننظر إلى نشأة التّحليل النّفسيّ في أقطار نائية جغرافيّاً وثقافيّاً، نكاد نعجب من سبقها إلى الأخذ بهذه المعرفة قبل أقطار أخرى تعدّ أقرب إلى أوروبّا. فالبرازيليّون مثلاً بدأوا يتحدّثون عن فرويد منذ سنة 1899[11]، وفي الهند بدأوا يترجمون "تفسير الأحلام" منذ سنة 1911[12]، أي قبل ترجمته في مصر بأكثر من 45 عاماً، وفي اليابان، شدّ أحد اليابانيّين رحاله إلى الولايات المتّحدة ليتلقّى تكويناً تحليليّاً فيها منذ سنة 1916، أي قبل أكثر من عقدين من سفر الرّوّاد المصريّين إلى أوروبا للغرض نفسه[13]. يحقّ لنا حينئذ أن نتساءل: لماذا يبدو المبكّر عندنا متأخّراً عند غيرنا، ولماذا كان أوّلنا تالياً، ولماذا تأخّر هذا القطر الذي لم يعقبه غيث منهمر؟

تكمن أحد عناصر الإجابة عن هذا السّؤال، حسب رأيي، في أوّل "فضيحة" صاحبت نشأة التّحليل النّفسيّ في مصر.

ففي سنتي 1936 و1943 تعرّض أوّل "محلّل نفسانيّ" مصري إلى المحاكمة. إنّه شكري أفندي جرجس (ت 1945)، وقد حوكم بتهمة ممارسة الطّبّ بصفة غير قانونيّة. لكنّ بعض المعلّقين اتّهموه في الوقت نفسه، بالانتماء إلى "الجمعيّة البريطانيّة للتّحليل النّفسيّ"[14]، أي إلى مؤسّسة تنتمي إلى البلد المستعمر. يمكن أن نستنتج من هذا التّفصيل أن ثنائيّة الاستعمار والاستقلال في البلدان العربيّة من الإحداثيّات التي لا يمكن لمؤرّخ التّحليل النّفسيّ أن يتجاهلها. وإذا كان ميلاد التّحليل النّفسيّ متأخّراً كثيراً في البلدان العربيّة، فإنّه أقلّ تأخّراً في مصر التي استقلّت منذ سنة 1936. لا شكّ أن عوامل أخرى يجب أن تدخل في الحسبان، منها ازدهار الفكر الحداثيّ المستلهم من فلسفة الأنوار في مصر في النّصف الأوّل من القرن العشرين، رغم ثقل مؤسّسة الأزهر ودورها الرّاسخ في المصادرة والعقاب، ومنها أن هذا البلد شهد بداية حياة ديموقراطيّة، وظهر فيه أوّل برلمان عربيّ، وظهرت فيه تعدّديّة حزبيّة، وغير ذلك من مقوّمات الحداثة السّياسيّة. لكنّ الغرب المهيمن كانت له صورة السّيّد المضطهد في كلّ البلدان المستعمرة من الخليج إلى المحيط، وكلّ ما يمكن الاقتداء به من متعلّقات هذا السّيّد الغالب، هو القيم التّحرّريّة التي تمكّن من الاستقلال عنه. كانت هذه مثلاً معركة المحامي المتخرّج من السّوربون، الحبيب بورقيبة، قبل أن يعتلي الحكم سنة 1956. كان من الصّعب الذّهاب إلى هذا الغالب لأخذ "الطّاعون" منه، إذا ما استعرنا التّعبير الذي يقال إن فرويد استعمله عندما وصل إلى نيويورك ورأى تمثال الحرّيّة، وقدّر تنافر العقليّة الأميركيّة البراجماتيّة (« the american way of life ») مع التّحليل النّفسيّ، فقد قال: "إنّهم لا يعرفون

أنّني آتي لهم بالطّاعون". الطّاعون: لأنّ التّحليل النّفسيّ هو هذه المعرفة النّقضيّة المليئة بالمفارقات، لموضوع مبهم يطلب فلا يكاد يدرك، هو اللاّشعور.

إنّ التّحليل النّفسيّ معرفة بذات اللاّشعور، لا بذات القانون، وسجلّها الرّغبة والمتعة، لا الحقّ والواجب. والسّجلاّن مختلفان وإن تقاطعا. ولذلك، فقد كان من الصّعب أن يتخطّى التّحليل النّفسيّ الحواجز السّياسيّة التي يضعها التّقابل بين المستعمِر والمستعمَر، بين المهيمن وطالب الحقّ. وسنرى أن ذات القانون، ستظلّ تلاحق ذات اللاّشعور، وتنعكس عليها مولّدة كلّ ضروب سوء الفهم والخلط والمصاعب.

الأوّل ليس أوّل

لنعد إلى هذه الفضيحة الأولى لمساءلتها من حيث تاريخ ممارسة التّحليل النّفسيّ. لا شكّ أن هاتين المحاكمتين اللّتين تعرّض إليهما شكري أفندي جرجس يذكّراننا بمحاكمة تيودور رايك Théodor Reik، سنة 1926 بالنّمسا، للتّهمة نفسها، وهي الممارسة غير القانونيّة للطّبّ، وتذكّرنا بمسألة التّحليل النّفسيّ الذي يمارسه غير الأطبّاء، وقد تصدّى فرويد للدّفاع عنه بتأليفه كتاباً في الموضوع عنوانه "مسألة التّحليل النّفسيّ الذي يمارسه غير الأطبّاء" (أو "اللاّئكيّ"، حسب العبارة الفرنسيّة والألمانيّة). فالمعروف أن فرويد يعتبر التّحليل النّفسيّ مختلفاً عن الطّبّ، ويجب أن يبقى مستقلاً عنه، بل إنّه يعتبر الإنسانيّات والأدب أكثر تأهيلاً لممارسة التّحليل النّفسيّ من الطّبّ نفسه، رغم أنّه طبيب. لكنّ المشكل المطروح في قضيّة الحال هي أن شكري أفندي جرجس لم يدافع عن جدّة التّحليل النّفسيّ واستقلاله عن الطّبّ، بل أقحم التّحليل النّفسيّ في باب الطّبّ، وهو ليس طبيباً. فبالإضافة إلى عدم التزامه بأفكار فرويد، وبمبادئ التّحليل النّفسيّ، لنشره تقارير باح فيها بأسماء المتحلّلين وتجاربهم، وضمّنها رسائلهم إليه، انتحل جرجس لقب "دكتور"، وتجرّأ على كتابة وصفات دواء إلى بعض المرضى. وهذه التّهم يثبتها التّقرير الذي كتبه المستشار محمّد فتحي بك سنة 1946، ونشره تحت عنوان "مشكلة التّحليل النّفسيّ في مصر: دراستها من النّواحي العلميّة والاجتماعيّة والقضائيّة والتّشريعيّة" (مطبعة مصر، شركة مساهمة مصريّة). دافع محمّد فتحي بك عن حقّ جرجس في ممارسة التّحليل النّفسيّ، وعرّف بالتّحليل النّفسيّ، واعتمد التّرجمة الإنجليزيّة لكتاب فرويد المذكور، بعد أن جلبها من بريطانيا، وذكر في خاتمة كتابة أسماء المحلّلين النّفسانيّين من غير الأطبّاء في أوروبّا، ونجح في إثبات جدّة التّحليل النّفسيّ واستقلاله، لكنّه لم يستطع تبرير انتحال جرجس صفة الطّبيب ووظيفته، ولم يستطع تبرئته منهما.

هل يمكن أن نقول إن أوّل محلّل نفسانيّ في البلد، اعتبر نفسه طبيباً. وتجاوز أمر طبّ الأرواح إلى طبّ الأبدان؟ الأكيد أن جرجس، بسبب هذا الخطأ الأوّل، لم يعتبر الرّائد، ولا المؤسّس، في نظر الخلف. وفي الخطاب السّائد عن تاريخ التّحليل النّفسيّ بمصر. بل ربّما تعرّض إلى النّبذ والمحو، فنحن لا نكاد نعثر على أي ذكر له بعد محاكمته وموته.

دور الرّيادة والتّأسيس سيسند إلى مصطفى زيور كما سنرى.

فرويد: جالب الغريب إلى الأصل يصبح موضوع كره الغريب

في سنة 1939، دوّت فضيحة أخرى مرتبطة بالتّحليل النّفسيّ إثر صدور كتاب "موسى الإنسان والتّوحيد" لفرويد. وقد قدّم فتحي بن سلامة هذه الفضيحة على النّحو التّالي: "إنّ أهمّيّة موسى التي لا نظير لها في النّصّ الإسلاميّ تفسّر لنا ما حصل في مايو/ أيار 1939 عندما نشرت صحيفة الأهرام اليوميّة الشّهيرة خبراً عن صدور كتاب فرويد "موسى الإنسان والتّوحيد"، بعث به مراسل الصّحيفة في لندن. فقد تلت هذا الخبر اعتراضات وردود كثيرة، متأتّية من الوسط الجامعيّ، ومعترضة على اعتبار فرويد موسى ذا أصل مصريّ. لقد كتب أحد هؤلاء الجامعيّين المصريّين قائلاً: "هذا ما يقوله الأستاذ فرويد، وما من شكّ في أنّه انفرد، بين سائر العلماء والمؤرّخين في العالم، بهذا الاعتقاد الغريب الشّاذّ. ذلك أن كتب التّاريخ والكتب المنزّلة تؤيّد الاعتقاد السّائد منذ آلاف السّنين بأنّ موسى كان يهوديّاً أباً عن جدّ، ومع أنّه تربّى وتثقّف في بلاط مصر، فقد قام مع أخيه هارون يناصر إخوانه اليهود ضدّ رعمسيس. ثمّ تولّى زعامة اليهود إلى أن أخرجهم من مصر"[15].

هل يمكن أن نقول إن فرويد قد ظهر في الرّأي العامّ الثّقافيّ بمظهر الشّخص الذي يمدّ يده إلى السّرد المكرّس للأصول التّوحيديّة، ويأتي تبعاً لذلك بـ"الطّاعون"؟ إن التّحليل النّفسيّ معرفة ذات بعد تقويضيّ أو تفكيكيّ لا تكاد تحتمله المجتمعات التّقليديّة، فيما يتعلّق بمسائل الجنسانيّة والأوديب. فما بالك به، إذا امتدّت طاقته التّفكيكيّة إلى الأساطير المؤسّسة للذّاكرة التّوحيديّة؟ وماذا لو امتدّ العمر بفرويد، فخصّ نبيّ الإسلام بكتاب آخر شبيه بكتاب "موسى الإنسان والتّوحيد"؟ ألا تكون عندها الطّامّة الكبرى؟

ثمّ هنالك حدث آخر، صدميّ هو الآخر، أعتقد أنّه يمثّل منعرجاً هامّاً في تاريخ التّحليل النّفسيّ بمصر، هو هزيمة 1967، خلافاً لكلّ التّوقّعات، وخلافاً لكلّ شعارات المرحلة. لم يتقبّل المنهزمون الهزيمة، ولم يبلوروها نحو تجاوز إبداعيّ ونهوض بالذّات، بل إنّهم لجؤوا عموماً إلى الإنكار الذي حوّلها إلى "نكسة"، ولجأوا إلى منطق هوويّ ازداد ضيقاً على مرّ

الأيّام: منطق لا يقبل بغيريّة خارج غيريّة "العدوّ". غيريّة العدوّ، عندما تكون طاغية، مستبدّة بالتّفكير، لا يمكن أن تترك المجال للغيريّة التّحليليّة الأساسيّة، وهي غيريّة "الآخر" و"اللاّشعور".

ولذلك، فإنّ بين التّحليل النّفسيّ والأنظمة والأيديولوجيّات الشّموليّة تاريخ طويل من سوء التّفاهم والتّنافر، هو الذي يفسّر إلى حدّ ما هجرة المحلّلين النّفسانيّين المصريّين، والعرب عموماً.

وفي الحقل التّقافيّ المتعلّق بتفنيد التّحليل النّفسيّ، ظهرت أدبيّات تشير بأصبع الاتّهام إلى أصل فرويد اليهوديّ، وتجعله ميسماً بارزاً، رغم أنّه ليس كذلك في منطلقاته وفرضيّاته ومحتويات معرفته. بحيث أن الذي أدخل الغريب إلى الأصل، مبيّناً أن موسى لم يكن من بني إسرائيل، أصبح موضوعاً لكره الغريب. والنّتيجة هي أن اثنين، على الأقلّ، من المهتمّين بالتّحليل النّفسيّ نبذا التّحليل النّفسيّ، وتصدّيا لدراسة العلاقات المفترضة بينه وبين الصّهيونيّة. أحدهما صبري جرجس، وهو طبيب نفسانيّ كان يدافع عن التّحليل النّفسيّ، ثمّ نشر سنة 1970 كتاباً عن "التّراث اليهوديّ ـ المسيحيّ والفكر الفرويديّ: أضواء على الأصول الصهيونية لفكر سيجموند فرويد". والثّاني هو قدري حفني، وقد نشر مقالات تحت عنوان "فرويد بين العلم والصّهيونيّة" و"الشّخصيّة الإسرائيليّة". ويواصل قدري حفني إلى اليوم عمله الحثيث من أجل "معرفة العدوّ"، إلاّ أنّه يواصل أيضاً إقامة البرهان على فرضيّة تكاد تكون هاذية، هي وجود ارتباط وثيق بين التّحليل النّفسيّ والصّهيونيّة. هذه الهزيمة حرّكت سواكن مصطفى زيور نفسه. ففي 8 سبتمبر/ أيلول 1968، نشر في صحيفة "الأهرام" مقالاً تحت عنوان "أضواء على المجتمع الإسرائيليّ.. دراسة في التّحليل النّفسيّ". تجنّب زيور العنصريّة الفجّة التي انزلق إليها تلاميذه، في حديثهم عن "الشّخصيّة" الإسرائيليّة أو اليهوديّة، وعرض فرضيّة التّماهي مع المعتدي، عند النّاجين من المعتقلات النّازيّة.

وإلى اليوم، يمتزج فكر المؤامرة بالحقد على اليهود، وبالخلط بين اليهوديّ والمستعمر الصّهيونيّ، ليولّد نتاجاً ثقافيّاً تستند إليه مقاومة التّحليل النّفسيّ في مصر خاصّة: إنّها أدبيّات لا تهدف إلى معرفة التّحليل النّفسيّ بفرضيّاته وتقنيته ومقوّماته الإبستمولوجيّة، بل تجتهد في إيجاد روابط، أوهى من خيط العنكبوت، بين الصّهيونيّة والتّحليل النّفسيّ ومؤسّسه.

وغريب التّحليل النّفسيّ.. أيضاً:

ومن رفض فرويد باعتباره يلوّث نقاء الأصل التّوحيديّ المخيّل، ويُحلّ الغريب بالأصل، ومن رفضه باعتباره الغريب، يمكن أن ننتقل إلى رفض غريب التّحليل النّفسيّ. فقد ظهرت في مصر خطابات أخرى تفنّد التّحليل النّفسي، يحدوها في ذلك رفض المكتشفات التّحليليّة التي

لا تحتمل: فكرة الخصاء، لا سيّما خصاء المرأة، وفكرة دوافع الموت، وفكرة انشطار الذّات نتيجة وجود اللاّشعور واللّغة. وسنذكر في ما يلي أهمّ هذه الخطابات المفنّدة:

النّسويّة المضادّة لفرويد، عند نوال السّعداوي (ولدت سنة 1930). فنوال السّعداوي طبيبة نفسانيّة ومناضلة نسويّة جديرة بكلّ احترام وإكبار في نضالها. إلاّ أن المتتبّع لكتاباتها يدهش من فرط تحاملها على فرويد، ومن الخلط الذي تقيمه منهجاً بين السّجلّين النّفسيّ والقانونيّ. فهي لا تتورّع مثلاً عن مقارنة فرويد بلاهوتيّي محاكم التّفتيش الذين كانوا يطاردون السّاحرات، "ويبحثون بالإبر الطّويلة في جسمه(نّ) عن علامة الشّيطان"[16]، وهي تنسب إلى فرويد أقوالاً كاريكاتوريّة لا تذكر مصدرها، ولا نجد لها أثراً في كلّ ما كتبه عن المرأة وجنسانيّتها. وهذه مسألة تستوجب لأهمّيتها بحثاً خاصّاً.

خطاب الخصوصيّات الثّقافيّة، أو الدينيّة، الذي يقترح بديلاً عن التّحليل النّفسيّ ضروباً من علم النّفس الأخلاقويّ المستوحى من مبادئ إسلاميّة، أو المنسجم بالأحرى مع القمع الجنسيّ الذي تتقاسمه عند التّحقيق كلّ الطّوائف الدّينيّة في هذا البلد. نجد في علوم النّفس هذه عودة إلى الحديث عن "الملكات"، مع ميل إلى تقديم المبادئ الأخلاقيّة والدّينيّة علاجاً لكلّ علّة ومكروه. واستجابة لمتطلّبات "الحداثة"، ينتقل بعض أصحاب هذا المنهج إلى الحوامل الافتراضيّة، ويفتحون على شبكة العنكبوت "عيادات افتراضيّة". في هذه العيادات غالباً ما نجد معالجين نفسانيّين يحاكون شيوخ الإفتاء بتقديم نصائح أخلاقويّة لأشخاص محتارين يسألون عن أسباب أعراضهم وأعراض ذويهم، ويبحثون عن حلول لها.

الخطاب الذي يدعو إلى النّموذج الطّبّيّ الأميركيّ، ويمدح المكاسب الطّبّيّة الحديثة، لدى أطبّاء مشهورين، ولهم إشعاع في الحياة الفكريّة، منهم من أعرض كلّيّاً عن التّحليل النّفسيّ واستبدله بالعلاج الكيمياويّ، أو المعرفيّ ـ السّلوكيّ، ومنهم من تبنّى نموذجاً فيزيائيّاً ـ نفسيّاً ـ ديناميّاً غائيّاً لذات بشريّة خياليّة يفترض أنّها غير منشطرة، وغير خاضعة لدوافع الموت وقهر التّكرار.

كلّ هذه المقاومات التي تنتظم ثقافيّاً وعياديّاً هامّة. إنّها تبيّن أن التّحليل النّفسيّ لم يترسّخ في الثّقافة السّائدة، أو سرعان ما فقد جاذبيّته الثّقافيّة والفكريّة لدى النّخب، ولدى الأجيال التي تلت جيل الرّوّاد.

لكن لنعد أدراجنا إلى الماضي، وإلى الفترة الذّهبيّة، فهي الأقدر من كلّ الأحداث والفضائح والمقاومات على تفسير ما وقع، أو ما لم يقع، حتّى يتحوّل البلد الذي أينعت فيه الزّهرة الأولى إلى صحراء تحليليّة قاحلة. إنّها العودة إلى البنيويّ الذي يؤسّس الصّدميّ، ويفسّر

قدرته التّدميريّة، كما أسلفنا. أو لنقل إنّه البحث عن الدّودة التي كانت تنخر الثّمرة الذّهبيّة قبل سقوطها. فما الذي تكرّر إخطاؤه أثناء "العصر الذّهبيّ" وبعده؟ وما الذي يجعل باب الأمل مفتوحاً، رغم كلّ شيء؟

روّاد التّحليل النّفسيّ في مصر

يمكن أن نقول إن فترة روّاد التّحليل النّفسيّ بمصر، وقد وقفنا عند بعض مميّزاتها ودلالاتها في مقال سابق، لم تعقبها فترة مؤسّسيّة، كما هو الشّأن عادة، في أغلب البلدان التي انتشرت فيها حركة التّحليل النّفسيّ، نظراً لأهمّيّة الجمعيّات في التّكوين في هذه المعرفة الخاصّة التي من الصّعب تدريسها في الجامعات. فالجمعيّات والمعاهد التّحليليّة توفّر التّكوين النّظريّ والعياديّ لمن قطع أشواطاً في تحليله الشّخصيّ، وأراد المواصلة، وتنظّم عمليّة التّأهيل التي تختلف صيغها باختلاف الجمعيّات والمدارس، ممّا يضيق المجال عن توضيحه، لكنّ هذا التّأهيل يجب أن يبقى في كلّ الأحوال مختلفاً عن الامتحانات الجامعيّة.

لم يتمّ إنشاء أيّ فريق بحث، أو جمعيّة تحليليّة، ولم تظهر أيّ مؤسّسة تشرف على ترجمة أعمال فرويد، رغم صدور ترجمات لبعضها خلال هذه الفترة. إن كلّ ما تمّ إنشاؤه طيلة هذا "العهد الذّهبيّ" كان يدخل تحت في باب "علم النّفس" بصفة عامّة، لا في باب التّحليل النّفسي. مثال ذلك إنشاء قسم علم النّفس بعين شمس، حيث كانت بعض مداخل التّحليل النّفسيّ تدرّس في السّنتين الثّانية والرّابعة، وإنشاء "مجلّة علم النّفس الفصليّة" بين سنتي 1945 و1953، وقد أسّسها مصطفى زيور ويوسف مراد[14]، ومجلّة "الصّحّة النّفسيّة" سنة 1958، وكان رئيس تحريرها مصطفى زيور أيضاً، وصدرت منها ثلاثة أعداد.

إنّ غياب التّمييز بين التحليل النّفسيّ وعلم النّفس يمكن أن نردّه إلى عدم انتشار أفكار جاك لاكان Lacan عن خصوصيّات التّحليل النّفسيّ. فهذا المحلّل هو الذي انكبّ منذ الخمسينيات، على تمييز التّحليل النّفسيّ عن علم النّفس، وعن كلّ ما هو سلوكيّ يهدف إلى أقلمة الأفراد مع بيئتهم، وعن كلّ ما "يموضع" المعرفة بالذّوات، وهو الذي حرص على أن يكون في التّحليل النّفسيّ شيء ما غير قابل للتّصنيف، فليس هو تطبيقاً لنظريّة، وليس "بروتوكولاً تجريبيّاً" قابلاً للتّكرار إلى ما لا نهاية له، وليس ممارسة مقصورة على بعض "المريدين"، وليس تصوّفاً[15]. إنّه منهج خاصّ، ومعرفة خاصّة بالخاصّ.

ليس من العدل في شيء أن نحاسب المحلّلين المصريّين، لاسيّما الذين بقوا في مصر، على

عدم مواكبتهم لأفكار جاك لاكان، أو رفضهم إيّاها. لكنّ ما يمكن أن نستغربه، أو ما يحقّ لنا استغرابه، هو وجود عوامل تذهب في اتّجاه معاكس لأفكار فرويد نفسه، من حيث تحديد موقع المحلّل، ومن حيث إطار الممارسة التّحليليّة، ومن حيث القبول بتبعات التّحليل النّفسيّ والحدّ الأدنى من فرادته.

ثمّ إن غياب الطّابع التّحليليّ المؤسّسيّ لا يمكن أن يفسّر فقط بتعثّر البدايات، أو بهجرة أغلب المحلّلين.

مصطفى زيور: الأب، أو السّيّد الحامي

كان مصطفى زيور الرّائد الذي طبع تاريخ التّحليل النّفسيّ في مصر، بل ربّما في العالم العربيّ، لأسباب منها ما يعود إلى شخصيّته وتكوينه، ومنها ما يعود إلى أنّه لم يهاجر إلى أوروبّا، خلافاً لأغلب المحلّلين من مجايليه، أو من تلاميذه.

كان ولا شكّ مدرّساً وطبيباً ومثقّفاً وكاتباً فذّاً، وعلى درجة عالية من الذّكاء وسعة الاطّلاع والكاريزما. لكنّ معطيات كثيرة تبيّن لنا أوّلاً أنّه كان في ممارسته للتّحليل النّفسيّ الفرويديّ الذي ينتسب إليه، وفي علاقته بطلبته أقرب إلى المعلّم ـ الأب منه إلى المحلّل النّفسانيّ. والحال أن المحلّل لا يمكن أن يكون أباً أو أمّاً إلاّ داخل العلاقة الخياليّة التي يعقدها معه المتحلّل، عندما يعيد إنتاج علاقته بأبيه مثلاً، في ما يسمّى "الطّرح" transferance. وهذا الطّرح يجب أن يُحلّل ويُتجاوز، بل إن من شروط "إنهاء" التّحليل عند فرويد، أو من مقوّماته، وقوف المتحلّل على هذا التّكرار، وخروجه من دائرته.

لا يمكن للمحلّل النّفسانيّ، وهو الملزم بالصّمت والانسحاب وترك المسافات، أن يقبل بلعب دور الأب أو الأمّ، أو أن يلتصق بهذا الدّور، إلاّ بصفة ظرفيّة، داخل مسرح المعالجة، ليستفيد من لعب المتحلّل للسّيناريو الأوديبيّ، أو اللاّأوديبيّ، الخاصّ به، وليقدّم إنصاتاً تأويليّاً له.

ويتأكّد هذا الدّور الأبويّ الذي لعبه "الرّائد" ولزمه من خلال التّقديم الذي وضعه أحمد فائق لكتاب مصطفى زيور "في النّفس"، وهو مجموعة من المقالات والأبحاث التي جمعها "تلاميذه" (بيروت، دار النّهضة العربيّة، 1986)، إذ يقول مثلاً: "ولكن هنالك صفة في مصطفى زيور لم أجدها في غيره ممّن ظنّ فيه تلك النّدرة (كذا). صفة الأمومة والأبوّة معاً. عرفت رجالاً أحبّهم مريديهم (كذا) حبّ الطّفل لأمّه، وعرفت رجالاً تطلّع إليهم معجبيهم (كذا) تطلّع الصّبيّ لأبيه. أمّا زيور فكان مزيجاً نادراً من الاثنين"(ص 11). إن إضفاء أحمد

فائق البعد الأموميّ على أبوّة أستاذه، من شأنه أن يزيد في توسيع هالة مصطفى زيور، ومن شأنه أن يزيد في تبعيّة تلاميذه، و"مريديه": لم يكن فقط أباً حامياً، بل كان أمّاً تمدّ كفّها الحنون لتقدّم الغذاء النّرجسيّ المطمئن. بل يمكن أن نقول إن هذا الأستاذ أصبح، حسب هذا الخطاب، كالإله حاوياً للمبدأين الذّكوريّ والأنوثيّ، منفلتاً من عالم الإخصاء الذي يفرض على البشر جنساً واحداً.

والنّتيجة، على أيّة حال، هي بقاء التّلميذ أو "المريد"، حسب عبارة أحمد فائق، طفلاً كبيراً، لا يحلّل جروحه لتجاوزها، بل ينتظر كمّادات نرجسيّة تأتيه من السّلطة الحامية. ينتظر الرّفق والمساعدة من الأب الذي يظلّ أباً خياليّاً بالأحرى، لا يخلع عن عرشه، وبيده كلّ السّلطة. وكيف يخلع عن عرشه، وقد ألصقت به متعلّقات الموضوع الأوّل، أي الأمّ؟

وعندما يظلّ "التّلاميذ" "مريدين" تحت مظلّة الأستاذ الزّعيم، لا تظهر الحاجة إلى إنشاء مؤسّسات قد تتنافر من حيث هيكلتها القانونيّة على الأقلّ مع الزّعامة الفرديّة، والصّيغة العلائقيّة الأبويّة.

وهنالك علامة دالّة في رأيي على بقاء الأب أباً، وبقاء التّلاميذ أبناء بلا مساءلة تحليليّة، نجدها في هذا الكتاب الوحيد الذي صدر لزيور وجمعه "تلاميذه". فرغم ما في هذا المجموع من فائدة، ورغم ما يختصّ به أسلوب مصطفى زيور من أناقة ومتانة وإشراق، فإنّ القارئ يكاد يتعثّر في كلّ فقرة من فقراته، لكثرة الأخطاء المطبعيّة كثرة غير مألوفة. ولقد تبادرت إلى ذهني الخاطرة التّالية وأنا أطالعه وأفكّ طلاسمه: طبْع هذا الكتاب هو فعل إجلال وإكبار قام به الأبناء ـ التّلاميذ نحو أستاذهم وأبيهم، وهو يكشف عن ازدواجيّة وجدانيّة لم تحلّل إزاء هذا الأستاذ ـ الأب. لم تحلّل، لأنّ العلاقة الطّرحيّة به، ظلّت علاقة طرحيّة، وظلّ أباً أوديبيّاً داخل التّحليل وخارجه، يمتزج حبّ أبنائه له بالكره. ولذلك كان هذا الكتاب بأخطائه هديّة شبه مسمومة، أو دَيْناً نحو الأب، يعترف به الأبناء بيد، ويسحبونه بأخرى.

كان لابدّ من تأسيس أيّ مجموعة تحليليّة صرفة، لا لضمان حسن التّكوين والتّأهيل فحسب، بل لإيجاد ثالث مؤسّسيّ، يحدّ من هيمنة العلاقات الثّنائيّة ذات الصّبغة الأبويّة. هذا الثّالث سيمثّل كما في الدّيموقراطيّة هيئة مجرّدة لا ترتبط بشخص معيّن، فيكون دورها مساءلة آثار عقليّة الجموع التي تتماهى بالزّعيم، ويكون بإمكانها تحقيق استقلال، ولو نسبيّ، عن السّلط الأبويّة، بل والأموميّة التي توضع في مكان يجب أن يبقى شاغراً، هو مكان "الآخر" Autre. يقول مصطفى صفوان في تعريف للدّيموقراطيّة: "في النّظام الدّيموقراطيّ ما يوضع في مكان الثّالث، ليس شخصاً بل دالاً أن هذا في رأيي التّعريف الأساسيّ للدّيموقراطيّة"[16].

فلابدّ من شيء من هذه الدّيموقراطيّة التي تعوّض سلطة الأشخاص بسلطة رمز ما يوجد خارجهم، حتّى تتوفّر بعض شروط إمكان التّحليل النّفسيّ.

"رائد علم النّفس التّجريبيّ"

كان مصطفى زيور ذا اختصاصات متعدّدة، فهو فيلسوف وطبيب ومحلّل نفسانيّ، وكتابه المجموع يعكس هذا التّعدّد، فعنوانه الكامل هو: "في النّفس: بحوث مجمّعة في التّحليل النّفسيّ، الطّبّ النّفسيّ الجسميّ، الطّبّ النّفسيّ، الفلسفة". إلاّ أن هذا التّعدّد صاحبه عدم تموقع خاصّ، بل والتباس في العلاقة بالتّحليل النّفسيّ. فقد كان زيور حسب شهادة أحمد فائق يفضّل علم النّفس التّجريبيّ على التّحليل النّفسيّ، رغم ما بين المعرفتين من اختلاف جوهريّ، يعي به أحمد فائق. فعلم النّفس التّجريبيّ يموضع الذّات، ويفترض ذاتا عارفة "موضوعيّة" منعزلة عن تجربتها، خلافاً للتّحليل النّفسيّ الذي لا يموضع الذّات، بل ينصت إلى خطابها عن نفسها، ولا يضع نفسه خارج عمليّة المعرفة، لأنّه يحلّل "مضادّ الطّرح"، أي ردود فعله اللاّشعوريّة على من يتحلّل في أريكته. نترك أحمد فائق يتحدّث عن تشكيك مصطفى زيور في التّحليل النّفسيّ، وقد قدّمه في سياق إعجابه بـ"موضوعيّة" الأستاذ: "بعد تخرّجي في القسم استجبت لإصراره على أن تكون دراساتي العليا في مجال التّجريب. أذعنت لهذه الرّغبة كارهاً، فأعددت رسالتين تجريبيّتين لنيل درجة الدّكتوراه. وما إن انتهيت حتّى ظننت أنّني قد أصبحت حرّاً في أن أنمّي اهتماماتي بالتّحليل النّفسيّ، وأن أعدّ نفسي للتّجريب عليه، مقتفياً أثر أستاذي، إلاّ أن ظنّي قد خاب. لقد بدأ معي مصطفى زيور حواراً غريباً في نوعه. لبس هو لباس التّجريبيّين يحاورني ويجادلني في التّحليل النّفسيّ متحدّياً اقتناعي بعلميّته. وكان حواره غريباً عليّ، فها أنذا أمام تجريبيّ متمرّس يعرف خبايا التّحليل النّفسيّ معرفة تفوق معرفتي به، يطلب منّي إقناعه بقيمة التّحليل النّفسيّ. وأصبح جدله معي طقساً لا يمرّ يوم دون أن أقوم به، وكثيراً ما كان جدله يثير فيّ الغضب عليه عتاباً على تشكّكه هذا في التّحليل النّفسيّ" (ص9 ـ 10).

وما نلاحظه هو أن الصّورة التي ارتسمت عن مصطفى زيور، وتأكّدت، هي صورة عالم النّفس التّجريبيّ. فالجائزة التي تحمل اسمه اليوم "جائزة مصطفى زيور للعلوم النّفسيّة"، وقد أسّست سنة 1995، تُسند، على حدّ علمي، إلى اختصّاصيّين نفسانيّين تجريبيّين، أو أطبّاء.

هل يمكن أن نقول إن مؤسّس التّحليل النّفسيّ في مصر لا يعتبر نفسه محلّلاً نفسانيّاً

بالدّرجة الأولى، ولا يعتبره خلفه كذلك؟ هل هو إخطاءٌ ثانٍ، بعد أن أخطأ أوّل محلّل نفسانيّ بالبلد التّحليلَ النّفسيَّ، وحوكم لتشبّهه بالأطبّاء؟

لكنّ ممّا يزيد في تأكيد التباس علاقة مصطفى زيور بالتّحليل النّفسيّ هذه الشّهادة التي قدّمها حسين عبد القادر عن موقف زيور من التّحليل النّفسيّ الذي يمارسه غير الأطبّاء، والذي دافع عنه فرويد كما أسلفنا: "عندما تمّ الإعلان عن تنظيم الممارسة التّحليليّة الذي تمّ فرضه على علماء النّفس والمحلّلين، اختار زيور موقفاً سلبيّاً، ولم يتضامن مع علماء النّفس الذين رغبوا في الحصول على ترخيص للمباشرة. من هؤلاء محمد عثمان نجاتي[18].

كان هذا نكوصاً بالنّسبة إلى الأربعينيات، عندما دافع القانونيّ المستشار محمّد فتحي بك عن التّحليل النّفسيّ لغير الأطبّاء، ورجع إلى كتاب فرويد في هذا الموضوع.

إسقاط النّموذج الجامعيّ على التّحليل النّفسيّ

ونختم هذا العرض لعلاقة مصطفى زيور بالتّحليل النّفسيّ بهذه الملاحظة الأساسيّة التي تتعلّق مباشرة بالممارسة التّحليليّة، ولها مساس بالطّابع الأبويّ، أو "المريديّ"، الذي اتّخذته في مصر. إن مصطفى زيور، إضافة إلى اعتباره "أباً" من قبل "تلاميذه"، ولعبه هو لهذا الدّور، يحيل إلى النّموذج الجامعيّ في تعريفه لعمليّة التّحليل النّفسيّ، إذ تتمثّل هذه العمليّة، حسب رأيه، في "أن يُجرى على الطّالب تحليل نفسيّ يقوم به أحد أساتذته"[19]. ولقد تكرّرت هذه العبارة، بصيغة الفعل المبنيّ للمجهول، ثمّ المنسوب إلى الأستاذ في كلّ ما كتبه[20].

ليس المشكل في أن يدرّس التّحليل النّفسيّ في الجامعة، رغم تحفّظات فرويد المعروفة على هذا الموضوع، وخوفه من التّقنين المسلّط من الخارج، ومن التّبسيط والبقرطة والاحتواء. بل يمكن أن نلاحظ أن قسم علم النّفس بعين شمس كان مرفأً صغيراً منع اندثار التّحليل النّفسيّ كلّيّة. ففي أقسام علم النّفس الموجودة في القاهرة يواصل بعض الأساتذة إلى اليوم توفير مداخل إلى التّحليل النّفسيّ للطّلبة، ويواصل التّحليل النّفسيّ استهواء قليل منهم، فيقبلون عليه أحياناً بدافع الرّغبة، وبقطع النّظر عن متطلّبات الدّيبلوم، ومتطلّبات سوق الشّغل التي تنفّر غالباً من هذا الاتّجاه. لكنّ المشكل يكمن في إسقاط نموذج التّعليم على عمليّة التّحليل النّفسيّ، مع استعمال هذه العبارة التي تفيد بصيغتها المبنيّة إلى المجهول، ثمّ المنسوبة إلى "أحد الأساتذة" وضع المتحلّل في موقع سلبيّ بالأحرى.

صيغة المفعوليّة هذه تعني أن المتحلّل هو الذي يستقبل بسلبيّة معرفة يمتلكها المحلّل عنه،

كما في الدّرس الجامعيّ التّقليديّ، وهو إجمالاً ما يسمّيه لاكان بـ"بخطاب السّيّد". هذه المفعوليّة تخالف قواعد التّحليل النّفسيّ، الذي تتأتّى فيه المعرفة من الذّات المقبلة على التّحليل، لا من المحلّل. ثمّ إن الإطار الجامعيّ للتّحليل يطرح مشكل خلطٍ موضعيّ لا يمكن إلاّ أن يلغي التّحليل النّفسيّ من أساسه: إنّه تجربة يجب أن تقوم على الذّاتيّة والحرّيّة، ويجب أن لا تسندها سوى الرّغبة. لا الطّمع في الشّهادة، ولا الرّهبة من ممثّل للسّلطة، يكون هو المحلّل ـ الأستاذ ـ الأب ـ السّيّد.

كأنّ التّحليل النّفسيّ مرّ في نشأته بمصر عبر النّموذج الطّبّيّ أوّلاً، في تجربة أوّل محلّل ـ غير محلّل مصريّ، ثمّ خرج من رحم الجامعة وعلم النّفس دون أن يفترق عنه بمؤسّسة خاصّة، أو بأيّ فعل يتبنّاه جذريّاً. إن التّحليل النّفسيّ لا يمكن أن "يتأتّى من" معرفة أخرى devenir، بل لابدّ له أن ينبثق advenir وكأنّه فضيحة، أو قطيعة نتبنّاها ونقبل شروطها التي تكاد تكون مستحيلة، ونقبل بنتائجها: شيء من الغربة، وكثير من العمل المعرفيّ المنصبّ أوّلاً على الذّات القابلة للتّعرّي والتّذكّر والسّرد والتّغيّر، والرّافض مع ذلك لكلّ تعميم مسرف، أو قولبة، أو موقف سيطرة.

ثغرة في اللّغة والممارسة

هل يمكن لنا تبعاً لذلك، أن نجرؤ على تقديم هذه الفرضيّة: إن نشأة التّحليل النّفسيّ في مصر، كان في الوقت نفسه "عدمَ انبثاق" للتّحليل النّفسيّ، وإخطاءً له، وأنّ هذا الخلط بين المواقع، بين موقع المحلّل وموقع الجامعيّ، بل موقع السّيّد، يتواصل اليوم، مع كلّ إغراءات التّقنين والسّيطرة والتّبسيط لقواعد التّحليل النّفسيّ؟

إلى اليوم، يقال عن الذي يعيش تجربة التّحليل مع المحلّل النّفسانيّ "محلَّل" بصيغة المفعول به، بينما يعبّر عنه بالفرنسيّة والإنجليزيّة بـ analysant، وهي صيغة تفيد الفاعليّة لا المفعوليّة.

هذا الثّقب في المصطلح، وهذه الخانة الفارغة تبيّن أن موقع المحلّل النّفسانيّ في اللّغة العربيّة، وفي العالم العربيّ لم يتّضح بعد.

وقد احترت وتردّدت كثيراً في ترجمة مفهوم analysant، واستشرت كثيرين دون جدوى، واستهواني الاستعمال اللبنانيّ لكلمة "عليل"، لأنّها كلمة آتية من سجلّ العشق واعتلاله، كما فكّرت في ترجمته بـ"الصّابر"، وهي ترجمة حرفيّة لـ patient، إلاّ أنّني رأيت ضرورة تجنّب الرّواسب الطّبّيّة في معنى "العليل"، وخفت من المتعة المازوشيّة المتواصلة التي قد يحملها

مفهوم "الصّبر"، رغم أن التّحليل يحتاج إلى الصّبر. فاخترت أخفّ الأضرار، أي هذا الحلّ التّوفيقيّ: متحلّل: اسم فاعل من صيغة "تفعّل" التي تفيد المطاوعة، لكنّها تفيد الفاعليّة صرفيّاً. وقد تكون لهذه الصّيغة مساوئها، لأنّها قد توحي بـ"التّحلّل" بمعنى التّلاشي، وهذه المخاوف قد تكون حقيقيّة، فالتّحليل الكلاسيكيّ القائم على التّداعي الحرّ قد يكون خطيراً وباعثاً على "التّحلّل" في حالات الذّهان. إلاّ أنّها صيغة يمكن أن نعتمدها في انتظار من يقترح صيغة أفضل منها، أو من يكرّسها في الاستعمال، حتّى لا تبقى الثّغرة مفتوحة على اللاّتحدّد، أو على خطاب السّيّد، مالك المعرفة عن الغير. ولذلك فتحنا هذا القوس.

إخطاء متكرّرة

ويبدو لي أن أفعال التّأسيس التي تمّت خارج الجامعة، وخارج أقسام علم النّفس، قد كرّرت إلى حدّ الآن السّيناريو نفسه: سيناريو الإخطاء وعدم الانبثاق. ففي سنة 1993، صدرت "موسوعة علم النّفس والتّحليل النّفسيّ" (إشراف فرج عبد القادر طه، الكويت، دار سعاد الصّباح). في هذه الموسوعة نجد مجهوداً لا يمكن نكرانه. إلاّ أنّنا نلاحظ فيها التّبعيّة نفسها وعدم التّحدّد. نجد في هذه الموسوعة إغفالاً تامّاً، شبيهاً بالمحو، لتراجم كلّ المحلّلين النّفسانيّين المصريّين والعرب، ما عدا مصطفى زيور. ورغم ذلك فإنّ الموسوعة ضافية في مواطن أخرى، بما أنّنا نجد فيها على سبيل المثال ترجمة لأبي حامد الغزالي، ولا ندري لماذا؛ ولا ندري ما علاقة الغزالي بعلم النّفس، أو التّحليل النّفسيّ.

وفي سنة 2004، ظهرت أخيراً المؤسّسة، أي ظهرت بعد حوالي سبعين عاماً من بدء شكري أفندي جرجس ممارسة التّحليل النّفسيّ. إنّها "الجمعيّة المصريّة للتّحليل النّفسيّ". لكنّ هذه الجمعيّة تواصل سياسة عدم تحديد مجال التّحليل النّفسيّ وشروطه، من حيث أهدافها وأنشطتها على الأقلّ(7). فأوّل هدف تذكره الجمعيّة هو تنظيم الدّورات التّدريبيّة حول الاختبارات النّفسيّة (الاختبارات الإسقاطيّة، واختبارات الشّخصيّة والذّكاء، ممّا يدخل في مجال علم النّفس التّجريبيّ خاصّة). الانتقائيّة تبقى هي الأساس، مع استسلام لإغواء المعرفة العلمويّة الموضوعيّة، مع ميل إلى البيوغرافيا النّفسيّة السّياسيّة، وميل إلى السّياسويّة والشّعاراتيّة المضادّة لأميركا، ممّا يصعب إيجاد علاقة بينه وبين التّحليل النّفسيّ.

تتواصل الانتقائيّة، ويتواصل عدم التّحدّد رغم أن السّياق الرّاهن يدعو إلى الدّقّة والصّرامة والتّحفّظ. إنّه سياق لا يتميّز برفض التّحليل النّفسيّ فحسب، بل كذلك باستخدام مفاهيم التّحليل

النّفسيّ كما اتّفق، وباستغلال إعلاميّ لآلام النّاس الذين تعرض حياتهم الشّخصيّة على الأنظار تحت مسمّى "التّحليل النّفسيّ" أحياناً، في برامج لا أخلاقيّة، تبثّها فضائيّات عدّة.

هل يدلّ هذا الإخطاء المتكرّر على رغبة في تقديم التّنازلات لسياق معاد للتّحليل النّفسيّ، بالتّضحية بشيء منه؟ ولكنّ هذا الشّيء المضحّى به، أليس هو شروطه الدّنيا، وهو الرّغبة التّحليليّة نفسها؟ ألا يتعلّق الأمر بالأحرى، بمقاومة خفيّة للتّحليل النّفسيّ تعيد إنتاج الالتباس والخلط وعدم التّحدّد، حيث لابدّ من الاختيار والقطيعة، ولا تنهض بفرادة هذه المعرفة والتّقنية، حيث لابدّ من النّهوض بعبئها؟

إنّنا لا نهدف من هذه الأسئلة إلى التّحامل، أو التّشكيك في الجهود المبذولة، وفي مزايا مصطفى زيور، والدّور الذي لعبه في فرض العلوم النّفسيّة إجمالاً، وفي الإشراف على ترجمة أعمال فرويد، بل نهدف إلى البحث في أسباب "التّصحّر" التّحليليّ الذي أصاب هذا البلد، ونهدف كذلك إلى بناء قصّة التّحليل النّفسيّ، حتّى تُسمع، وحتّى توضع الكلمات على المكبوت والمنبوذ والصّادم. حكاية قصّة الأصل على نحو تأويليّ هي إحدى أدوات هذه التّقنية: تقنية ترك وسائل الدّفاع، للإنصات إلى مسارات الرّغبة المختلجة، ومسارات تخبّطها وأخطائها.

الهوامش

1 ـ ترجمة وشرح لبحث قدّم في ندوة "الجمعيّة الدّوليّة لتاريخ التّحليل النّفسيّ" المنعقدة في باريس يوم 2009/10/17، تحت عنوان "تاريخ التّحليل النّفسيّ في المغرب والمشرق".

2 ـ حصل مصطفى زيور على الإجازة في الفلسفة سنة 1929، ثمّ قصد فرنسا سنة 1930، وهناك حصل على ديبلوم في علم النّفس سنة 1939، ثمّ على دكتوراه في الطّبّ سنة 1941، وعاد إلى مصر. كان تحليله النّفسيّ مع رونيه لافورغ René Laforgue بين سنتي 35 و39، ثمّ مع ساشا نخت Sacha Nacht. وكان أوّل محلّل نفسانيّ عربيّ تقبل عضويّته في "جمعيّة باريس للتّحليل النّفسيّ"، وفي "الجمعيّة الدّوليّة للتّحليل النّفسيّ".

3 ـ يوجد ملخّص عن هذا التّقرير في www.annabaa.org

4 ـ ولد سنة 1938، وأعرض عن التّحليل النّفسيّ بعد حرب 1967.

5 ـ ولد سنة 1936، وكان من أوائل الاختصاصيّين النّفسانيّين المتخرّجين من جامعة عين شمس. قبل أن يهاجر إلى كندا، بدأ تحليله بمصر مع هوراس ويسة وصّاف، وهو حالياً عضو في "الجمعيّة الكنديّة للتّحليل النّفسيّ".

6 ـ ولد في الإسكندريّة سنة 1921، وقصد باريس سنة 1945، وبدأ تحليله مع مارك شلمبرغرغ Marc Schlumberger. ثمّ بدأ حصص المتابعة مع جاك لاكان سنة 1949، وظلّ أحد رفقائه الأوفياء.

يعدّ صفوان من أبرز وجوه التّحليل النّفسيّ في فرنسا والعالم العربيّ. وله مؤلّفات عديدة، منها ما ترجم إلى العربيّة. (ينظر الحوار معه في الأوان). وقد كانت ترجمته لتفسير الأحلام لفرويد (القاهرة، 1958)، ولاتزال، مرجعاً أساسيّاً للمهتمّين بالتّحليل النّفسيّ من النّاطقين بالعربيّة.

7 ـ عضو في "الجمعيّة البريطانيّة للتّحليل النّفسيّ"، تكوّن مع أنا فرويد Anna Freud. حصل على دكتوراه الدّولة تحت إشراف دانيال لاغاش Daniel Lagache، وعاد إلى مصر سنة 1958، ثمّ هاجر سنة 1959.

8 ـ لم نعثر على أيّ ترجمة له.

9 ـ تكوينه الأصليّ في الفنون التّشكيليّة، وهو الآن أستاذ متميّز في جامعة باريس 7، وقد أسّس "المركز الدّوليّ للأبحاث السيكوماتيّة". قبل أن يهاجر إلى فرنسا، ترجم "ثلاث مقالات في النّظريّة الجنسيّة" لفرويد (القاهرة، 1963)، وترجم بمعيّة عبد السّلام القفّاش "الموجز في التّحليل النّفسيّ" لفرويد (القاهرة، 1962).

10 ـ انظر في هذا الصّدد مقال حسين عبد القادر "التّحليل النّفسيّ في مصر: بين ماض طموح ومستقبل غير موثوق"، مجلّة لي سليباتير Célibataire Le، عدد 8، ربيع 2004، ص ص 61 ـ 73.

ولم نجد أيّ ترجمة لفايزة كامل في المصادر المكتوبة المتاحة، إلاّ أن شهادات مختلفة من متحلّليها السّابقين تبيّن أنّها كانت أميل في ممارستها إلى الإرشاد النّفسيّ.

11 ـ المعجم الدّوليّ للتّحليل النّفسيّ (بالفرنسيّة)، تحت إشراف آلان دي ميجولا، الطّبعة الجديدة 2005، ج1/ 239 (مقال عن البرازيل، مريالزيرا بارسترلو).

12 ـ أوليفييه دوفيل، "انتشار التّحليل النّفسيّ في عالم فرويد: كشف غير ضاف لمراحل وسبل امتداد الحركة التّحليليّة في حياة فرويد" (بالفرنسيّة)، مجلّة Che vuoi؟، عدد 21، 2004، ص 67.

13 ـ المصدر نفسه، ص 72.

14 ـ عبد القادر، المرجع المذكور، ص 63. وقد نشر شكري أفندي جرجس مجموعة من الكتب، منها كتاب عن "التّحليل النّفسيّ" (مطبعة شمس، 1939)، وآخر عن "الطّبّ النّفسيّ"، وآخر عن "الغريزة الجنسيّة ومتاعبها" (مطبعة شمس، د. ت).

15 ـ الإسلام والتّحليل النّفسيّ، ترجمة رجاء بن سلامة، دار السّاقي ورابطة العقلانيّين العرب، بيروت، 2008، ص ص 299 ـ 300. نقلاً عن النّجّار عبد الوهّاب، قصص الأنبياء، دار العلم، القاهرة، د.ت.، ص ص 156 ـ 157.

16 ـ نوال السّعداوي، دراسات عن المرأة والرّجل في المجتمع العربيّ، بيروت، ط2، 1990، ص 164، 170.

أفول صنم الأكذوبة الفرويدية
للفيلسوف ميشيل أونفراي

تفجير المعبد الفرويدي رغبة فرنسية قديمة متجددة بدأها جاك لاكان في "كتاباته" التي اعتبرها اصلاحاً أو بعثاً جديداً للفرويدية. لكن تغييرات لاكان الحقيقية تجلت في وجهين هدف كلاهما لتسهيل قبول فرنسا بالتحليل النفسي بعد طول مقاومة له بدوافع لا يمكن إخفاء خلفيتها الكاثوليكية. وعليه، فإن لاكان أدخل الفلسفة والبنيوية إلى التحليل النفسي، ليحول اللغة الفرنسية إلى أداة لا يمكن فصلها عن التحليل، ولا يمكن لغير متقنيها تعلمه والتدرب عليه. وكنا نرى بين زملائنا في معهد مارتي للسيكوسوماتيك اجانب يتعلمون الفرنسية كي يبدأوا تحليلهم التدريبي. كما أن لاكان أزال الطابع الأبوي اليهودي عن التحليل، وأضفى عليه الصفة الأمومية المتفقة مع الثقافة الكاثوليكية، ثم جاء أستاذنا الفيلسوف ميشيل أونفراي.

لا مراء أن كتاب الفيلسوف الفرنسي ميشيل آونفراي بعنوان: "أفول صنم: الأكذوبة الفرويدية" قد أسال كثيراً من المداد، وأثار ما لا يحصى ولا يعد من النقاشات، وبخاصة في فرنسا معقل التحليل النفسي. وتوخياً منا لتوضيح ما بوسعنا توضيحه، في ما يتصل بالموضوع، سأحاول الدلو بدلوي اعتماداً بالأساس على كتابه: "freud une chronologie sans légende" الصادر عن دار غراسي 2010.

في استهلاله لكتابه "أرخبيل النجوم"، يتحدث أونفراي على نحو دقيق ومبهر عما يدعوه "معنى الجسد الأوتوبيوغرافي"، راميا بذلك إلى التوكيد على أن كل فكر إنما هو نتاج كيمياء جسد صاحبه، وكل فلسفة فلسفة لا تعدو أن تكون حصيلة فوران ذات، وصدى دقات قلب فيلسوف بلحمه ودمه. فالأفكار والتصورات قبل أن تملأ مساحة الأوراق الفارغة وترسو على وجه الصفحات الناصعة البياض، تتسلل إليها مندفعة بفضل التفاعل الكيميائي

للجسد، فتأتي قوية أحياناً، وضعيفة أحياناً أخرى، وذلك بالطبع انسجاماً مع حالات الفتور والقوة ذاتها التي تعتري الجسد. فالجسد إذن "هو المادة الوحيدة التي منها ينبعث النص المكتوب، لأن الجسد يصير عملاً إبداعياً بفضل كيمياء الكتابة، والعكس كذلك وارد وصحيح"[1] بناء على هكذا طرح يرى أونفراي ألا مناص لفهم أي عمل إبداعي كيفما كان، من وصله بالسيرة الذاتية لصاحبه. ونهج أسلوب المقارنة ما أمكن، ما بين السيرة الذاتية والأعمال الكاملة، وكذا المراسلات. فلا شك أننا عندما نقارن فقط، يمكننا أن نفهم، على حد تعبير ميلان كونديرا. وبدون مقارنة نفتقد لا الخيط الناظم الذي يُسعفنا على الفهم الجيد فحسب، بل نسيء حتى التقدير؛ أقصد تقدير الكاتب من جهة، وعمله من جهة ثانية. على هذا النحو إذن أقدّم أونفراي على قراءة فرويد. ولا يفوتني، بالمناسبة، أن أسجل مسألة هامة، مفادها أن فيلسوف اللذة كان في بداياته يبدي إعجابه بفرويد، كما لا ينفي انبهاره بأطروحات ومواقف رائد التحليل النفسي. لكنه حدث أن فوجئ ذات مرة، لَمَّا كان ينوي تقديم دروس في الفرويدية لطلبته في الجامعة الشعبية، فوجئ بشخصية لا تتناسب والصورة القبلية التي في أذهان الناس، كما في ذهنه هو أيضاً. من ثم شرع يتفحص أطروحات المعارضين لفرويد، وهم كثر، منهم تلامذته ومجايليه. وبعدها راح يبحث في الأرشيف، سيما رسائل المدعو "فليس"؛ فوجد أول ما وجد أن هذه الأخيرة أُتْلِف النصيب الأكبر منها، وبخاصة تلك التي كان يبعث بها "فليس" لفرويد ولم يُنْشر ما تبقى من المراسلات لدى "فليس" إلا بعدما تم تنقيحها. وفي هذا الباب يقول مصطفى زيور أحد رواد التحليل النفسي في العالم العربي، في كتابه "في النفس" الصادر عن دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت سنة 1986 في الصفحة 57: "طلع علينا عام 1950 بحدث هام في تاريخ التحليل النفسي، فقد أتيح لبعض تلامذة فرويد اكتشاف مجموعة من الرسائل كتبها لصديق له يدعى "فليس" fliess في ما بين سنة 1887 و1902، أي في السنوات التي شهدت ميلاد التحليل النفسي، وسجل فيها خواطره ونضاله أثناء اكتشافاته الكبرى، فألقت ضوءاً على حقبة فريدة في تاريخ المعرفة. "بناء على هذا الكلام لزيور يتبدى أن لهذه المراسلات بالفعل أهمية قصوى، إلا أن طريقة التعامل معها تختلف حد انقلاب ما هو أهم إلى تافه، والعكس وارد. تساؤلي في هذا السياق، إن كان حقاً لنا أن نتساءل هو كالتالي: لماذا لم يكشف مصطفى زيور عما كشف عنه أونفراي؟ لماذا ظل على مسار كتابه يتكلم عن عبقرية فرويد تماماً كما يتكلم بعضهم عن عبقرية الرسل والأنبياء؟ لماذا غاب عنه أن الرسائل تنطوي على خلل؟ لماذا لم يطرح على نفسه، وهو المتخصص في مجال علم النفس، أن المرسل إليه فرويد أتلف ما بيده من رسائل "فليس"؟ هل

كل هذا الإغفال طرأ بحسن نية؟ ربما، لكن لِنَعُد إلى الهفوات، التي كشف عنها أونفراي. يقول هذا الأخير بأن "فرويد عمل على إتلاف رسائل "فليس"، وسعى إلى إتلاف رسائله هو أيضاً، إلا أنه فوجئ لما وجدها تباع وتشترى عند أحد الكتبيين، وبعد رحلة غريبة نشرت هذه المراسلات منقحة منذ سنين. لكن أول طبعة فرنسية كاملة تعود فقط إلى سنة 2006 (ص 20 ـ 21). ويضيف أونفراي مشيراً إلى عام 1936: "لما علم فرويد بأن رسائله إلى فليس تباع عند أحد الكتبيين، تمنى لو اقتناها حتى بنصف الثمن، من أجل إتلافها. هكذا اشترتها Marie Bonaparte، ومنعت تصفحها حتى مرور 100 عام على وفاة فرويد" (ص 37)، وفضلاً عن ذلك يشير أونفراي في موضع آخر (ص 25): "بأن المنع طال أيضاً مراسلات فرويد، وأخت زوجته مينا، التي تم قبرها بـ" La Freud collection de la bibliothéque du congrés de washington ". "كل هذا الحظر والترسانة من الحصار الذي لن يفك عن أرشيف فرويد حتى سنة 2057، على حد تأكيد أونفراي، يدفعنا إلى التعاطف مع فيلسوف المتعة، في طرح هكذا سؤال: "ولماذا كل هذا المنع طالما ليس هنالك كما يدعي بعضهم ما يستحق الكتمان؟" (ص 43).

الحق أن فرويد بحسب هذا الحفر الأركيولوجي، ليس لا بعالم، ولا بطبيب، ولا بمفكر، الرجل بكل بساطة Conquistador، أي مغامر لا بوصلة تحكمه، يقول الشيء ونقيضه، ويفعل مالا يقول، ويقول ما لا يفعل. هذه الأوصاف ليست لي، ولا لأونفراي حتى لا يُلام أحدنا، بل هي وهذا هو الخطير لفرويد نفسه، فهو من كتب يوم 1 فبراير 1900 في رسالة إلى فليس: "إني لست إطلاقاً، لا رجل علم، ولا ملاحظ، أو مجرب، ولا حتى مفكر، أنا لست إلا Conquistador بطبعي"(ص 28). هكذا عاش الرجل باحثاً عن الشهرة والمال. وإن مارس الطب فليس لأنه راغب في العلم، أو ما إليه (يكتب لفليس يوم 1 يناير سنة 1896 بأن هدفه الأول كان هو الفلسفة، وفي 2 أبريل من العام نفسه يضيف: "لقد أصبحت طبيباً نفسياً رغماً عن أنفي" (ص 23)، وعندما ادعى الإلحاد فقد بقي يؤمن على نحو ما أفهم الإيمان. أي أنه عاش منافقاً، وإلا كيف به" يجهر بإلحاده سنة 1886 (13 سبتمبر/ أيلول)، فيعقد زواجاً مدنياً، ثم يصمم في ما بعد الغد إقامة حفل ديني. كما يفتح عيادته يوم خروج اليهود بقيادة موسى من مصر، وعلى ذكر موسى فهو الشخصية الأسطورية التي خصص لها كتاباً يبين فيه أن أب اليهود ليس يهودياً"(ص 19)، وتوضيحاً لهذا الميل الخرافي لدى فرويد يحيلنا أونفراي على سنة 1921 قائلاً: "إن رائد التحليل النفسي يذهب في Psychanalyse et télépathie" إلى أن ثمة علاقة مابين التنجيم والتحليل النفسي، والشيء نفسه يؤكد عليه في (Rêve et télépathie

9221). لقد كان فرويد يؤمن بالخرافة، ويعتقد في العدادة La numérologie، ويتعاطى طقوس الرقية تفادياً للحظ العكر، كما مارس التخاطر مع ابنته "آنا" سنة 1925 مصرحا لـ"Jones" بحكمه المسبق المؤيد للتخاطر، لكنه يرفض البوح به علانية(ص 33). أما عن شغفه بالمال، وتكديس الثروات، فحدث ولا حرج، إذ يورد المحلل النفسي Sandor Ferenczi رأياً لفرويد تجاه مرضاه في journal clinique يقول فيه: "المرضى مجرد دهماء، لا يصلحون إلا لأن يضمنوا لنا عيشنا، وهم مادة للتعلم، ليس بوسعنا على كل حال مساعدتهم" (ص 35). ليس هذا الرأي غريباً عن طبع فرويد، فهو من يرد في مذكراته (مايو/ أيار 1912) على سؤال طرحه عليه Ludwig Binswanger مستقصياً رأيه في مرضاه، فيقول: "إني ألوي أعناقهم جميعاً" (ص 30)، وبالطبع فهو من يقطع حتى رقباتهم حين نعلم مثلاً أنه إبان حياة فرويد، وبالضبط سنة 1920، كان ثمن حصة واحدة من التحليل لمدة ساعة واحدة فوق أريكة فرويد تقدر بـ25 دولاراً (أي ماينا هز 415 أورو 2010)، وإذا عرفنا أن عدد الزبناء الذين يتوافدون على الأريكة طيلة يوم واحد يتراوح حينها ما بين 8 و10 أشخاص: تأكدنا من أن المبلغ الإجمالي في اليوم الواحد هو 3600 أورو. ولذلك كان فرويد لا يعالج الفقراء، بحيث يرى استحالة معالجة أناس لا مال لديهم، ولا ثقافة، ولا إيمان حتى بنجاعة الأريكة(ص 32). لا أحد اليوم ينكر أن الطب يكلف مادياً، لكن التحليل النفسي يفرض مبالغ مالية خيالية، ويكفينا أن نعرف بأن فرنسا تعج لوحدها بما يناهز 5000 محلل نفساني، كلهم يعيشون على الريع والأرباح التي يحصلون عليها من حصص العلاج، وللذكرى نستشهد هنا بمثال يورده أونفراي، ويعود تاريخياً إلى عام 1956(شهر آب/ أغسطس)، حيث "حينئذ ستحلل أنا فرويد، مارلين مونرو، لبضع أيام، وهكذا يصبح اليوم ربع ثروة الممثلة الأميركية في ملك مؤسسة أنا فرويد" (ص 39). هذا بخصوص حب المال، أما في ما يخص هلوسة الشهرة، فإن فرويد ينشد العظمة منذ أن كان طفلاً لأمه، التي "خصصت له، دونما بقية إخوانه، غرفة لوحده، في شقة تتكون من ثلاث غرف ومكتب. وبلغ دافع الدلال بالأم إلى حد منع دروس ابنتها في البيانو، لأن فرويد ينزعج جراء انبعاث الصوت" (ص 12). وسيكتب في كتابه تفسير الحلم بأن: "امرأة بدوية عجوز كانت قد تنبأت لأمه الفرحة بميلاد ابنها الأول بأنها وهبت العالم هدية هي هذا الرجل العظيم"، لا لشيء إلا لأنه ازدان بشعر كثيف وأسود اللون. وبعيداً يقول "هل يعود نشداني للعظمة إلى هذا الأساس؟" (ص 11). وحوالي 1867 - 1868، صودف أن التقى وهو بصحبة والديه، بمقهى بـPrater (فيينا) شاعراً جوالاً وعرافاً ينبئه بأنه سيصبح يوماً ما رجلاً عظيماً. ويذكر في تفسير الحلم بأنه تأثر بالغ التأثر بهذه

النبوءة الثانية التي جاءت تؤكد نبوءة المرآة العجوز(ص 12). تكاد توحي لي هذه الهلوسات بتلك التي تلقاها لدى ساتر المبعوثين من السماء هداية للناس وترشيداً لهم للصراط المستقيم، أمثال موسى، محمد، عيسى. لذلك كان معاصرو فرويد الفطنون يندهشون أيما اندهاش من الترهات التي يزف لهم بها، وعند صدور كتابه "تفسير الأحلام"، وهو كما أكد زيور أعظم مؤلفاته من غير شك، استقبل استقبالاً سيئاً من معاصريه من العلماء، فها هو ذا البروفسور"ليبمان" الأستاذ في جامعة برلين، يكتب قائلاً: "لقد انتصرت في هذا الكتاب الأفكار الخيالية للفنان على الباحث العلمي" (ص 60 من كتاب مصطفى زيور سالف الذكر)، ونلمس هذا الضرب من الفانتازم لدى فرويد في نواح عديدة، فهو من عانى من إحباطات متكررة، سواء على مستوى الحياة الخاصة، أو على مستوى الحياة المهنية. فهو كما صرح تلميذه رايش (أنظر كتاب بول روبنسون بعنوان: اليسار الفرويدي، تعريب شوقي جلال ولطفي فطيم، دار الطليعة بيروت، ص 31): من حقق صفقة زواج خاسرة، إثر اقترانه بـ"مارتا برنس" القبيحة المنظر بحسب فرويد نفسه، وفي وقت يعاني فيه مادياً. يكتب في رسالة بعثها إليها يوم 2 أغسطس/ آب 1882: "أعرف كل المعرفة أنك لست جميلة، على نحو ما يتصوره الرسامة والنحاتة؛ وإذا ما أردتُ أن أفصح لك عن ذلك بتعبير واضح، أجدني مجبراً على البوح لك بأنك لست جميلة". وفي رسائل أخرى يكتب لها أنه يتعاطى الكوكايين لما لها من مفعول جيد من الناحية الجنسية (2 يونيو/ حزيران 1884). وهذا لم يَحُل دونما إبدائه نوعاً من الغيرة المرضية تجاه خطيبته التي منعها من الاختلاط بالرجال، بمن فيهم حتى ابن عمها، أو خالها. ليعترف يوم 22 آب/ أغسطس 1883 قائلاً: "إن لي بكل تأكيد، نزوعاً نحو السلطة". وخلال هاته الفترة أيضاً، كان فرويد يكتب رسائل غرام وحب لأخت زوجته المدعوة مينا (Peter Gay ,Freud. une vie ,P. 90)(ص 14 ـ 15)، لذلك نعرف سر صراعه مع رايش الذي يقول: "إن هنالك عوامل سيكولوجية عديدة منعت فرويد من قبول فكرة المساواة بين الاكتفاء التناسلي وبين الصحة النفسية. لقد كان ضحية زيجة غير موفقة، وإنه من الناحية التناسلية غير راض بالمرة. وهذا هو السبب في أنه كان يخشى لاشعورياً نظرية الأورجازم (الرعشة). (بول روبنسون، مرجع مذكور ص 31). إن فرويد على ما يظهر يعيش الارتباكات كلها، وسيد التناقضات من ألفها حتى يائها، فهو إذ يتعاطى الكوكايين تأجيجاً لجنسانيته يأمر الناس الذين يعانون جنسياً بالثقة في العلاج بالتحليل النفسي، والاكتفاء بالتداعي الحر، والاستلقاء فوق أريكته. فالرجل إذن يرغب في كبت هذه الطاقة، لا تحريرها، والإبقاء على أمراض العصاب، لا علاجها. يكتب في الأخلاق الجنسية الثقافية والعصاب المعاصر: "إن علاج

العصاب الناتج عن الزواج سيكون بالأحرى الخيانة الزوجية"(ص 25). وبعد عشر سنوات من إدمان الكوكايين، أي يوم 12 يونيو/ حزيران 1895 سيكتب لفليس "إني في حاجة لكثير من الكوكايين" يستعملها بغاية الحماسة والجرأة، سيما في الأمسيات، حيث يكون مدعواً عند شاركو. ويكتب من باريس إلى خطيبته التي بقيت في فيينا بأن هذه المادة تغبط وتؤجج حتى في ما يخص الجنس. فيخرج إلى بيوت البغاء؛ ولربما كان ذلك هو السبب في انعدام انتظام دقات قلبه، وليبيدواه الضعيفة، وحالات الذعر، والهلع المتكررة، ومشاكل وتيرة أنفه، وكذا إصاباته بالزكام الحاد لمرات عديدة، وجنونه الدوري. وفي سنة 1885، ينصح في مقاله حول الكوكايين sur la Cocaine بحقن المادة l'injection لأحد مرضاه هو Fleischel-Marscow، ويكتب في تفسير الحلم (1900) بشكل مغلوط أنه إنما قال بابتلاعها l'ingestion... الهدف من وراء هذه الكذبة هو التغاضي عن خطأه الذي أودى بحياة صديقه. ففي اللحظة التي كان يكتب فيها بحثه بعنوان Sur la cocaine كان فرويد مع ذلك يعرف أن حالة صديقه تسوء يوماً عن يوم. يكتب بهذا الصدد إلى زوجته يوم 12 مايو/ أيار 1884: "مع Fleischel ساءت الأمور، وتكاد تحول دونما ابتهاجي بأي نجاح"، ومن ثم عمل سنة 1885 على إتلاف كل الأوراق والمذكرات والوثائق والمراسلات، وكذا كل ما كتب حتى يصعب على كتاب سيرة حياته المحتملين في المستقبل، الكشف عن الحقائق. هكذا لن تعثر عن Sur la Cocaine ضمن سيرته الذاتية" (ص 17 ـ 18)، وفي سنة 1893 يزعم أنه تخلى عن الجنس خدمة للتحليل النفسي، الذي هو "علم" تَحَصَّله بعد التسامي بليبيدوه، ثم يحلم في 31 مايو/ أيار 1897 بنكاح بنته "ماتيلد"؛ وفي رسالة إلى "فليس" في يوم 8 فبراير/ شباط من العام نفسه، أي 16 أسبوعاً بعد موت أبيه Jakob يزعم فرويد بأن هذا الأخير مارس الجنس مع أبنائه وبناته الشابات ليُعِدَّ نظرية في الإغواء بحسبها يُرجع كل الأعصبة إلى اغتصاب الأب لأبنائه. فادعى أنه يستند ههنا على 18 حالة. وعالج في عيادته، عملاً بهذه النظرية. لكنه بعد ردود فعل الآباء الذين لم يقبلوا نعتهم بمغتصبين لأبنائهم، يتراجع فرويد أمام واقع أمر العيادة التي غدت تعاني الفراغ. لكنه مع ذلك لم يتراجع أبداً عن تفسير الأعصبة بالصدمة الجنسية الطفولية والأبوية." (ص 25 ـ 26) فضلاً عن ذلك يكتب في رسالته إلى فليس بتاريخ 15 مارس/ آذار 1898: "إني أنام أثناء التحاليل ما بعد الظهيرة. فيُنَظِّر لهذه الأكدوبة العملية ليبرر أن بوسع المحلل أن ينام خلال حصص التحليل، مبلوراً مفهوم الانتباه المتردِّد l'attention flottante. (ص 27)، ولذلك صرحت زوجة فرويد سنة 1920 للمحلل الفرنسي René laforgue بأنها لا ترى في نظريات زوجها إلا شكلاً من أشكال البورنوغرافيا (ص 39)،

وسوف تؤكد Sophie سنة 2003، وهي بنت حفيد، أو حفيدة فرويد، وصاحبة مؤلف بعنوان: " A l'ombre de la famille Freud ,Comment ma mére a vécu le XX siécle,éd. des Femmes، لصحيفة Tronto Star الصادرة يوم 16 نونبر 2003: بأن فرويد وهتلر يتقاسمان البيئة نفسها. وكانا يتقاسمان أيضاً هوس السيطرة على الناس، باعتمادهما حقيقة واحدة، الأول بفضل خطابة لامعة، والثاني بفضل قوة وحشية. ولكونهما كانا محط إعجاب مريديهما، خلقوا حركات قوية. وفي اعتباري أن هتلر وسيغموند فرويد هما الرسولان المنافقان اللذان عرفهما القرن العشرون"(ص41).

إن أونفراي، بهذه الإستراتيجية في التفكيك، يتقاطع ومواقف كل من دولوز، وفليكس غاتاري، اللذين ألفا كتاباً هاماً في هذا الصدد، هو كتاب "أوديب مضاداً"، تناولا فيه الأطروحات الأوديبية بشتى أصنافها، وأكدا أن المشاكل الحقيقية ليست فحسب مشاكل نظرية، بل هي كذلك مشاكل سياسية وأيديولوجية، وكان المحلل النفسي غاتاري محقاً عندما يردد: "أنه قبل الوجود هنالك السياسة"، وبهذا الشكل يصعب علي الانتهاء دونما الحديث عن مريدي المعبد الفرويدي، لا بل عن لا نزاهتهم كما يؤكد أونفراي، إذ منذ ظهور "الكتاب الأسود للتحليل النفسي، سنة 2005، بفرنسا كاشفاً لأول مرة عن الأوهام الفرويدية، ستنشر "إليزابيت رودنسكو" كتاباً بعنوان: " pourquoi tant de haine ? Anatomie du livre noir de la psychanalyse éd. Navarin وستمضي في الحرب بكل ما أوتيت من عنف، ضد هذا الكتاب، بدعوى أن فرويد تم المس بشخصه ونعته بأقبح الأوصاف من قبيل: "كذاب، منافق، سارق وكاره للنساء، مدمن على الكوكايين، كتوم وداعية، مهووس جنسياً وشغوف بالمال والسلطة، دكتاتور خدع العالم بأسره بواسطة مذهب خاطئ"، والحال أنها كلها ادعاءات مغرضة بحسبها. أن رودينسكو بذلك إنما تدافع عن فرويد يقول الحقيقة باستمرار، تدافع عن رجل علم عبقري، ومخترع جريء، متحرر ومناصر للنساء، رجل لم يسبق له أبداً أن تعاطى الكوكايين، مفكر نزيه، ذو أفكار صارمة، زاهد في الجنس، ولا يكترث بالمال، ولا بالسلطة، رجل ديموقراطي عظيم، ويهودي ليبيرالي يجسد تماماً فلسفة الأنوار... وبعدئذ بعام، أي سنة 2006 سيظهر كذلك كتاب بعنوان: "ضد الكتاب الأسود للتحليل النفسي"، تحت إشراف Jacques-Alain Miller صهر جاك لاكان، كدعم للنص المنشور سنة 2005؛ لكن الحقيقة أن هذا الكتاب إنما هو نتيجة أشغال الندوة التي انعقدت أساساً، انتقاداً لطرق العلاج السلوكي المعرفي، يوم 9 أبريل/ نيسان 2005، أي بمعنى آخر خمسة أشهر قبل وجود الكتاب الأسود. ومنذئذ كل قراءة نقدية لفرويد فهي تصب في مجرى

TCC المتهمة بالدفاع عن نصيبها في السوق (ص 42 ـ 43).

يبقى أخيراً التوكيد على أن أونفراي لا يكن أي حقد لفرويد قدر ما يرى فيه ذلك الفيلسوف الذي لا يحب الفلاسفة، فهو من اقتنى كتب نتشه وادعى أنه لن يقرأه، وما إن داهمه الموت في آخر مشوار حياته، حتى أبان عن جسارة عز نظيرها، جسارة كانت ذات نفحة رواقية، على اعتبار أن فرويد هو من طلب من طبيبه حقنه بالمورفين تسريعاً لوتيرة الموت. وفضلاً عن ذلك كان في هذه اللحظات الحاسمة من عمره قد بدأ في تقديم اعترافات لم يستطع البوح بها من ذي قبل.

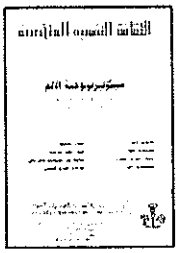

الثقافة النفسية المتخصصة

WWW.psyinterdisc.com

Psychologie Interdisciplinaire — Interdisciplinary Psychology

الطب النفسي | السيكوسوماتك | العلاج النفسي | تحليل نفسي | ادوية نفسية | الكوارث | علم النفس

السمنة وعلاجها النفسي

د. محمد احمد النابلسي

العدد الثالث والخمسون / يناير — السعر : دولارات

يناقش العدد موضوع السمنة والبدانة بوصفها شكل من اشكال ادمان الاكل. عارضا لمختلف النظريات الطبية المفسرة للسمنة والطارحة لاسبابها، ودون اهمال لاقتراحات علاج السمنة الدوائية وحتى الجراحية فإن الملف يعرض للعلاجات النفسية المقترحة للسمنة، حيث يصنفها المؤلف ومعها اضطرابات الاكل عامة في اطار الاضطرابات السيكوسوماتية للمزيد

المعلوماتية والعلوم النفسية

د.جمال التركي

العدد الثاني والخمسون/ اوكتوبر — السعر — دولارات

يناقش العدد موضوع استخدام المعلوماتية في مجال العلوم النفسية في البلاد العربية، حيث اللغة المشتركة ومن تكاثر الجهود المعلوماتية في هذه البلاد. ويشرف على اعداد الزميل التركي صاحب السبق في هذا المجال. للمزيد

اقرا في العدد القادم

سيكوفيزيولوجية الالم

دراسة نفسية عصبية يشارك فيها ثلاثة من الباحثين الالمان المعروفين، ترجمها للمجلة الزميل سامر رضوان. كما يضم العدد مقابلة مع العالم فاخر عاقل وهو من رواد الاختصاص في المشرق العربي ...

سيكولوجية أطفال الانتفاضة

جماعة من الباحثين

العدد الخمسون / ابريل — السعر : دولارات

يتضمن البحوث التالية: خصوصية الضغوط الناجمة عن الانتفاضة. قراءة في سيكولوجية طفل الانتفاضة تصور خطة لعلاج الاطفال الفلسطينيين. ومتابعات الانتفاضة. للمزيد

أزمات المراهقة

أ.د. أنور الجرابة

العدد الثامن والاربعون : اوكتوبر — السعر — دولارات

يحتوي الملف على البحوث والمقالات التالية: المراهق والمشكلة. مشكلات المراهق. المراهق والصحة النفسية. المراهق والتقليد. التسرب والمراهق والاعتداءات. للمزيد

شروط النشر
الهيئة الاستشارية
مؤتمرات المجلة
ملفات المجلة
دليل الموقع

الصفحة التالية

إصدارات
مركز الدراسات النفسية

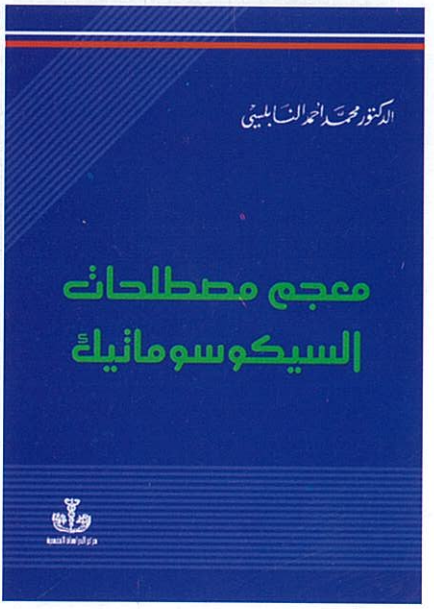

«إن الخطأ الكبير لأطباء عصرنا هو أنهم يفصلون النفس عن الجسد لدى تصديهم لعلاج الجسم البشري. فطبيعة الجسد لا يمكن أن تكون مفهومة ما لم ننظر للإنسان ككل» ويتوالى الاهتمام بهذه الخلفية على امتداد التراث الإنسان حيث توقف عندها ابن سينا ليفرد لها فصلاً خاصاً في قانونه وذلك وصولاً إلى العصر الحديث إذ بدأ الأطباء منذ القرن التاسع عشر بإعادة النظر في موقفهم من العلاقة بين النفس والجسد وبالتالي من هذه الخلفية. ولقد كان الطبيب فان دوش Van Dush أول من تخطى الثنائية الديكارتية (التي تفصل بين النفس والجسد) ليعلن عن نمط نفسي خاص بمرضى القلب في العام 1868 حيث وصفهم بأنهم يتكلمون بصوت عال وبأنهم يخوضون الصراعات المتركزة حول تدعيم سحرهم وسطوتهم. وكان هاينروث Heinroth قد أطلق مصطلح «سيكوسوماتيك» في العام 1818. لكن الاستخدام الدقيق للمصطلح تأخر لغاية العام 1922 على يد دوتش F.Deutch. وقد كان لظهور التنويم المغناطيسي. وقدرته على شفاء العديد من الحالات المرضية الجسدية، دور هام في إقناع الأطباء بالعلاقة بين النفس والجسد.

Sous la direction de
Hossaïn BENDAHMAN

DU PULSIONNEL AU CULTUREL

L'Harmattan

DU PULSIONNEL AU CULTUREL

Si nous parlons de la pulsion articulée aux cultures conformément au titre de cet ouvrage, il s'agit bien de la pulsion de vie et non d'une oblitération de la pulsion de mort. Bien avant d'être l'otage d'un surmoi socioculturel, la pulsion de vie nous donne la sensation et la représentation d'être vivant dans un corps, limité à ce qu'il exprime de son énergie intime, de ses besoins et de son organisation naturelle, bio-psychique.

Chaque culture a ses phases de croissances, de maturité, de bien-fondé mais aussi d'ombres, de turbulences, de passage à vide et de déclin. Les crises sont toujours des crises d'identité prises au piège de la dualité mais elles nous font évoluer et font évoluer notre relation à l'autre.

Les approches rassemblées ici témoignent dans leur différence d'une unité: celle de cerner les effets des mutations culturelles, notamment dans l'exil. Elles sensibilisent à l'émergence de dimensions nouvelles et plus complexes de l'altérité. Ces approches peuvent être une réponse à l'attente pratique de formation des acteurs sociaux, un moyen d'approcher les référents culturels des publics d'origine étrangère souvent en souffrance qu'ils sont amenés à côtoyer ou à prendre en charge. Les contributions réunies dans cet ouvrage sont le témoin du désir de la découverte de la culture de l'autre et de l'effort de réduire les dérives discriminantes quelle que soit la culture de l'autre ou son étrangeté.

Le présent ouvrage ne prétend pas traiter l'ensemble de la question. Celle-ci est d'une complexité telle qu'aucune étude ne pourrait être exhaustive.

Hossaïn BENDAHMAN, Docteur d'Etat en Psychologie Clinique et Psychopathologie, Psychanalyste. Maître de Conférences HDR en psychologie, Directeur de « l'Equipe de Recherche Pluridisciplinaire en Psychologie Interculturelle : Discours et Modes de Pensées » à l'I.U.T. de Troyes (Université de Reims). Directeur de recherches, équipe « Psychanalyse, Psychopathologie et Psychologie Clinique » de l'URP/SCLS (EA 3071), Université Louis Pasteur, Strasbourg I, dir. Professeur Serge Lesourd.

Auteur de *Personnalité maghrébine* et fonction paternelle au Maghreb : *Œdipe maghrébin* (1984) et *Travail culturel de la pulsion et rapport à l'altérité* (2000) et de nombreux articles et conférences.

ISBN : 978-2-296-06427-0
20 €